



للإسلاميات والبحوث الشرعية والفقهية

# فِتْرَةُ الْأَسْلَامِ

السُّئَالَةُ الْعَمَلِيَّةُ الْعَامِلِيَّةُ لِفُتُوهِ الْبَحْرَيْنِ

وَفُقَاةِ الْقَتَاوِيِّ الْمُجْعَعِينَ الدِّيْنِيَّةِ لَطَائِفُ

الْعِلْمَاتِ الْبَحْرَانِيَّةِ الشَّيْخِ حَسْبُكَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعِصْفُوقِ

وَفَقِيهُ أَهْلِ الْبَيْتِ الْمُحَقِّقِ الْبَحْرَانِيَّةِ الشَّيْخِ يُوْسُفَ بْنِ أَحْمَدَ الْعِصْفُوقِ

قَدْ سَرَّهَا

تَأَلِيفُ

الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْعِصْفُوقِ

فقه التقليد والاسلام والعقيدة وعوالم الإنسان والقيادة الإلهية

الجزء الأول



# فِتْرَةُ الْأَسْلَامِ

السُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ الْعَامِلِيَّةُ لِفُقَهَاءِ الْبَحْرَيْنِ

وَفَقَّاهِ الْفَتَاوَى الْمَجْعَيْنِ الدِّينِيِّينَ لِلطَّائِفَةِ  
الْعَلَامَةِ الْبَحْرَانِيِّ الشَّيْخِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَعْصَمِيِّ  
وَفَقِيهِ أَهْلِ الْبَيْتِ الْمُحَقِّقِ الْبَحْرَانِيِّ الشَّيْخِ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ الْأَعْصَمِيِّ  
قَدْ سَكَّرَهُمَا

تَأَلَّفَ  
الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَعْصَمِيِّ

فقه التقليد والاسلام والعقيدة وعوالم الانسان والقيادة الالهية

الجزء الأول



## استفتاح

قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا مَاتَ وَتَرَكَ وَرَقَةً وَاحِدَةً عَلِمَهَا عِلْمٌ تَكُونُ تِلْكَ الْوَرَقَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سِتْرًا فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ وَأَعْطَاهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِكُلِّ حَرْفٍ مَكْتُوبٍ عَلِمَهَا مَدِينَةً أَوْسَعَ مِنَ الدُّنْيَا سَبْعَ مَرَّاتٍ وَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَقْعُدُ سَاعَةً عِنْدَ الْعَالِمِ إِلَّا نَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَلَسْتَ إِلَى حَبِيبِي فَوْعَزَّتِي وَجَلَالِي لِأَسْكَنْتُكَ الْجَنَّةَ مَعَهُ وَلَا أُبَالِي».

وعن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: «سَمِعْتُ أَبِي ﷺ يَقُولُ: إِنَّ عُلَمَاءَ شِيعَتِنَا يُحْشَرُونَ فَيُخْلَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ خِلْعِ الْكِرَامَاتِ عَلَى كَثْرَةِ عُلُومِهِمْ وَجِدِّهِمْ فِي إِرْشَادِ عِبَادِ اللَّهِ حَتَّى يُخْلَعُ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَلْفُ أَلْفِ حُلَّةٍ مِنْ نُورٍ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادِي رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ أَيُّهَا الْكَافِلُونَ لِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ النَّاعِشُونَ لَهُمْ عِنْدَ انْقِطَاعِهِمْ عَن آبَائِهِمُ الَّذِينَ هُمْ أَيْمَتُهُمْ هَؤُلَاءِ تَلَامِدَتُكُمْ وَالْأَيْتَامُ الَّذِينَ كَفَلْتُمُوهُمْ وَنَعَشْتُمُوهُمْ فَاخْلَعُوا عَلَيْهِمْ خِلْعَ الْعُلُومِ فِي الدُّنْيَا فَيُخْلَعُونَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيكِ الْأَيْتَامِ عَلَى قَدْرِ مَا أَخَذُوا عَنْهُمْ مِنَ الْعُلُومِ».

وقال الإمام علي عليه السلام: «مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِمًا بِشِرْعَتِنَا فَأَخْرَجَ ضِعْفَاءَ شِيعَتِنَا مِنْ ظُلْمَةِ جَهْلِهِمْ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ الَّذِي حَبُونَاهُ بِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ إِلَى أَنْ قَالَ: أَلَا فَمَنْ أَخْرَجَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْرَةِ جَهْلِهِ فَلَيْتَشَبَّثَ بِنُورِهِ لِيُخْرِجَهُ مِنْ حَيْرَةِ ظُلْمَةِ هَذِهِ الْعَرَصَاتِ إِلَى نُزْهَةِ الْجَنَانِ فَيُخْرِجُ كُلَّ مَنْ كَانَ عِلْمَهُ فِي الدُّنْيَا حَيْرًا أَوْ فَتَحَ عَن قَلْبِهِ مِنَ الْجَهْلِ قُفْلًا أَوْ أَوْضَحَ لَهُ عَن شُبْهَةٍ».

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «فَأَبْشَرُوا مَعَاشِرَ عُلَمَاءِ شِيعَتِنَا بِالثَّوَابِ الْأَعْظَمِ وَالْجَزَاءِ الْأَوْفَرِ».

وعن حمزة بن حمران قال: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنِ اسْتَأْكَلَ بِعِلْمِهِ افْتَقَرَ قُلْتُ: إِنَّ فِي شِيعَتِكَ قَوْمًا يَتَحَمَّلُونَ عُلُومَكُمْ وَيَبْشُرُونَهَا فِي شِيعَتِكُمْ فَلَا يَعْدُمُونَ

مِنْهُمْ الْبِرَّ وَالصَّلَاةَ وَالْإِكْرَامَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِمُسْتَأْكِلِينَ إِنَّمَا ذَاكَ الَّذِي يُفْتِي بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى مِنَ اللَّهِ لِيُبْطِلَ بِهِ الْحُقُوقَ طَمَعًا فِي حُطَامِ الدُّنْيَا».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «فَقِيهِ وَاحِدٌ يُنْقِذُ يَتِيمًا مِنْ أَيْتَامِنَا الْمُنْقَطِعِينَ عَنَّا وَعَنْ مُشَاهَدَتِنَا بِتَعْلِيمِ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ».

وعَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: «سَمِعْتُ الرِّضَا عليه السلام يَقُولُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا قُلْتُ: وَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ».

وقال عليه السلام: «يَأْتِي عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا الْقَوَامُونَ بِضِعْفَاءٍ مُجَبِّينَا وَأَهْلٍ وَلَايَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْأَنْوَارُ تَسْطَعُ مِنْ تِيَجَانِهِمْ إِلَى أَنْ قَالَ: فَلَا يَبْقَى هُنَاكَ يَتِيمٌ قَدْ كَفَلُوهُ وَمِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ أَنْقَذُوهُ وَمِنْ حَيْرَةِ التَّيْبَةِ أَخْرَجُوهُ إِلَّا تَعَلَّقَ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَنْوَارِهِمْ».

وقال عليه السلام: «يُقَالُ لِلْعَابِدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نِعَمَ الرَّجُلِ كُنْتَ هِمَّتُكَ ذَاتُ نَفْسِكَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُقَالُ لِلْفَقِيهِ: يَا أَبُهَا الْكَافِلُ لِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام الْهَادِي لِضِعْفَاءِ مُجَبِّبِهِمْ وَمُؤَالِيهِمْ فَفَ حَتَّى تَشْفَعَ لِمَنْ أَخَذَ عَنْكَ أَوْ تَعَلَّمَ مِنْكَ فَيَقِفُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعَهُ فِتْنَامٌ وَفِتْنَامٌ وَفِتْنَامٌ حَتَّى قَالَ عَشْرًا: وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ عُلُومَهُ وَأَخَذُوا عَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ وَعَمَّنْ أَخَذَ عَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَاَنْظُرُوا كَمْ فَرَقٌ مَا بَيْنَ الْمُتْرَلَتَيْنِ».

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «أَشَدُّ مِنْ يُتَمُّ الْيَتِيمِ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ أَبِيهِ يُتَمُّ يَتِيمِ انْقَطَعَ عَنْ إِمَامِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَلَا يَدْرِي حُكْمَهُ فِيمَا يُبْتَلَى بِهِ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ أَلَا فَمَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِمًا بِعُلُومِنَا فَهَذَا الْجَاهِلُ بِشَرِيعَتِنَا الْمُنْقَطِعُ عَنْ مُشَاهَدَتِنَا يَتِيمٌ فِي حِجْرِهِ أَلَا فَمَنْ هَدَاهُ وَأَرْشَدَهُ وَعَلَّمَهُ شَرِيعَتِنَا كَانَ مَعَنَا فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى».

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين محمد المصطفى الأمين، وآله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، والتابعين لهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

نقدم للقراء الأعزاء الأمانة كتاب (فقه الإسلام) طبقاً لفتاوى المرجعين الدينيين للطائفة جدنا العلامة البحراني الشيخ حسين بن محمد آل عصفور تذت وعمه المحقق البحراني فقيه أهل البيت الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور تذت ويحتوي على أهم مباني العقيدة ومسائل الأحكام الشرعية التي استقينها من جملة من مصنفاتهما الفقهية ومن عشرات المصادر الأخرى، وقد صغناها بمجموعها في حلّة عصريّة جديدة متكاملة شاملة متناسب وتناسق في أسلوبها ولغتها مع ما تحتاج إليه البشرية من فهم حقيقي وواقعي للإسلام لتستنير به في حياتها في واقعنا المعاصر تلبية لرغبة جمع كثير من مقلديهما في البحرين وخوزستان والكويت وأفغانستان وغيرها بعد إلحاح متكرر وطلب مستمر لإصداره على مدى سنوات.

ونشير إلى مختار كل واحد منهما برمز (العلامة) و(المحقق) في موارد الاختلاف بينهما في بعض المسائل تارة في المتن وأخرى في الهامش حسب اقتضاء السياق وترتيب نظم مسائل الكتاب.

ونستعرض بشكل مفصل في هذه الرسالة العملية العالمية بأسلوب جديد لأول مرة فقه الإسلام الأصيل الدين الإلهي الخاتم في خطوطه العريضة المتكاملة والجامعة وفق هذه الأسس:

أ- صياغة منظومة متكاملة لفكر الإنسان تمكنه من الاتصاف بعقل رزين وفكر رصين يتفاعل به مع الكون والواقع الذي يعيش فيه عن معرفة وبصيرة ودراية.

ب- وخلق راقٍ يتفاعل به مع الحياة المحيطة به بالتزام القيم والمبادئ والمثل المثالية السامية في كل أفعاله وسلوكياته لتحقيق الإنسان المثالي وفق الرؤية الشاملة التي جاء بها هذا الدين الإسلامي الخاتم للأديان.

ج- وروح طاهرة تصله بالله الخالق الباري جلّ وعلا وتدفعه لإبراز صور العبوديّة الحقّة وفروض الطاعة له والامتثال لأوامره والتفاني في الإخلاص له بالعلم والعمل كما شرع له وسنّ وأمر ونهى وندب.

ومن الواضح أن هذه الأسس الثلاثة في شخصيّة الانسان المسلم يكمل كل واحد منها الآخر ويعضده ويتفاعل معه.

والإنسان الذي استقر وجوده الخاص عليها إنسان عارف بمبدئه وخاتمه وبالوجود والعالم الذي يعيش فيه وبصير بما يحقق له العبودية الحقّة وأسس سعادته الدنيوية والأخروية ويعبر بسلوكه في حياته اليوميّة وتعامله مع الآخرين عن مبادئه الاخلاقية المثالية السامية فليس في وجود هذا الانسان ثمة انفصام وانفصال بين حقيقة عالم الوجود والسلوك الواقعي الذي يطالب بالالتزام به وبين المبادئ والمعارف الدينية والاعتقادية التي يدين بها بحكم انتمائه لهذا الدين العظيم كما هو المشاهد في الانسان غير المتكامل وغير المتجانس والمتفاعل في بقية المدارس العقديّة والسلوكية الأخرى.

## منهجنا في هذا الكتاب

ونبدأ في كتابنا هذا بسرد وعرض ثلاثة أحاديث نبوية شريفة نجعل منها منطلقاً تأسيسياً لمحاور موضوعات هذا الكتاب:

قال خاتم المرسلين الْمُصْطَفَى مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ:

١- «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَلَا أُمَّةَ بَعْدَكُمْ إِلَّا فَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَحُجُّوا بَيْتَ رَبِّكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيْبَةً بِهَا نَفْسُكُمْ وَأَطِيعُوا وُلاةَ أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»<sup>١</sup>.

(١) وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢٣، رقم الحديث ٢٥، ط مؤسسة آل البيت.

٢- «جَاءَنِي جَبْرَيْلُ فَقَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ الْإِسْلَامُ عَشْرَةٌ أَسْهُمٌ وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فِيهَا أَوْلَاهَا شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ الْكَلِمَةُ وَالثَّانِيَةُ الصَّلَاةُ وَهِيَ الطُّهُرُ وَالثَّلَاثَةُ الزَّكَاةُ وَهِيَ الْفِطْرَةُ وَالرَّابِعَةُ الصَّوْمُ وَهُوَ الْجَنَّةُ وَالْخَامِسَةُ الْحَجُّ وَهُوَ الشَّرِيعَةُ وَالسَّادِسَةُ الْجِهَادُ وَهُوَ الْعِزُّ وَالسَّابِعَةُ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ الْوَفَاءُ وَالثَّامِنَةُ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ الْحُجَّةُ وَالتَّاسِعَةُ الْجَمَاعَةُ وَهِيَ الْأُلْفَةُ وَالْعَاشِرَةُ الطَّاعَةُ وَهِيَ الْعِصْمَةُ»<sup>١</sup>.

٣- «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى عَشْرَةِ أَسْهُمٍ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ الْمِلَّةُ وَالصَّلَاةُ وَهِيَ الْفَرِيضَةُ وَالصَّوْمُ وَهُوَ الْجَنَّةُ وَالزَّكَاةُ وَهِيَ الْمُطَهَّرَةُ وَالْحَجُّ وَهُوَ الشَّرِيعَةُ وَالْجِهَادُ وَهُوَ الْعِزُّ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَهُوَ الْوَفَاءُ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُوَ الْحُجَّةُ وَالْجَمَاعَةُ وَهِيَ الْأُلْفَةُ وَالْعِصْمَةُ وَهِيَ الطَّاعَةُ»<sup>٢</sup>.

واستنادا لما تضمنته هذه الأحاديث النبوية الشريفة فقد رتبنا كتابنا على مقدمة في فقه التقليد وعشرة أقسام، ووزعنا هذه الأقسام على خمسة أجزاء:

الجزء الأول: يحتوي على مقدمة في فقه التقليد وخمسة أقسام:

القسم الأول: في فقه الإسلام.

القسم الثاني: في فقه معرفة الخالق وتوحيده.

القسم الثالث: في فقه الإنسان.

القسم الرابع: في فقه عوالم الإنسان من بدء وجوده إلى خاتمة مطافه.

القسم الخامس: في فقه القيادة الإلهية.

الجزء الثاني: يحتوي على القسم السادس: في فقه العبادات الرئيسية ويختص بعرض مسائل:

١- فقه النظافة والطهارة

الجزء الثالث: ويختص بعرض مسائل:

٢- فقه الصلاة

(١) نفس المصدر السابق، ص ٢٢، رقم الحديث ٢٣.

(٢) نفس المصدر السابق، ص ٢٦، رقم الحديث ٣٢.

الجزء الرابع: ويختص بعرض مسائل:

٣- فقه الصوم

٤- فقه الاعتكاف

٥- فقه الحج

الجزء الخامس: ويحتوي على بقية الأقسام العشرة وهي:

القسم السابع: في فقه المال والأعمال

فقه المال

فقه النقد والعملات الرقمية

قبض وحيازة المال

المال مجهول المالك

المال ونشأة التمايز الطبقي

الحلول الشرعية للقضاء على الفقر

تحديد الجهات المسؤولة عن الإنفاق وتدرجها

قيمة الإنسان المالية (تقدير ديات القتل والأعضاء)

فقه بيت مال المسلمين

موارد تأمين بيت المال (ميزانية الدولة)

القسم الأول: مصادر دعم وتأمين ميزانية الدولة:

١- الضرائب المالية

٢- رسوم الخدمات

٣- التعزيرات والجزاءات المالية

٤- الموارد الطبيعية (المنابع الطبيعية والثروات)

القسم الثاني: الموارد المالية الشرعية لمكافحة ظاهرة الفقر و تقليل فجوة

التفاوت الطبقي:

١- الزكاة

٢- الخمس

٣- النذور

٤- الوصايا (الوصية بالعطية)

٥- الهدايا والعطايا والتبرعات

٦- الهبات

٧- الكفارات

٨- الصدقات

٩- الأوقاف الخيرية

١٠- الميراث

**فقه الأعمال**

فقه الأعمال والأنشطة المهنية

فقه الأعمال والأنشطة التجارية

فقه الإيداع والاستثمار (البنوك الإسلامية)

فقه التأمين التكافلي

**القسم الثامن: في فقه الأمن والاستقرار:**

١- فقه الجهاد الابتدائي والدفاعي

٢- الجهاد الأكبر (جهاد النفس)

٣- فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٤- فقه النصح

٥- فقه الوعظ

**القسم التاسع: في طاعة ولاة الأمر.**

**القسم العاشر: في فقه الوحدة والتعايش السلمي مع المذاهب والأديان.**

وكان الباعث على التقيد بهذا التقسيم بهذا النحو هو ما أشارت إليه الأحاديث النبوية الشريفة التي قدمنا عرضها.

وقد عزمنا بمشيئة الله تعالى ضمن خطتنا لإصدار هذا الكتاب ونشره مضافاً للغة العربية أن يترجم بعدة لغات أخرى ليكون أول رسالة عملية عالمية لفقهاء البحرين تنتشر عالمياً وتتميز بالمحتوى والأسلوب والشمولية في الطرح وتتفوق بحمد الله وفضله وكرمه وتوفيقه وتسديده على جميع الرسائل العملية المطروحة من قبل المرجعيات الدينية الأخرى لتكون في متناول شيعة آل البيت في جميع أنحاء العالم وكل من يريد أن يتعرف على الإسلام الأصيل الذي جاء به مدرسة خاتم المرسلين ﷺ وأئمة عترته المعصومين من أهل البيت (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، أملين أن يسد فراغاً طال انتظاره، وما توفيقنا إلا بالله عليه توكلنا وإليه ننيب.

### المؤلف

محسن بن حسين بن خلف آل عصفور

بتاريخ عيد الغدير الأغر ١٨ / ١٢ / ١٤٤١ هـ

الموافق ٨ / ٨ / ٢٠٢٠ م

## جمل الإطراء والإشادة والتبجيل

### في حق المرجع الديني للطائفة معجزة الفقهاء العلامة البحراني الشيخ حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور

أطبق كل من عاصره وتلا عصره من أرباب التراجم وأساطين المعاجم على تبجيله وإعظام شأنه وإكبار شخصه وتضلعه في العلوم الشرعية وتبحره في التحقيق والتدقيق والموسوعية في التصنيف والتأليف ونسوق إليك جملة منها لتقف عليهما:

١- قال العلامة الميرزا محمد النيشابوري (ت ١٢٣٣ هـ) في وصفه: «أمين الشريعة ومعجز الشيعة سيدنا وأستاذنا الشيخ حسين العلامة من آل عصفور».

٢- وأضاف في إجازته لابنه الشيخ حسن بعد سرد جمل من أوصافه ومحاسنه: «وهو معدن المعارف، وكثر الإفادة، وكعبة الفضائل، تصانيفه في سماء الشريعة كواكب، وتأليفه لجمع الفوائد مواكب، المجدد لأثار الشريعة، والحافظ لنا موس الشيعة».

٣- وقال عنه جدنا الشيخ خلف بن الشيخ أحمد آل عصفور في إجازته للسيد شهاب الدين المرعشي ما لفظه: «الأسعد العلامة الأغر والمجدد للشرع الأنور في القرن الثاني عشر مولى المولين شيخ الكل في الكل الشيخ حسين طاب ثراه».

٤- وقال عنه الشيخ خلف بن الشيخ عبدعلي آل عصفور في كتابه مزيلة الشبهات: «شيخنا علامة الزمان ونادرة العصر والأوان، جدي لأبي الشيخ حسين... الخ».

٥- وقال عنه الشيخ عبدعلي بن الشيخ خلف آل عصفور في إجازته للشيخ محمد بن إبراهيم آل عصفور:

«شيخ العلماء ونبراس الفضلاء مجدد ما اندرس من آثار الدين والملة المحمدية

ومحيي ربوع آثار الطريقة الإثني عشرية، نادرة الزمان وأغلوطة العصر والأوان، البحر الذي لا نهاية له، والحر الذي لا غاية له، المقدس، شيخ الكل في الكل الشيخ حسين العلامة».

٦- وقال عنه الشيخ محمد علي آل عصفور في كتابه تاريخ البحرين:

«هو أحد أولئك الأجلّة، وواحد تلك البدور والأهله، ناشر لواء التحقيق، جامع معاني التصور والتصديق، سيد المشائخ والمحققين، وسند المجتهدين والمحدثين، الشيخ الأكبر ومجدد المذهب في القرن الثاني عشر، كما هو اعتقاد جماعة منهم المحقق النيشابوري في قلع الأساس، والشيخ الأمدج الشيخ أحمد الإحسائي في جوامع الكلم، وهو علامة البشر وإليه انتهت رياسة المذهب في هجر وذكره شيخ الحواشي في كتابه وسماه بالبحر الزاخر، وفوّضت إليه أمور الشريعة في سنة ألف ومائتين بعد أخذه عن الجهابذة من علماء عصره، فصيّر بيت العلم مصره، وحضره جمع من العلماء واستفادوا عنه في علوم شتى، أكثرهم حفظاً بالأحاديث الشريفة وأشدّهم اطلاعاً بفتاوي أرباب المذاهب خصوصاً الشيعة».

٧- وقال عنه تلميذه الشيخ مرزوق الشويكي في الدرر الهمية:

«هذا الشيخ أجل من أن يذكر، وفضله وشرفه أعظم من أن يشهر قد انتهت إليه رئاسة الإمامية حيث لم تسمع الأذان ولم تبصر الأعيان مماثلاً له في عصره، قد بلغ النهاية وجاز الغاية كان محققاً مدققاً مصنفاً ماهراً ورعاً زاهداً أديباً ملاذاً للأنام وحرزاً للأيتام، لم نره قطّب في وجه أحد إلا حال غضبه للأحد، صار لي أبر وأعطف من الوالد الرؤوف والأب العطوف، ويؤيد ذلك أني كنت يوماً من الأيام معي بعض المرض وكنت معه، فلما فرغ من التصنيف وقت الظهر انصرفت عنه نحو البيت فنمت فرأيت كأني جالس وأبي معي، وفي يده رمانة جيدة، فقال لي: كلفها، حيث إنك مريض، وكان والدي مسافراً للخط لبعض الحوائج، فأكلتها، ولما أتيت لخدمة شيخي فهم أني لم أتغدّ، أمر لي برمانة كأنها تلك بعينها، فقال لي: كلفها، فأكلتها أخبرته بعد بالرؤيا، فقال لي: أنا أبوك الحقيقي، بل أشفق عليك منه، وهو في مقاله صادق، كفاه الله

شر العوائق.

كان - أيده الله - كثيراً ما يخبرنا بالأشياء التي لم تتقع فتكون على وفق ما يخبرنا به، كان عنده من علم الغيب، وقد شاهدنا منه كرامات لا تحصى. كان رحيماً رؤوفاً كثير الغض عمن أساء إليه صابراً على أعظم الأحوال، جواداً كريماً، يكل عنه وصف الواصفين ونعت الناعتين، لقد صَنَّفَ فأكثر، وقد ذكر أكثر كتبه معددة في إجازته لي، لا زال محروساً من الشرور وكيد الدهور».

٨- وقال عنه تلميذه الشيخ أحمد المحسني الأحسائي في إجازته للشيخ عبدالله الكعبي العامري:

«شيخي وأستاذي ومن رباني بالعلوم العقلية والنقلية وغذاني، شيخنا ومولانا الإمام الأعظم، الشيخ حسين بن المقدس الشيخ محمد...».

٩- وقال عنه تلميذه الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي في جوامع الكلم:

«شيخنا حاوي الفخر والزين ومشنّف الأذن والعين ونادرة الآن والأين وأغلوطة الكون في ذين وجالي العى والغين ومروج المذهب بلا مين ومجدد دائرته على رأس الألف والمأتين ومزيل الزلل والمين ومقيم الأود من البين شيخنا في علوم الدارين والمعلم في السياستين شيخنا الشيخ حسين بن المرحوم المقدس المجدد الشيخ محمد بن المبرور الأسعد الشيخ أحمد بن عصفور البحراني الدرزي».

وقال في موضع آخر كما في كتاب الذخائر: «وهو علامة البشر وإليه انتهت رئاسة المذهب في هجر».

١٠- وقال عنه تلميذه الشيخ عبدالمحسن اللوليبي الأحسائي في إجازته للشيخ مال الله القطيفي: «شيخنا وأستاذنا الجامع للمعقول والمنقول من الفروع والأصول، وحيد دهره وفريد عصره المبرور، خدين الولدان والخور... الخ».

١١- وقال عنه الشيخ جعفر بن الشيخ محمد العوامي في إجازته للسيد مهدي الغريفي ما لفظه: «نادرة الوقت الأمين الشيخ حسين بن الشيخ محمد».

١٢- وقال الشيخ علي بن حسن البلادي البحراني رحمته الله في كتابه أنوار البدرين (ت ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م):

«العلامة الفاضل الفهامة الكامل خاتمة الحقاظ والمحدثين وبقية العلماء الراسخين الإخباريين، الفقيه النبيه الشيخ حسين ابن العالم الأمجد الشيخ محمد ابن الشيخ أحمد آل عصفور الدرازي البحراني. كان رحمه الله تعالى من العلماء الربانيين والفضلاء المتبعين والحقاظ الماهرين من أجلّة متأخري المتأخرين وأساطين المذهب والدين، بل عدّه بعض العلماء الكبار من المجددين للمذهب على رأس ألف ومائتين، كان يضرب به المثل في قوة الحافظة، ملازماً للتدريس والتصنيف والمطالعة والتأليف، مواظباً على تعزية الحسين عليه السلام في بيته في كل وقت منيف، لا تخلو أوقاته من بعض ما ذكرناه... وبالجملة فهو من أكابر علماء عصره وأساطين فضلاء دهره علماً وعملاً وتقوى ونبلاً، وبحثه مملوء من العلماء الكبار من البحرين والقطيف والأحساء وأطراف تلك الديار وفتاواه وأقواله منقولة كثيرة مشتهرة من تلامذته وغيرهم في حياته وبعد وفاته ضاعف الله حسناته».

١٣- وقال عنه الشيخ آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م): في الكرام البررة: «كان من كبار علماء عصره ومشاهيرهم، كان زعيم الفرقة وشيخها المقدم وعلاّمها الجليل، وكان من المصنفين المكثرين المتبحرين في الفقه والأصول والحديث وغيرها وهو أحد شيوخ الإجازة لجمع من المتأخرين.. انتهت إليه الرياسة الدينية ومرجعية التدريس وزعامة سائر تلك الأطراف».

١٤- ونقل الشيخ الأميني في شهداء الفضيلة، عن صاحب الأنوار:

«هو من أكابر علماء عصره، وأساطين دهره، علماً وعملاً وتقوى ونبلاً وبحثه مملوء من فضلاء العلماء الكبار من البحرين والقطيف والأحساء وأطراف تلك الديار.. وفتاواه وأقواله كثيرة مشتهرة».

١٥- وقال عنه المحدّث القمي في الفوائد الرضوية:

«كان شيخ الإخبارية في عصره وعلامتهم في وقته، متبحراً في الفقه والحديث، طويل الباع، كثير الاطلاع معروف بكثرة الحافظة».

١٦- وقال عنه السيد محسن الأمين في أعيان الشيعة:

«متبحر في الفقه والحديث طويل الباع كثير الاطلاع، انتهت اليه الرئاسة والتدريس واجتماع طلبه العلم عليه من تلك البلاد وبلاد القطيف والاحساء وغيرها».

١٧- وذكره المحقق الشيخ محمد حسن النجفي في كتاب جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام: «البحر الزاخر فوضت إليه امور الشريعة في سنة ألف ومائتين بعد أخذه عن الجهابذة من علماء عصره، فصير بيت العلم مصره وحضره جمع من العلماء واستفادوا عنه في علوم شتى أكثرهم حفظاً بالأحاديث الشريفة، وأشهدهم اطلاعاً بفتاوى أرباب المذاهب خصوصاً الشيعة».

١٨- وقال عنه الشيخ محمد طاهر الخاقاني (ت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م): «لو لم يقم

الدليل على انحصار الأئمة عليهم السلام في اثني عشر، لقلت أنه ثالث عشرهم».

١٩- وقال الزركلي في الأعلام:

«حسين بن محمد بن احمد بن عصفور الدرازي الشاخوري البحراني فقيه إمامي باحث من أهل البحرين من قرية الشاخورة قتل في معركة بالبحرين له ٣٦ كتاباً منها (الحقائق الفاخرة. ط) و(السوانح النظرية. خ) كلاهما فقه».

٢٠- وقال عنه حيدر بن صالح رئيس جمعية التوجيه الديني في النجف الأشرف في

كتابه (جولة في شواطئ الخليج) ما لفظه: «العلامة المجتهد الأكبر حجة الإسلام الشيخ حسين».

٢١- وقال عنه حسن الأشكوري في دائرة المعارف الإسلامية الكبرى: «وقد عرف

عنه بأنه أكبر فقيه أخباري في عصره، وما يصفه البعض بأنه كان مجدداً للدين في مطلع القرن الثالث عشر يؤيد مكانته العلمية والفقهية، ودوره في ترويح الدين، وكان ملماً بأكثر العلوم المتداولة في عصره يؤيد ذلك تأليفه المتنوعة».

٢٢- وجاء في كتاب أعلام كربلاء في حرف الحاء:

«الشيخ حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور البحراني: ابن أخ الشيخ يوسف صاحب الحدائق، كان شيخ الأخبارية في عصره، انتهت إليه الرئاسة والتدريس، توفي ليلة الأحد ٢١ شوال سنة ١٢١٦ هـ. له: كشف اللثام، الأنوار الوضوية، أنوار اللوامع، باهر العقول».

٢٣- وجاء في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين:

«سيرة الشاعر:

حسين محمد أحمد إبراهيم آل عصفور سنة الوفاة ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م.  
شاعر من البحرين.

الإنتاج الشعري:

- له ديوان «الفوادح الحسينية» في رثاء الحسين، ووردت له قصيدة في كتاب:

«موسوعة شعراء البحرين».

الأعمال الأخرى:

- له الكثير من المؤلفات الدينية، منها: رسائل أهل الرسالة ودلائل أهل الدلالة،

ووفيات النبي والأئمة، ورسالة الأشراف في المنع عن بيع الأوقاف، ومفاتيح الغيب والتبيان في تفسير القرآن، وكشف اللثام في شرح أعلام الأنام في التوحيد، والأنوار الضوية في شرح الأحكام الرضوية.

قصيدة غزلية، تصف المحبوبة، ومشهد رحيلها، بعبارات وصور مجلوبة من مآثور

الغزل التقليدي، بدءاً بوصف المطي، وانتهاءً بتشبيهها بالريم».

٢٤- ووصفه الأستاذ علي الغديري في مقال له عقده لترجمته بقوله: «زعيم

الإمامية، خاتمة المحدثين، رئيس المذهب والدين، المجدد على رأس ألف ومائتين، العلامة الفهامة، البحر الزاخر، إمام الحُقَاط وشيخ الوُعَاط. الفقيه النبيه ومن اجتمعت أوصاف العبقرية فيه الذي ليس له في الفضل من يدانيه، المحدث الصدوق، العَلَم المشهور، والشرف الموفور، الفَطْن السُّرُور، ومَن صيته أفوح من

المسك وأضوع من الكافور، الشيخ حسين بن الشيخ محمد آل عصفور».

٢٥- وجاء في ويكيبيديا الموسوعة الحرة في شبكة الانترنت ما نصه:

«الشيخ حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور الدرازي البحراني (القرن الثاني عشر الهجري ١٢١٦ هـ). هو رجل دين وفقيه ومُحدِّث ومرجع ومُفسِّر شيعي بحراني، كان من كبار أعلام المدرسة الأخبارية-التي تختلف في بعض الأمور الاستنباطية عن المدرسة الأصولية- في عصره. ويتناقل الشيعة قصصاً كثيرة عن قوة حفظه بل ويُضرب به المثل عندهم في قوة الحافظة».



## جمل الإطراء والإشادة والتبجيل في حق المرجع الديني للطائفة المحقق البحراني الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور

أطبق كل من عاصره وتلا عصره من أرباب التراجم وأساطين المعاجم على تبجيله وإعظام شأنه وإكبار شخصه وتضلعه في العلوم الشرعية وتبحره في التحقيق والتدقيق والموسوعية في التصنيف والتأليف ونسوق إليك جملة منها لتقف عليها:

١- قال الشيخ علي البلادي البحراني في أنوار البدرين: «العالم العامل الجليل الفاضل الكامل النبيل عديم النظير والمثيل العلامة المنصف الرباني الشيخ يوسف بن العالم الأرشد الشيخ أحمد بن الشيخ إبراهيم آل عصفور الدرزي البحراني رحمته الله صاحب الحقائق الناضرة وغيره من المصنفات الفاخرة شيخ مشايخ العراق والبحرين العري من كل وصمة وشين... هذا الشيخ المستقل بالجمال المعنوي والصوري هذا الشيخ العالم من أكابر علماء الإيمان والإسلام ومن أعظم أرباب النقض والإبرام. وقد ذكره كل من تأخر عنه وأثنوا عليه الثناء الجميل علماً وعملاً وتقوى ونبلاً... وبالجملة فهذا الشيخ من أعظم العلماء وأكابر أساطين علماء الإسلام ومن وقف على كتبه وفوائده كالحقائق والدرر النجفية والرضاعية والشهاب الثاقب وسلاسل الحديد ولؤلؤة البحرين وغير ذلك عرف حقيقة الحال والرجال تعرف بالحق لا الحق بالرجال».

٢- وقال في شأنه الشيخ أبوعلي محمد بن إسماعيل الرجالي الحائري في كتابه منتهى المقال في أحوال الرجال:

«عالم فاضل متتبع ماهر محدث ورع عابد صدوق دين من أجلة مشايخنا المعاصرين وأفاضل علمائنا المتبحرين».

٣- وقال الأمير عبد الباقي سبط العلامة المجلسي في منتخب لؤلؤة البحرين: «كان فاضلاً عالماً محققاً نحريراً مستجمعاً للعلوم العقلية والنقلية».

٤- وقال المحقق التستري الشيخ أسد الله في مقابسه:

«العالم العامل المحقق الكامل المحدث الفقيه المتكلم الوجيه خلاصة الأفاضل الكرام وعمدة الأمائل العظام الحاوي من الورع والتقوى أقصاهما ومن الزهد والعبادة أسناهما ومن الفضل والسعادة أعلاهما ومن المكارم والمزايا أغلاهما الرضي الزكي التقي النقي المشتهر فضله في أقطار الأمصار وأكناف البراري المؤيد بعواطف ألطف الباري».

٥- وقال العلامة الفهامة المحدث ميرزا محمد النيسابوري الاسترابادي في رجاله: «كان فقيهاً محدثاً ورعاً».

٦- وقال الفاضل الخوانساري في روضات الجنات:

«العالم الرباني والعالم الإنساني شيخنا الأفقه الأوحد الأحوط الأضبط صاحب الحدائق الناضرة والدرر النجفية ولؤلؤة البحرين وغير ذلك من التصانيف الفاخرة الباهرة التي تلذ بطالعتها النفس وتقر بملاحظتها العين لم يعهد مثله من بين علماء هذه الفرقة الناجية في التخلق بأكثر المكارم الزاهية من سلامة الجنبه واستقامة الدربة وجودة السليقة ومتانة الطريقة ورعاية الإخلاص في العلم والعمل والتحلي بصفات طبقاتنا الأول والتخلي عن رذائل طباع الخلف الطالبين للمناصب والدول».

٧- وقال مؤلف نجوم السماء في تراجم العلماء ما معرّبه: «صاحب الحدائق من العلماء المتأخرين والكمال المحدثين والفقهاء المتبحرين وأعظم أصحاب الدين وأرباب الإنصاف والاعتدال بين طريقي الأصوليين والإخباريين».

٨- وقال العلامة المولى شفيع الجابلي في إجازته الكبيرة المسماة بالروضة البهية في الإجازات الشفيعية:

«أما الشيخ المحدث المحقق الشيخ يوسف قدس سره صاحب الحدائق فهو من

أجلاء هذه الطائفة كثير العلم حسن التصانيف نقي الكلام بصير بالأخبار المروية عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين يظهر كمال تتبعه وتبحره في الآثار المروية بالنظر إلى كتبه سيما الحقائق الناضرة فإنه حقيق ان يكتب بالنور على صفحات وجنات الحور وكل من تأخر عنه استفاد من الحقائق الناضرة جزاه الله عن الإسلام وأهله أفضل جزاء المحسنين وكان ثقة ورعاً وعابداً زاهداً.. وبالجملة هذا الشيخ من فحول العلماء الأجلة فليُنظر إلى ما وقع على هذا الشيخ من البلايا والمحن ومع ذلك كيف أشغل نفسه وصنف تصنيفات فائقة».

٩- وقال العلامة الكبير المحدث النوري في خاتمة مستدركه في عد مشايخ السيد الأجل بحر العلوم في وصفه: «العالم العامل المحدث الكامل الفقيه الرباني... وكان عالماً فاضلاً محدثاً متبوعاً إخبارياً».

١٠- وقال الفاضل الشويكي في الدرر البهية: كان فضلاً محققاً مدققاً لم يكن له في عصره ثاني لقد صنف فأكثر واشتهرت مصنفاته وكتبه.

١١- وقال المحدث الشيخ عباس القمي في الفوائد الرضوية ما معربه: «هو الشيخ العالم العابد العامل والمحدث والورع الكامل الفاضل المتبحر الجليل المتبوع الماهر النبيل مرجع الفقهاء الأعلام وفقهه أهل البيت عليهم السلام عالم رباني وفقهه بحراني صاحب التصانيف الرائقة النافعة الجامعة التي أحسنها الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة وهو كتاب جليل في الغاية كثير النفع».

١٢- وقال أيضاً في كتابه هدية الأبواب: «عالم فاضل محدث ورع كامل مرجع الفقهاء الأعلام فقيه أهل البيت عليهم السلام».

١٣- وقال الحجة الأميني في شهداء الفضيلة: «فقيه الطائفة ومحدثها الكبير الشيخ يوسف بن أحمد وكتابه الحقائق الدائر السائر بين الفقهاء ينم عن غزارة علم مؤلفه وتضلعه في العلوم وتبحره في الفقه والحديث كما يشف كتابه لؤلؤة البحرين عن سعة اطلاعه على أحوال الرجال وطرق إجازات المشايخ».

١٤- وقال العلامة الخياباني في ریحانة الأدب في المعروفين بالكنى واللقب: «عالم رباني فقيه جليل محدث نبيل محقق مدقق علامة متبحر عابد زاهد متدين متخلق بمكارم الأخلاق حاز غاية الشهرة في العلم والعمل وجودة السليقة».

١٥- وقال مترجمه في مقدمة الحدائق المطبوع في إيران في مدينة تبريز سنة ١٣١٥ هـ: «ومن صرف لخدمة هذا العلم (الفقه) أيامه واشتغل بتحقيقه شهره وأعوامه وكان ممن قدح في زند الفضل فأورى وجمع من نكات العلم فأوعى الشيخ الجليل والحبر النبيل فريد عصره ووحيد دهره الجامع بين رتبتي الرواية والدراية والرافع من ألوية الفضائل أرفع راية المحقق الفاضل المدقق ومحدث الزمان وراوي الأوان المستخرج من تيار أنواع العلوم غوالي اللئالي الشيخ يوسف... فإنه رحمته ممن حاز في هذه الأعصر الأواخر قصبات السبق في مضمار التحقيق واستنزل عصم المشكلات من معاقلها فأخذ منها المسك الفتيق وغاص بحار الأخبار فاستخرج ما يزرى باللؤلؤ الثمين ولا غرو في ذلك فإنه من بحرين».

١٦- وقال السيد إبراهيم الموسوي الزنجاني في كتابه جولة في الأماكن المقدسة: «المحدث الكبير والفقيه الأكبر الشيخ يوسف بن الشيخ أحمد بن إبراهيم».

١٧- وقال المولى أحمد النراقي في أحد إجازاته لبعض معاصريه على ما حكاه عنه الخوانساري في روضاته عند عد سلسلة مشائخ إجازات والده المولى محمد مهدي النراقي ما لفظه: «وثانيم المحدث الفاضل والفقيه الكامل العالم الورع العامل صاحب الحدائق الناضرة وغيره من المصنفات الكثيرة الفاخرة الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم البحراني».

١٨- وقال الزركلي: «فقيه إمامي غزير العلم»<sup>١</sup>.

١٩- وقال السيد محسن الأمين: «من أفاضل علمائنا المتأخرين، جيد الذهن، معتدل السليقة، بارع في الفقه والحديث»<sup>٢</sup>.

(١) الأعلام: ج ٨، ص ٥١٢.

(٢) أعيان الشيعة: ج ١، ص ٧١٣.

٢٠- وقال الدكتور منصور سرحان: «الشيخ يوسف بن أحمد بن إبراهيم آل عصفور اشتهر بلقب الدرازي البحراني، ولد في قرية الماحوز سنة ١١٠٧ هـ، إلا انه يطلق عليه الدرازي نسبة إلى دار سكنى آبائه في قرية الدراز. ويعد الشيخ يوسف من بين ألمع علماء آل عصفور وعلماء البحرين والشيعة قاطبة في القرن الثاني عشر الهجري وأغزرهم علماً وإنتاجاً، واشتهر بصاحب (الحدائق) و(لؤلؤة البحرين). ودرس على يد والده الشيخ أحمد بن إبراهيم والعلامة الشيخ حسين الماحوزي، والشيخ أحمد بن عبدالله البلادي»<sup>١</sup>.

---

(١) إسهامات أسرة آل عصفور في تاريخ البحرين العلمي: ص ٣٦.



# المقدمة

في فقه التقليد



## معنى التقليد

**مسألة ١:** التقليد لغة مأخوذ من تقلد السيف إذا وضعه في غمده وتحزم به أو من وضع القلادة في العنق إذا ارتداها.

واصطلاحاً هو رجوع العامي للفقهاء العالم بأحكام الشريعة المتصرف بصفات خاصة بوضع مسؤولية أعماله في عنقه وتحت مسؤوليته، وإيكال الأمر إليه في الفحص والبحث وتشخيص الحكم الشرعي موضع الابتلاء.

فيكون رجوعه إليه أشبه شيء بالتوكيل في ذلك والعمل بمقتضى ما يعثر ويشخصه ويتوصل إليه بعد المراجعة لمصادر التشريع المنصوص عليها والبحث والتقصي لجزئيات الأدلة الشرعية الخاصة والعامة.

**مسألة ٢:** التقليد بالمعنى العملي هو علاقة التزام متقابلة بين العامي المكلف والعالم الفقيه، يلزم بموجبه على الأول التبعية للثاني والرجوع إليه والأخذ منه وتلقي الأحكام الشرعية عنه والالتزام بالعمل بما يخبره منها ويحاسب على مدى الانضباط والتقيدها أو التسويف والإهمال لها يوم القيامة.

## مبدأ التقليد في الإسلام

**مسألة ٣:** جميع الأمة الإسلامية مأمورون بالتمسك بالكتاب ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾<sup>١</sup> والسنة النبوية الشريفة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>٢</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>٣</sup> للأخبار المأثورة الكثيرة ولا سيما الخبر الصحيح المستفيض بين الفريقين المروي بطرق عديدة ومتون متقاربة من قول رسول الله ﷺ: «إني تاركٌ فيكم الثقلين»، وفي بعض طرقه: «مُخَلَّفٌ فيكم»، وفي بعضها: «خليفتين»

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

عوض الثقلين: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما» (المحقق).  
وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال:

١- «أيها الناس إن الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرسول ﷺ وأنزل إليه الكتاب بالحق وأنتم أميون عن الكتاب ومن أنزله، وعن الرسول ومن أرسله، على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض من المبرم، وعسى عن الحق، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدين، وتلطي من الحروب، على حين اصفرار من رياض جنات الدنيا، ويبس من أغصانها، وانتثار من ورقها، ويأس من ثمرها، واغورار من مائها قد درست أعلام الهدى، فظهرت أعلام الردى، فالدنيا متهجمة في وجوه أهلها مكفهرة، مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف، ودثارها السيف، مزقتم كل ممزق وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التراب المؤودة بينهم من أولادهم، يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدنيا لا يرجون من الله ثواباً ولا يخافون والله منه عقاباً، حيمهم أعمى نجس وميتهم في النار مبلس، فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى، وتصديق الذي بين يديه، وتفصيل الحلال من ريب الحرام.

ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم، أخبركم عنه، إن فيه علم ما مضى، وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة، وحكم ما بينكم وبين ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلمتكم».

٢- وعنه عليه السلام أنه قال في خطبة له: «وإنما الناس رجلان: متبع شرعة، ومبتدع بدعة، ليس معه من الله برهان سنة، ولا ضياء حجة».

٣- وعنه عليه السلام أيضاً - في حديث - أنه سئل عن اختلاف الشيعة فقال: «إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ، بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ، فَأَعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ. يَا حَارِ، إِنَّ الْحَقَّ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَالصَّادِعُ بِهِ مُجَاهِدٌ، وَبِالْحَقِّ أُخْبِرُكَ فَأَرَعْنِي سَمْعَكَ، ثُمَّ خَبِّرْ بِهِ مَنْ كَانَتْ لَهُ حَصَانَةٌ مِنْ أَصْحَابِكَ... الخ».

٤- وعنه عليه السلام أنه خطب ذات يوم في الناس فقال: «أيها الناس إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله، يتولى فيها رجال رجالاً، فلو أن الباطل خلس لم يخف على ذي حجي، ولو أن الحق خلس لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضعف ومن هذا ضعف فيمزجان فيجيئان معا فهنالك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى».

**مسألة ٤:** إن التقليد والمتابعة في الأقوال والأفعال في عصر الرسالة النبوية لا يجوز إلا لشخص رسول الله ﷺ، ومن بعده لخلفائه المنصوص على إمامتهم وعصمتهم.

**مسألة ٥:** الواجب على جميع المكلفين من عامة الناس ذكورهم وإناثهم بعد غيبة آخر الأئمة الحجة القائم المهدي عليه السلام إنما هو الرجوع إلى الكتاب والسنة النبوية الشريفة وتراث أئمة الهدى المأثور المدون في المصادر والأصول الروائية المعتمدة الموثقة، غاية الأمر أن العامي الصرف أو من لم يبلغ مرتبة الفقاهاة لما كان يقصر فهمه وإدراكه عن فهم النص القرآني والأخبار المروية عن خاتم المرسلين ﷺ وعتوته الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام والاطلاع عليها من مظانها والمعرفة بقواعدها ودلائلها والجمع بين مختلفاتها ونحو ذلك مما يتوقف عليه استنباط الأحكام منها وجب عليه الرجوع إلى من كانت له تلك المرتبة، ويكون حينئذ الرجوع إلى الفقهاء إنما هو من حيث كونهم نقلة تلك الأخبار وحملة تلك الآثار وسدنة تراثهم المأثور عنهم عليهم السلام الموسومين بالنيابة العامة عنهم من سائر فقهاء الأمة بالشروط التي أوردوها والصفات التي قرروها لهم (المحقق).

### دائرة التقليد في مصادر التشريع

**مسألة ٦:** تنحصر دائرة التقليد للفقهاء في خصوص ما يندرج ضمن الأحكام الخمسة (الوجوب والحرمة والاستحباب والكرهاة والإباحة) مما له تعلق بفعل المكلف وورد النص عليه في الكتاب الكريم والسنة المطهرة.

**مسألة ٧:** ما تتضمنه الآيات القرآنية والروايات النبوية الشريفة والمأثور من تراث

العترة الطاهرة من أئمة أهل البيت عليهم السلام الموجودة في المصادر المعتمدة الموثوقة من الحث على العمل بالقيم الأخلاقية والسلوكية وبيان المعارف الحقة والمواظب والنصائح والحكم والأمثال وغيرها لا يتوقف الأخذ بها على توسط الفقيه، فيمكن لكل مكلف بحسب ما يتقن ويعرف من اللغة العربية أو ترجمتها الأخذ بما تضمنته في تلك الموضوعات الثقافية والتربوية والمعرفية والتاريخية.

نعم لو وقع الشك في شيء منها لعدم وضوح معناه أو تعارضه مع ما عرف من ثوابت الدين وخالف بديهيات الشرع المبين لصدور نصه في ظروف التقية القاهرة ومحنة ابتلاءات العترة الطاهرة وتسلسل سطوة الطغمة الجائرة وجب التوقف ومراجعة العلماء الأعلام لتحصيل البصيرة ودفع الشبهة وإزالة الحيرة.

## مصادر التشريع

مسألة ٨: تنحصر مصادر التشريع التي يجب على الفقيه التقيد في استنباطاته للأحكام الشرعية بها في مصدرين رئيسيين هما: القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسنة أئمة الهدى من أهل البيت التي تعتبر امتداداً لسنة جدهم الشريفة.

### ١- الكتاب الكريم

مسألة ٩: قال جلّ وعلا: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿لَمْ \* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>٣</sup>، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾<sup>٤</sup>.

(١) سورة العلق: ٣-٥.

(٢) سورة النحل: ٦٤.

(٣) سورة البقرة: ١-٢.

(٤) سورة الإسراء: ٩.

وقال رسول الله ﷺ في عدة أحاديث:

١- «عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ الشِّفَاءُ النَّافِعُ وَالِدَوَاءُ الْمُبَارَكُ عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ».

٢- «إن هذا القرآن هو النور المبين والحبل المتين والعروة الوثقى والدرجة العليا والشفاء الأشفي والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوره الله، ومن اعتقد به في أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على ما سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به ومعوله الذي ينتهي إليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم».

٣- «القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة».

٤- «القرآن أفضل كل شيء دون الله، فمن قرأ القرآن فقد قرأ الله».

٥- «فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه».

٦- «وهو الدليل، يدل على خير سبيل».

٧- «له ظهر وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم».

٨- «ظاهره أنيق وباطنه عميق».

٩- «لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبُه».

١٠- «من قال في القرآن بغير ما علم جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار».

وقال الإمام علي عليه السلام في وصف القرآن: «أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﷺ الْكِتَابَ نُورًا لَا تَطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوْقُدُهُ، وَبَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَا جَأٌ لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ، وَفَرْقَانًا لَا يُخَمِّدُ بُرْهَانُهُ، وَتَبْيَانًا لَا تُهْدِمُ أَرْكَانُهُ، وَشِفَاءً لَا تُخَسِّي أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزِمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخَدِّلُ أَعْوَانُهُ».

فَهُوَ مَعْدِنُ الْأَيْمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ،

وَأَثَابِي الْأَسْلَامَ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَّةُ الْحَقِّ وَغَيْطَانُهُ وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ، وَعَيْونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ، وَمَنَاهِلٌ لَا يَغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلٌ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمَسَافِرُونَ وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ، وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَطَشِ الْعُلَمَاءِ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ، وَحَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ، وَهُدًى لِمَنْ اتَّخَمَ بِهِ، وَعُدْرًا لِمَنْ انْتَحَلَهُ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَفَلْجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ، وَجَنَّةً لِمَنْ اسْتَلَامَ، وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى.»

## القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة

مسألة ١٠: يمثل القرآن الكريم الأطروحة الالهية الخاتمة للشرائع السماوية والناسخ لكتبها من زبور وتوراة وانجيل، ويجمع بين دفتيه جملة المبادئ والنظم الخاصة بتوجيه الإنسان روحياً ونفسياً وسلوكياً واجتماعياً وسياسياً دنيا وآخره.

واعتقادنا فيه أنه كلام الله ووحيه وتنزيله وقوله وكتابه، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم عليم، وأنه القصص الحق وأنه لقول فصل، وما هو بالهزل، وأن الله تبارك وتعالى محدثه ومنزله وربّه وحافظه والمتكلم به.

وأنه هو الذي ما بين الدفتين المتداول في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ولا أقل منه، ومبلغ سورة مائة وأربع عشر سورة.

وإنكاره والاستخفاف به كفر، وكذا فعل ما يستلزم الاستخفاف به كحرقه، وإلقائه في القاذورات والدوس عليه ونحو ذلك.

## كيفية نزول الوحي به

مسألة ١١: أصل الوحي هو الكلام الخفيّ، وقد يطلق على كلّ شيء قصد به إفهام المخاطب على نحو السرّ له عن غيره وتخصيصه به دون سواه وإذا أضيف إلى الله تعالى كان فيما يخصّ به الرّسل خاصّة دون من سواهم في مصطلح الإسلام وشريعة النبي ﷺ.

مسألة ١٢: الوحي من الله تعالى إلى نبيّه ﷺ كان تارة يكون بإسماعه الكلام من غير واسطة، فتأخذه الغشوة حتى يثقل ويعرق، وتارة بإسماعه الكلام على ألسن الملائكة فكان يأتيه جبرئيل ولا يدخل عليه حتى يستأذنه إكراماً له ﷺ وكان يقعد بين يديه قعدة العبد، وكان كثيراً ما يتمثل بصورة دحية الكلبي أحد الصحابة لئلا يشعر به أحد.

وعندنا أنّ الله تعالى يُسمع الأئمة بعد نبيّه ﷺ كلاماً يُلقيه إليهم على نحو الإلهام والإلقاء في الروع في علم ما يكون من الحوادث والوقائع، لكنّه لا يطلق عليه اسم الوحي لإجماع المسلمين على أنّه لا وحي لأحد بعد نبيّنا ﷺ.

## أقسام الموحى به

مسألة ١٣: ينقسم ما يُوحى به مباشرة أو بتوسط الملك إلى الرسول ﷺ إلى قسمين:

وذلك إن كان الغرض منه الإبلاغ والدعوة والإرشاد والإنباء لكافة الناس من العالمين فإن كان معجزاً مفحماً فهو القرآن، وإن لم يكن كذلك فهو الحديث القدسي، وأمّا إن كان الغرض منه خصوص إنباء النبي ﷺ بالوظائف والتكاليف الخاصّة بمقام النبوة وتوجيه الأوامر إليه لتنفيذها وإنجازها والإتيان بها كجزء من مخطط وظائف الرسالة الإلهية الموكلة إليه وهو ينقسم أيضاً إلى وحي مطلق ووحى مخصوص ووحى فيه عبرة وعظة على سبيل الحديث القدسي.

## نزول القرآن

**مسألة ١٤:** نزل القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر جملة واحدة إلى البيت المعمور، ثم نزل من البيت المعمور إلى عالم الدنيا على خاتم أنبيائه ورسله محمد بن عبد الله ﷺ بحسب الوقائع والأحداث نجومياً في مدة ثلاث وعشرين سنة.

وَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى نَبِيَّهٖ ﷺ الْعِلْمَ بِهِ جَمَلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ قَالَ لَهُ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>١</sup>، وقال: ﴿لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ \* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ \* فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾<sup>٢</sup>.

## تقسيم القرآن

**مسألة ١٥:** من أجل تسهيل حفظ القرآن الكريم وسهولة تناول مواضع سوره والوقوف عليها والعثور على آياته تم تقسيم القرآن فنياً إلى (٣٠) جزءاً وتقسيم كل جزء منها إلى أربعة أقسام سمي كل واحد منها بـ (حزب) وعلى هذا فكل جزء يُقدر بـ ١ من ٣٠ من مجموع القرآن وكذا كل حزب يُقدَّر بـ ١ من ١٢٠. كما ينقسم القرآن إلى سور وآيات وكلمات.

## سور القرآن

**مسألة ١٦:** يتألف القرآن من (١١٤) سورة، وكل سورة تتألف من مجموعة من الآيات، وتضم أكبر سور القرآن (٢٨٦) آية وهي سورة البقرة، وأصغرها خمس آيات وهي ثلاث سور العصر والنصر والكوثر وأقصروها الكوثر. ومن عجائب القرآن الرقمية أنك إذا حذف رقم الأحاد من عدد آيات سورة البقرة (٢٨٦) أصبح العدد (٢٨) وهذا العدد يشير إلى عدد السور المدنيّة وإذا حذف

(١) سورة طه: ١١٤.

(٢) سورة القيامة: ١٦-١٩.

رقم المئات أصبح العدد (٨٦) وهذا العدد يشير إلى عدد السور المكية وإذا جمعنا العددين كان المجموع (١١٤) وهو عدد سور القرآن كما تقدم.

وجميع السور تبدأ بالبسملة ما عدا سورة التوبة فهي لا تبدأ بالبسملة، بينما تشمل سورة النمل على بسملتين.

## أصناف السور

**مسألة ١٧:** قال رسول الله ﷺ في بيان أصناف سور القرآن: أعطيت السور الطوال مكان التوراة، وأعطيت المئين مكان الانجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور وفُضِّلْتُ بالمفصل ثمان وستون سورة، وهو مهيمن على سائر الكتب والتوراة لموسى والإنجيل لعيسى والزبور لداود.

وفيه إشارة إلى أن سور القرآن أصناف وطوائف أربع (الطوال، المئين، المثاني، المفصل) وبيان المراد منها فيما يلي:

١- السبع الطول: جمع (طُولِي) سميت بذلك لأنها أطول ما في القرآن من سور وهي: (البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس) وقيل: السابعة سورة الكهف بدلاً من يونس.

٢- المئنون: سُمِّيت بذلك لأن كلَّ سورة منها أقصر من السور الطول وتزيد آياتها على مائة آية وهي: التوبة، النحل، هود، يوسف، الكهف، الإسراء، الأنبياء، طه، المؤمنون، الشعراء، الصافات.

٣- المثاني: وهي السور الواقعة بعد المئين وعدد آياتها أقل من مائة سميت بذلك لأنها ثنَّت المئين بعد السبع الطول.

٤- المفصل: وهي عبارة عن قصار السور ويبدأ ترتيبها من سورة الحجرات حتى انتهاء القرآن بسورة الناس وسميت بذلك لكثرة الفصل بين سورها بالبسملة.

## آيات القرآن

مسألة ١٨: الآية في المصطلح القرآني هي الوحدات التي تؤلف السور كما تقدم وتضفي عليها مسحة الإعجاز.

وأما عدد آيات القرآن فالمشهور أنها (٦٣٤٨) آية منها ١١٣ بسملة غير مرقمة و٦٢٣٥ آية مرقمة وقيل غير ذلك ويرجع سبب الاختلاف إلى تحديد مبدأ ومنتهاى كل آية منها، يضاف إلى ذلك ايهام مواضع الوقف المروية بانتهاء الآيات بينما تكون هي لأغراض آخر ولا يعني ذلك أنه يوجد اختلاف في نص القرآن وانما في حد الانتهاء لكل آية فقط.

ومعرفة رؤوس الآيات وحدودها توقيفيّة وتعبيديّة ورد النص عليها من قبل الرسول الأكرم ﷺ نفسه حيث كان يأمر بعد نزول كل آية بوضعها في السورة الفلانية وبعد الآية المعيّنة الفلانية فترتيبها ومواقعها تم بفعله ﷺ وإرشاده وأمره بوحى من السماء لا من تلقاء نفسه.

وأول آية نزلت: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>١</sup> أول آيات سورة العلق في قصة نزول الوحي لأول وهلة عليه ﷺ المشهورة.

وكان آخر ما نزل من الآيات: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>٢</sup> نزلت بعرفات في حجة الوداع وبعدها بشهرين تقريبا لبي الرسول الأكرم ﷺ نداء ربه ففاضت روحه والتحقت بالرفيق الأعلى إلى دار الكرامة والبقاء.

(١) سورة العلق: ١.

(٢) سورة المائدة: ٣.

## كلمات القرآن

مسألة ١٩: كلمات القرآن عبارة عن أصغر الوحدات التي يتكون منها نص القرآن وقدّر عددها في أحد الإحصائيات الحديثة بـ (٧٧٢٠٠) كلمة، بينما يبلغ عدد حروف القرآن الكريم ٣٢١٢٥٠ حرفاً.

## ٢- السنة النبوية

مسألة ٢٠: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيَانِ أَهْمِيَةِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عَليِّهِ السَّلَامُ: «يَا عَلِيُّ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَأَنْتَ بَابُهَا فَمَنْ أَتَى مِنَ الْبَابِ وَصَلَ يَا عَلِيُّ أَنْتَ بَابِي الَّذِي أُوتِيَ مِنْهُ وَأَنَا بَابُ اللَّهِ فَمَنْ أَتَانِي مِنْ سِوَاكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ وَمَنْ أَتَى اللَّهَ مِنْ سِوَايَ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ اللَّهُ».

وجاء في خُطْبَةٍ لَهُ ﷺ فِي غَدِيرِ خُمٍّ: «وَقَدْ بَلَغْتُ مَا أَمَرْتُ بِتَبْلِيغِهِ حُجَّةً عَلَى كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ وَعَلَى مَنْ شَهِدَ وَلَمْ يَشْهَدْ وَوُلِدَ أَوْ لَمْ يُولَدْ فَلْيَبْلِغْ حَاضِرُكُمْ غَائِبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...» إِلَى أَنْ قَالَ: «كُلُّ حَلَالٍ دَلَلْتُكُمْ عَلَيْهِ وَحَرَامٍ مَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإِنِّي لَمْ أَرْجِعْ عَنْ ذَلِكَ وَلَا أُبَدِّلُهُ إِلَّا فَاذْكُرُوا وَاحْفَظُوا وَتَوَاصَوْا وَلَا تُبَدِّلُوا وَلَا تُغَيِّرُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَرَّفُوا مَنْ لَمْ يَحْضُرْ مَقَامِي وَلَمْ يَسْمَعْ مَقَالِي هَذَا فَإِنَّهُ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ».

ومما قاله ﷺ أيضاً في تلك الخطبة: «أَلَا وَإِنِّي أُجَدِّدُ الْقَوْلَ أَلَا فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ أَلَا وَإِنَّ رَأْسَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ تَنْتَهُوا إِلَى قَوْلِي وَتُبَلِّغُوهُ مَنْ لَمْ يَحْضُرْ وَتَأْمُرُوهُ بِقَبُولِهِ وَتَنْهَوْهُ عَنْ مُخَالَفَتِهِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِئِي».

## اعتقادنا في السنة النبوية

مسألة ٢١: تُمَثِّلُ السَّنَةُ النَّبَوِيَّةُ الْمَصْدَرُ الثَّانِي لِلشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾<sup>١</sup>.

فما صدر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير إنما هو حكاية أمر الله تبارك وتعالى ونهيه وحكمه وشرعه، ولولا توسّطه ﷺ في تبليغه لما اتضحت معالم الإسلام وخفقت راية الإيمان، وانتظم أمر الأمة واجتمع شتات شملهم وصلح معتقدهم واستقام سلوكهم ودينهم واستبان تكاليفهم ومعالم أحكام شرعهم وبانت حدود الحلال من الحرام فيهم.

## وجوب الاعتقاد بعصمته ﷺ

مسألة ٢٢: يجب الاعتقاد بعصمته ﷺ وعدم إمكانية صدور الخطايا والمعاصي منه سواء كان صغيراً في المهد أو كبيراً من بدء حياته إلى مماته وسواء كانت تلك المعاصي صغيرة حقيرة أو كبيرة جليئة.

مسألة ٢٣: يجب تنزيهه ﷺ عن السهو والخطأ والغفلة إذ تجويز مثل ذلك يسلب الوثوق بأصل رسالته والغرض من بعثته وكذلك نعتقد أيضاً بوجوب الاعتقاد بنزاهته عن جميع النقائص والذائل وما يوجب الخدش في المروءة والشرف والدين والحسب والنسب وفي الأفعال والأقوال والسلوك وخطرات النفس ولهوات الضمير.

## وجوب متابعتة ﷺ

مسألة ٢٤: إن الله تعالى لما أكمل نبيّه ﷺ قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>٢</sup>.

(١) سورة النجم: ٣-٥.

(٢) سورة الحشر: ٧.

فأوجب علينا بصريح النص متابعة النبي ﷺ في أصول ديننا وفروعه، والتقييد بشريعته في أمور معاشنا ومعادنا وأخذ جميع ما نحتاج إليه من أحكام عنه. والذي نعتقده وندين به أيضاً أن إرادته ﷺ موافقة لإرادة الله تعالى وكرهاته موافقة لكرهاته تعالى فلا يأمر ولا يدعو العباد إلا بما يريد الله تعالى من العباد أن يأتوا به ويؤدوه ولا ينهاهم عن فعل أو يزجرهم عن عمل إلا بما كره الله تعالى أو حرّم عليهم ارتكابه والإتيان به.

قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>١</sup>، ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ \* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾<sup>٣</sup>، ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾<sup>٤</sup>، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>٥</sup>.

## النهي عن العبث بشريعته وتغيير أحكامها

مسألة ٢٥: كما لا يجوز ويحرم إحداث أي تغيير وتحريف في النص القرآني كذلك لا يجوز العبث بالأحكام الشرعية التي جاء بها رسول الله ﷺ وورد في ذلك قوله: «أيها الناس حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة ألا وقد بينهما الله عزوجل في الكتاب وبينتهما لكم في سنتي وسيرتي وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروّته وعرضه ومن تلبّس بها وقع فيها

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٣) سورة النجم: ٣-٥.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٥) سورة التوبة: ١٢٨.

واتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته نفسه إلى أن يرهاها في الحمى ألا وإن لكل ملك حمى إلا وإن حمى الله عزوجل محارمه فتوقوا حمى الله ومحارمه».

### خاتمة شريعته ﷺ

مسألة ٢٦: نعتقد أن شريعته ﷺ خاتمة الشرائع السماوية وأنها نسخت أي أبطلت التعبد بكل ما سواها من الشرائع قال عزّ من قائل: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾!

وقال رسول الله ﷺ: «أيها الناس إنّه لا نبي بعدي ولا سنّة بعد سنتي فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته في النار فاقتلوه، ومن تبعه فإنه في النار أيها الناس أحيوا القصاص وأحيوا الحق لصاحب الحق ولا تفرقوا واسلموا وسلّموا تسلموا» كتب الله لأغلبنّ أنا ورُسلي إنّ الله قويّ عزيز»<sup>٢</sup>.

### ٣- سنّة أئمة أهل البيت عليهم السلام

مسألة ٢٧: يعتقد الشيعة الإمامية بحجّية سنة أهل البيت الصادرة من قبل اثني عشر امام معصوم مضافاً للسنة النبوية أولهم أمير المؤمنين وإمام الموحدين على بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الخلف الحجة المهدي المنتظر ويعدونها امتداداً طبيعياً ونهجاً استمراريّاً للرسالة الخاتمة وبعداً واقعياً للخلافة المحمدية الغراء بعد رحيل الصادع بها ورافداً للحياة السامية التي أفنى الرسول الأكرم ﷺ حياته الشريفة في تثبيت دعائمها وترسيخ جذورها وتوطيد أسسها.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْزِلَةُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ تَعَلَّمُوا مِنْ عَالِمِ أَهْلِ بَيْتِي وَمَنْ تَعَلَّمَ مِنْ عَالِمِ أَهْلِ بَيْتِي نَجَا».

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة المجادلة: ٢١.

وقال عليه السلام: «مَنْزِلَةُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَهَا نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ تَعَلَّمُوا مِنْ عَالِمِ أَهْلِ بَيْتِي وَمَنْ تَعَلَّمَ مِنْ عَالِمِ أَهْلِ بَيْتِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ». وَقَدْ تَوَاتَرَ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا كِتَابَ اللَّهِ وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

وقال الإمام علي عليه السلام لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ: «يَا كُمَيْلُ هِيَ نُبُوَّةٌ وَرِسَالَةٌ وَإِمَامَةٌ وَلَيْسَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا مَوَالِينٌ مُتَّبِعِينَ أَوْ مُبْتَدِعِينَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ يَا كُمَيْلُ لَا تَأْخُذْ إِلَّا عَنَّا تَكُنْ مِنَّا».

وقال عليه السلام في نهج البلاغة: «نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكمة».

وقال عليه السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم وأعطانا وحرّمهم وأدخلنا وأخرجهم بنا يُسْتَعطَى الهدى ويُسْتَجَلَى العى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم».

وقال عليه السلام: «وَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تَعْدُرُونَ فِي تَرْكِ طَاعَتِهِ طَاعَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ طَاعَتِنَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَنَظَّمَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ مِنَّا مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ فَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَطَاعَةَ وُلَاةِ الْأَمْرِ مِنْ آلِ رَسُولِهِ وَأَمْرَكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ وَنَحْنُ وَاللَّهُ أَهْلُ الدِّكْرِ لَا يَدْعِي ذَلِكَ غَيْرُنَا إِلَّا كَاذِبٌ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا \* رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>٢</sup> فَنَحْنُ أَهْلُ الدِّكْرِ فَاقْبَلُوا أَمْرَنَا وَانْتَهُوا إِلَى تَهْمِينَا فَإِنَّا نَحْنُ الْأَبْوَابُ

(١) سورة الطلاق: ١٠-١١.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْهَا فَتَنَحُّنُ وَاللَّهُ أَبْوَابُ تِلْكَ الْبُيُوتِ لَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِنَا وَلَا يَقُولُهُ أَحَدٌ سِوَانَا الْوَصِيَّةَ».

وقال الإمام السَّجَّادُ عليه السلام في حديث: «ثُمَّ أَنْتُمْ مَعَاشِرَ الشَّيْعَةِ الْعُلَمَاءُ بَعَلْمِنَا تَالُونَ مَفْرُوعُونَ بِنَا وَبِمَلَانِكَةِ اللَّهِ الْمُقَرَّبِينَ شُهَدَاءَ لِلَّهِ بِتَوْحِيدِهِ وَعَدْلِهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ قَاطِعُونَ لِمَعَاذِيرِ الْمُعَانِدِينَ مِنْ إِمَائِهِ وَعَبِيدِهِ فَنِعْمَ الرَّأْيُ لِأَنْفُسِكُمْ رَأَيْتُمْ وَنِعْمَ الْحِظُّ الْجَزِيلُ اخْتَرْتُمْ وَبِأَشْرَفِ السَّعَادَةِ سَعِدْتُمْ حِينَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ عليهم السلام قُرِنْتُمْ».

وقال عليه السلام: «وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بأرائهم واتهموا مآثور الخبر فينا» إلى أن يقول: «فإلى من يفرع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الأمة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يُكْفَرُ بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾<sup>١</sup> فَمَنْ الموثوق به على ابلاغ إلى الحجّة وتأويل الحكم إلا أعدال الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجّة هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وَقَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام: «أَيُّهَا الْعِصَابَةُ عَلَيْكُمْ بِأَثَارِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَسُنَّتِهِ وَأَثَارِ الْأَيْمَةِ الْهُدَاةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنْ بَعْدِهِ وَسُنَّتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ أَخَذَ بِذَلِكَ فَقَدْ اهْتَدَى وَمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَرَغِبَ عَنْهُ ضَلَّ لِأَنَّهُمْ هُمْ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ وَوَلَّاهُمْ».

وقال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «نحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استبصر بنا، وعصمة لمن اعتصم بنا، من أحبنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار».

(١) سورة آل عمران: ١٠٥.

## وجوب طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام

مسألة ٢٨: نعتقد أن الأئمة هم أولوا الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم بعد جدهم وسيدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم الشهداء على الناس وأنهم أبواب الله والسبيل إليه والأدلاء عليه وأنهم عيبة علمه وتراجمة وحيه وأركان توحيده وخزان معرفته ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء على حد تعبير أمين الوحي والتنزيل وفيصل الحكم والتأويل خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وكذلك على حد قوله أيضاً: «أن مثلهم في هذه الأمة كسفينة نوح من ركبها نجي ومن تخلف عنها غرق وهوى» وأنهم حسبما جاء في الكتاب المجيد ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ \* لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup> وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

بل نعتقد أن أمرهم أمر الله تعالى، ونهيمهم نهيه وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته ووليمهم وليه وعدوهم عدوه ولا يجوز الرد عليهم، والراد عليهم كالراد على الرسول والراد على الرسول كالراد على الله تعالى، فيجب التسليم لهم والانقياد لأمرهم والأخذ بقولهم ولهذا نعتقد أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا منهم، ولا تبرأ ذمة المكلف إلا بالرجوع إليهم.

وجاء في الزيارة الجامعة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام: «أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة وخزان العلم.. وقادة الأمم... وساسة العباد وأركان البلاد... وأمناء الرحمن... وعتره خيرة رب العالمين... أئمة الهدى... وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى... ومعاين حكمه الله وحفظه سر الله وحمله كتاب الله وأوصياء نبي الله... الدعاة إلى الله والأدلاء على مراضة الله... المظهرين لأمر الله ونهيه وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون... الأئمة الراشدون المهديون المعصومون... وأعزكم بهداه وخصكم برهانه وانتجبتكم لنوره وأيدكم بروجه، ورزيتكم خلفاء في أرضه وحججاً على برئته وأنصاراً لدينه وحفظاً لیسره

وَخَزَنَةً لِعِلْمِهِ وَمُسْتَوْدَعًا لِحِكْمَتِهِ وَتَرَاجِمَةً لَوْحِيهِ وَأَرْكَانًا لِتَوْحِيدِهِ وَشُهَدَاءَ عَلَى خَلْقِهِ... وَأَعْلَامًا لِعِبَادِهِ وَمَنَارًا فِي بِلَادِهِ وَأَدْلَاءَ عَلَى صِرَاطِهِ، عَصَمَكُمُ اللَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَأَمَنَكُم مِّنَ الْفِتَنِ وَطَهَّرَكُم مِّنَ الدَّنَسِ وَأَذْهَبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَكُم تَطْهِيرًا...».

## الاستدلال على حجيت سنتهم عليه السلام من القرآن

مسألة ٢٩: استدلل علماء الشيعة الإمامية على دعواهم هذه بأدلة ضافية كثيرة نكتفي بالمهم منها فنقول:

(الدليل الأول) قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>١</sup>.

وجه تعيين اختصاصها بأهل بيت محمد عليه السلام وابنته فاطمة الزهراء وابن عمه أمير المؤمنين علي وابنيهما الحسن والحسين عليهما السلام:

(أولاً) الحديث المروي بعدة طرق عن أم سلمة الحاكي لعلّة وسبب نزولها المتلقى بالقبول لدى المخالف والمؤلف.

(ثانياً) حديث زيد بن أرقم حيث منع فيه من صحة إطلاق لفظ الأهل على الأزواج والنساء.

(ثالثاً) دليل السياق حيث ورد تذكير الضمير في آية التطهير وتأنيث بقيّة الضمائر في الآيات السابقة عليها واللاحقة لها إذ أن وحدة السياق تقتضي اتحاداً في نوع الضمائر ومقتضى التسلسل الطبيعي أن تكون الآية بهذا النحو (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) لا (عنكم) وتقريب الاستدلال بها على عصمة أهل البيت عليهم السلام ماورد من حصر إرادة إذهاب الرجس أي الذنوب والآثام عنهم بكلمة (إنما) وهي من أقوى أدوات الحصر، واستحالة تخلف المراد عن الإرادة بالنسبة له تعالى من البديهيّات لمن آمن بالله عزّ وجلّ وقرأ في كتابه العزيز ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ<sup>١</sup> وتخريجها على أساس فلسفي من البديهيات أيضاً لمن يدرك أن إرادته هي العلة التامة أو آخر أجزائها لجميع مخلوقاته واستحالة تخلف المعلول عن العلة من القضايا الأولية ولا أقل من كونها من القضايا المسلمة لدى الطرفين وليس معنى العصمة إلا استحالة صدور الذنب عن صاحبها عادةً.

وإذا اتضح ذلك فاعلم أن نظرية العصمة هذه عند الشيعة الإمامية قد اكتملت مقوماتها وغاياتها في هذه النقاط:

١- أنها لطف من الله تعالى.

٢- صفة ملازمة للإمامة.

٣- لا تثبت إلا بالنص.

وذلك من أجل التأكيد على:

١- امتناع الإمام عن اتیان المعصية مع قدرته عليها.

٢- للحيولة دون استغراق الإمامة لغير العترة.

٣- للوثوق بالأحاديث المروية عن الأئمة عليهم السلام.

(الدليل الثاني) قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>٢</sup>﴾ وتقريب الاستدلال بها على إرادة أهل البيت بأولي الأمر يتضح من جهتين:

(الأولى) من اثبات انحصار أولى الأمر بالمعصومين خاصة وذلك من طريق أن الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابد وأن يكون معصوماً عن الخطأ إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه منهي عنه فهذا يُفْضِي إلى اجتماع

(١) سورة يس: ٨٢.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد وأنه محال فثبت أن طاعة الله تعالى أمر بطاعة أولى الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ فثبت قطعاً أن أولى الأمر المذكور في هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً.

(الجهة الثانية) من اثبات اختصاص العصمة بعد النبي ﷺ بهم عليهم أفضل الصلوة والسلام ويمكن الاستدلال على ذلك بعدة أدلة:

(أولها) وأهمها حديث الثقلين الذي ثبت نقله من الفريقين واستفاض ذكره في صحاح الآثار عند المذاهب الإسلامية كافة وبعدة متون منها حديث الغدير كما سيأتي.

ولسان الحديث كما في رواية زيد بن أرقم: «إني تركت فيكم ما أن تمسكتكم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» وفي رواية زيد بن ثابت: «إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض أو ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» ورواية أبي سعيد الخدري: «إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي وأن اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وقد استفيد من هذا الحديث عدة أمور نعرضها بإيجاز:

١- دلالاته على عصمة أهل البيت (عليهم السلام) وذلك من أمور:

أ- لاقترانهم بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وتصريحه بعدم افتراقهم عنه.

ب- ولأنه اعتبر التمسك بهم عاصماً عن الضلالة دائماً وأبداً كما هو مقتضى ما تفيده كلمة (لن) التأبيدية وفاقد الشيء لا يعطيه.

ج- على أن تجويز الافتراق عليهم بمخالفة الكتاب وصدور الذنب منهم تجويز

للكذب على الرسول ﷺ الذي أخبر عن الله عزّوجلّ بعد وقوع افتراقهما وتجويز الكذب عليه متعمداً في مقام التبليغ والإخبار عن الله في الأحكام وما يرجع إليها من موضوعاتها وعللها منافٍ لافتراض العصمة في التبليغ.

٢- لزوم التمسك بهما معاً لا بواحدٍ منهما منعاً للضلالة لقوله ﷺ فيه: «ما إن تمسّكتم بهما» وأوضح من ذلك دلالة ما ورد في رواية الطبراني في تتمتها: «فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تُعلّمُوهم فإنهم أعلم منكم» وبالطبع إن معنى التمسك بالقرآن هو الأخذ بتعاليمه والسير على وفقها وهو نفسه معنى التمسك بأهل البيت عدلُ القرآن، ومن هذا الحديث يتضح أنّ التمسك بأحدهما لا يغني عن الآخر «ما إن تمسّكتم بهما»، «ولا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا» ولم يقل: (ما إن تمسكتم بأحدهما) أو (تقدّمتم أحدهما) والسرّ في ذلك من أنهما معاً يشكّلان وحدة يتمثل بها الإسلام على واقعه وبكامل أحكامه ووظائفه.

٣- بقاء العترة إلى جنب الكتاب إلى يوم القيامة أي لا يخلو منهما زمان من الأزمنة ما دامًا لن يفترقا حتى يردّا عليه ﷺ الحوض وهي كناية عن بقائهما إلى يوم القيامة.

٤- دلالته على تميّزهم بالعلم بكلّ ما يتصل بالشريعة وغيرها، كما يدلّ على اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة ولقوله ﷺ: «ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم».

(الدليل الثالث) تصرّح الأئمة الاثنا عشر بذلك بأنفسهم وقد قدمنا جملة منها. إلى غير ذلك من الوجوه والأدلة التي ذكرت في مضانها فمن أراد التوسع فليرجع إليها وما ذكرناه فيه كفاية لمن ألقى السمع وهو شهيد.

## وجوب تقليد الفقهاء في عصر الغيبة

مسألة ٢٠: الناس إما عالم أو متعلم، وبعبارة أخرى إما فقيه أو متفقه، وبثالثة إما مجتهد أو مقلد وفرض الثاني مع وجود الأول الرجوع إليه (المحقّق).

مسألة ٢١: إن المكلف لا بد أن يكون فقيهاً حيث تكون له الملكة القدسية والقدرة

العلمية على استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وسنة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أو مقلداً حيث يفتقد لتلك الملكة والقدرة ويتعذر الأمر الأول عليه، أو محتاطاً وهي مرتبة خاصة بأهل العلم والفضل والورع ممن لديه قوة فهم واطلاع على الأحكام ودراية ومعرفة بأدلتها فيسلك في العمل طريقاً تبرأ ذمته به على جميع الاحتمالات.

**مسألة ٢٢:** يجب على كل من حكمه التقليد الرجوع إلى الفقيه الجامع لشرائط الفتوى والالتزام بما يفتي به ويرشد اليه من أحكام باعتباره واسطة في تلقي الأحكام ومعرفة الحلال من الحرام وتشخيص أحكام الموضوعات المبتلى بها ووجود مثل ذلك الفقيه من الأمور التي تندرج ضمن مظاهر اللطف الإلهي الذي يترتب عليه الترغيب والتقريب من الامتثال لما شرع الله عزوجل لعباده، والتوفيق للطاعة والبعد عن المعصية.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الْفِقْهُ حَتْمٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمَنْ عَبَّرَ بَحْرًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ سَبْعِينَ عُمْرَةً وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ».

وفي وصية له صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام قال: «يَا عَلِيُّ أَعْجَبُ النَّاسِ إِيمَانًا وَأَعْظَمُهُمْ يَقِينًا قَوْمٌ يَكُونُونَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لَمْ يَلْحَقُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَحُجِبَ عَنْهُمْ الْحُجَّةُ فَأَمَّنُوا بِسَوَادٍ عَلَى بَيَاضٍ».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما زالت الارض إلا والله فيها الحجة يعرف الحلال والحرام ويدعو إلى سبيل الله».

وعنه عليه السلام أيضاً قال: «إن الله تبارك وتعالى لم يدع الارض إلا وفيها عالم يعلم الزيادة والنقصان، ولولا ذلك لالتبست على المؤمنين امورهم والحجة والعالم فيهما لا يحملان على الإمام المعصوم الغائب لأنه لا يعرف الناس مسائلهم ولا يدعوهم إلى سبيل الله ولا يبين لهم أمورهم».

## دور الوالدين في تبصير أبنائهم بأهمية التقليد

مسألة ٢٣: يجب على الأبوين أن يحسنا تربية أبنائهما وينشأنهما النشأة الصالحة المستقيمة ويتولا رعايتهم وتهذيب سلوكياتهم وتعليمهم ما يجب عليهم من الأحكام والتكاليف والآداب والسنن التي يعم الابتلاء بها لعامة المكلفين قبل بلوغ سن التكليف بما يشمل ترويضهم وتمارينهم وتشجيعهم على الإتيان بالعبادات وعلى رأسها الصلاة اليومية، والالتزام بها في أوقاتها وتعليم مقدماتها من اختياري الطهارة من الوضوء والغسل واضطراريها من أحكام التيمم وكيفية التطهير من النجاسات المادية ونحو ذلك من الأمور الضرورية الهامة التي يحتاج إليها المكلف في دينه ودنياه.

قال رسول الله ﷺ: «إنما العلم ثلاثة آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة». وفسرت الآية المحكمة بأصول العقائد التي براهينها ودلائلها الآيات المحكمات، والفريضة العادلة بفضائل ومكارم الأخلاق، وعدالتها كناية عن وسطيتها واتزانها، والسنة القائمة بشرايع الأحكام ومسائل الحلال والحرام.

وروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وجدت علم الناس كله في أربع: أولها أن تعرف ربك، والثاني أن تعرف ما صنع بك، والثالث أن تعرف ما أراد منك، والرابع أن تعرف ما يخرجك عن دينك».

والمراد من الأول مُبْدِؤُكَ الذي أوجدك من عدم والذي إليه منتهى أمرك، والثاني النعم الظاهرة والباطنة التي تفضل بها عليك وأفاضها على النفس الإنسانية وما أكرمها به من صفات كرمها بها عن سائر المخلوقات الأخرى وما يعود إليه وينعم به في النشأة الآخروية على طاعته في الدنيا، وما يوجب شكر المنعم، ومن الثالث الفضائل النفسانية والأوامر الشرعية، ومن الرابع الرذائل السلوكية وعامة النواهي.

## المقصد البصير الواعي

مسألة ٣٤: يجب على كل مكلف تحصيل العلم الواجب في العقيدة والعمل والبصيرة في أمور الدين وفروعه:

### ١- البصيرة بأصول الدين

مسألة ٣٥: أقل ما يحصل به الإيمان من العقائد هو الاكتفاء بمجرد اعتقاد ذلك من غير توقف على الدليل بأي معنى تطمئن به النفس، ولو بالتقليد على جهة الإذعان القلبي والتصديق اليقيني بحيث يكون جازماً متيقناً لذلك، لأن المعرفة بالتوحيد بل بالنبوة ونحوهما أمر بديهي لا كسبي كما يفهم من جملة من أخبارنا، وبالجملة فمتى اعتقد المكلف معنى ما دلّت عليه كلمة الشهادة وصدق النبي ﷺ في كل ما علم ثبوته عنه فلا ريب في تحقق إيمانه (المحقق).

### ٢- البصيرة بفروع الدين

مسألة ٣٦: الواجب العيني بالنسبة إلى العلم بالأحكام الشرعية ما يتوقف عليه صحة العمل الذي يشتغل به المكلف من طهارة أو صلاة أو حج أو زراعة أو تجارة ونحوها فإنه لا بد من التفقه في ذلك العمل قبل الإقدام عليه والشروع فيه، ومعرفة أحكامه وما لا يجوز وما يصح به وما يفسده ليأتي به على الوجه المطالب بالإتيان به (المحقق).

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ».

والمراد بالقوة هنا أعم من بسطة الجسم وسخاء اليد وسعة العلم والمعرفة ورسوخ الإيمان والعقيدة.

وقال الإمام علي عليه السلام: «مَنْ دَخَلَ فِي هَذَا الدِّينِ بِالرِّجَالِ أَخْرَجَهُ مِنْهُ الرِّجَالُ وَمَنْ دَخَلَ فِيهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ زَالَتِ الرِّجَالُ قَبْلَ أَنْ يَزُولَ».

## وظيفة كل مكلف حين يبلغ سن التكليف

**مسألة ٣٧:** يجب على المكلف بعد تحقق البلوغ في الذكر بإكمال خمسة عشر سنة هلالية، وفي الأنثى بإكمال تسع سنين هلالية الإحاطة بما يجب عليه من تكاليف شرعية كالعلم بواجبات الصلاة وتعلمها حيث يكلف بها وواجبات الصوم كذلك والزكاة لو كان تملك احد النصب الزكوية ويصير من أصحابها وواجبات الحج لو كان ممن يخاطب به وعزم على الذهاب لأدائه وهكذا في كل ما يجب على المكلف بوجود أسبابه فإنه يجب عليه تعرف أحكامه للإتيان بها على الوجه الشرعي الذي أمر به الشارع المقدس، ولتبراً ذمته من الاشتغال بما توجه إليها من مخاطبات شرعية بيقين ولئلا يحاسب يوم القيامة على ما فرط في أدائه من التكاليف الشرعية الواجبة عليه في الدنيا وتكون عاقبته إلى الخسران المبين.

**مسألة ٣٨:** يجب على المقلد أن يقتني الرسالة العملية لمرجه للرجوع إليها في جميع ما يبتلي به من المسائل الشرعية وكذا التواصل مع الفضلاء من المشايخ لبيانها إذا استصعب عليه فهم شيء منها للتوضيح والاطلاع عليها بوعي وفهم صحيح ولا يجوز له أن يشرع في أمر من الأمور العبادية والتكليفية دون الإحاطة والاطلاع على الأحكام الخاصة بها مسبقاً.

**مسألة ٣٩:** لا يجوز التساهل والإهمال والتغافل عن مراجعة الرسالة العملية في المسائل التي يقع الابتلاء بها لوجوب تحصيل العلم الشرعي واتيان الأعمال من عبادات وغيرها ببصيرة ومعرفة لتجنب بطلان العبادات والوقوع في المخالفات والشبهات.

**مسألة ٤٠:** إذا لم يجد في رسالة مرجه حكماً ما وأراد تقليد غيره فيه لم يجز له قراءة الرسائل العملية للمراجع الآخرين التي لا يقتصر استنباط مؤلفها على مصدري الكتاب الكريم والسنة الشريفة.

## كل مكلف يوم القيامة يحشر مع من قلده

مسألة ٤١: إن الفقيه الذي يقلده المكلف في الدنيا سيكون إمامه يوم القيامة كما ذكر عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾<sup>١</sup>.

فإن كان من فقهاء الهدى والصلاح وأئمة الحق والنهج القويم واتباع الصراط المستقيم المعنيين في قوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾<sup>٢</sup>، وقوله: ﴿وَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>٣</sup> كان من الفائزين معه فيما سيرد فيه من منازل وعليه من درجات في النعيم المقيم وجنة الخلود.

وإن كان من أئمة الضلال كان من الخاسرين وأورده حيث يرد وكان فيمن يحشر معه في أسوأ دركات الجحيم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُبْصِرُونَ﴾<sup>٤</sup>.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنه ليس من قوم اتتموا بإمامهم في الدنيا إلا جاء يوم القيامة يلعنهم ويلعنونه إلا أنتم ومن كان على مثل حالكم».

وقال عليه السلام مالك بن أعين: «يا مالك أما ترضون أن يأتي كل قوم يلعن بعضهم بعضاً إلا أنتم ومن قال بقولكم».

وسأل يعقوب بن شعيب الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾<sup>٥</sup> فأجابه بقوله: «ندعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم، قلت: فيجئ رسول الله ﷺ في قرنه، وعلي عليه السلام في قرنه، والحسن عليه السلام في قرنه، والحسين عليه السلام في قرنه، وكل إمام في قرنه الذي هلك بين أظهرهم؟. قال: نعم».

(١) سورة الإسراء: ٧١.

(٢) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٣) سورة القصص: ٥.

(٤) سورة القصص: ٤١.

(٥) سورة الإسراء: ٧١.

وعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «يُقَالُ لِلْعَابِدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَعَمَ الرَّجُلُ كُنْتَ هِمَّتَكَ ذَاتُ نَفْسِكَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُقَالُ لِلْفَقِيهِ: يَا أَيُّهَا الْكَافِلُ لِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام الْهَادِي لِضِعْفَاءِ مُجِبِّهِمْ وَمُوَالِيهِمْ قِفْ حَتَّى تَشْفَعَ لِمَنْ أَخَذَ عَنْكَ أَوْ تَعَلَّمَ مِنْكَ فَيَقِفُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعَهُ فَنَائِمٌ وَفَنَائِمٌ وَفَنَائِمٌ حَتَّى قَالَ عَشْرًا: وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ عُلُومَهُ وَأَخَذُوا عَنْ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ وَعَمَّنْ أَخَذَ عَنْ مَنْ أَخَذَ عَنْهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَاَنْظُرُوا كَمْ فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْمُنْزَلَتَيْنِ».

وقال عليه السلام: «يَأْتِي عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا الْقَوَّامُونَ بِضِعْفَاءِ مُحِبِّينَا وَأَهْلِ وَلَايَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْأَنْوَارُ تَسْطَعُ مِنْ تِيَجَانِهِمْ إِلَى أَنْ قَالَ: فَلَا يَبْقَى هُنَاكَ يَتِيمٌ قَدْ كَفَلُوهُ وَمِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ أَنْقَذُوهُ وَمِنْ حَيْرَةِ التِّيهِ أَخْرَجُوهُ إِلَّا تَعَلَّقَ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَنْوَارِهِمْ».

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «أَشَدُّ مِنْ يُتْمِ الْيَتِيمِ الَّذِي انْقَطَعَ عَنْ أَبِيهِ يُتْمُ يَتِيمِ انْقَطَعَ عَنْ إِمَامِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَيْهِ وَلَا يَدْرِي حُكْمَهُ فِيمَا يُبْتَلَى بِهِ مِنْ شَرَائِعِ دِينِهِ إِلَّا فَمَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِمًا بِعُلُومِنَا فَهَذَا الْجَاهِلُ بِشِرِيعَتِنَا الْمُنْقَطِعُ عَنْ مُشَاهَدَتِنَا يَتِيمٌ فِي حِجْرِهِ إِلَّا فَمَنْ هَدَاهُ وَأَرْشَدَهُ وَعَلَّمَهُ شِرِيعَتِنَا كَانَ مَعَنَا فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى».

## خطورة العمل بلا تقليد

مسألة ٤٢: لا يجوز للعامي الإتيان بالتكاليف العبادية بلا تقليد ولا تصح أعماله منه إذا تعمد ذلك ومما يلاحظ في السنوات الأخيرة كظاهرة سيئة أن كثيراً من الشباب لا يقلد ولا يعرف معنى التقليد، ولا يعرف كيف يختار أحد الفقهاء للتقليد وهو أمر في منتهى الخطورة وظاهرة غير حميدة، وعواقبها وخيمة في الدنيا والآخرة.

مسألة ٤٣: إن الإخلال بما تتقوم به العبادة ويتوقف صحته عليه يترتب عليه وجوب القضاء واشتغال الذمة به لذا يجب على كل مكلف بالغ ذكراً كان أو أنثى أن يتجنب ما يفسد عباداته ويبطلها وعليه أن يراعي ما ينبغي الالتزام به من شرائطها ومقدماتها وأركانها وواجباتها وحدودها ورسومها لتتأتى منه على الوجه الأكمل

والصورة المثلى وتبرأ معه ذمته ولا يكون مؤاخذاً يوم القيامة كمن لم يتأت منه الامتثال أصلاً بالعمل في الدنيا.

**مسألة ٤٤:** لو لم يكن المكلف فقيهاً ولكنه يمتلك ثقافة عامة وعثر على قول في مسألة ما أو على حديث يتضمن حكماً ما في موضوع معين لم يجز له العمل به مباشرة على أنه حكم الله في تلك مسألة لأن التحقق وتمحيص الأدلة والأقوال من اختصاص الفقهاء (المحقق).

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَلَى غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ». وقال ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ فِي مَطَانِهِ وَاقْتَسِمُوهُ مِنْ أَهْلِهِ».

وقال الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بَعْدَهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْدًا عَنْ حَاجَتِهِ وَإِنَّ الْعَامِلَ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاطِرًا أَسَائِرًا هُوَ أَمْ رَاجِعٌ».

وقال في حُطْبَةٍ لَهُ عليه السلام: «وَأَنَّهَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَتَبِعِ شَرْعَةً وَمُتَبَدِّعِ بَدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةٍ».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ دَانَ اللَّهَ بِغَيْرِ سَمَاعٍ مِنْ صَادِقٍ أَلْزَمَهُ اللَّهُ التِّيَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ دَانَ اللَّهَ بِغَيْرِ سَمَاعٍ عَنْ صَادِقٍ أَلْزَمَهُ اللَّهُ التِّيَةَ إِلَى الْفَنَاءِ وَمَنْ ادَّعَى سَمَاعًا مِنْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ اللَّهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَذَلِكَ الْبَابُ الْمَأْمُونُ عَلَى سِرِّ اللَّهِ الْمَكْنُونِ».

وقال عليه السلام: «سَلِ الْعُلَمَاءَ مَا جَهَلْتَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ تَعْتَتًا وَتَجْرِبَةً وَإِيَّاكَ أَنْ تَعْمَلَ بِرَأْيِكَ شَيْئًا».

وقال عليه السلام: «الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى سَرَابٍ بِقِيَعَةٍ لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةً السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا».

وقال عليه السلام: «لَا يُفْلِحُ مَنْ لَا يَعْقِلُ وَلَا يَعْقِلُ مَنْ لَا يَعْلَمُ إِلَى أَنْ قَالَ: وَمَنْ فَرَطَ تَوَرَّطَ وَمَنْ خَافَ الْعَاقِبَةَ تَنَبَّتَ عَنِ التَّوَعُّلِ فِيمَا لَا يَعْلَمُ وَمَنْ هَجَمَ عَلَى أَمْرٍ بغيرِ عِلْمٍ جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ لَمْ يَفْهَمْ وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ لَمْ يَسْلَمْ وَمَنْ لَمْ يَسْلَمْ لَمْ يُكْرَمْ وَمَنْ لَمْ يُكْرَمْ تُهْضَمَ وَمَنْ تُهْضَمَ كَانَ أَلْوَمَ وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ كَانَ أَحْرَى أَنْ يَنْدَمَ».

وقال عليه السلام: «مَنْ شَكَّ أَوْ ظَنَّ فَأَقَامَ عَلَى أَحَدِهِمَا فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ هِيَ الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَالطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِي».

### التقليد الذاتي للنفس والآراء الشخصية

قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾<sup>١</sup>.

مسألة ٤٥: يحرم التقليد الذاتي للنفس والآراء والميول والرغبات الشخصية فيما له دخل في التكاليف الشرعية وقد انتشرت في السنوات الأخيرة ظاهرة الجرأة على تداول وتناول وتبادل الآراء الشخصية في الأمور الدينية في الأماكن العامة والمجالس والمنتديات بدون وجل ولا خجل دون الرجوع إلى المصادر الشرعية أو إلى علماء الدين وهذا أمر مستنكر ومحرم قطعاً ومن أعظم الكبائر المحرمة.

قال رسول الله ﷺ: «لَا رَأْيَ فِي الدِّينِ إِلَّا مَا الدِّينُ مِنَ الرَّبِّ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ».

وقال عليه السلام: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْيَبُ السُّنَنِ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بِرَأْيِهِمْ فَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

وقال الإمام علي عليه السلام في كلام له: «الإسلام هو التسليم إلى أن قال: إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه عن ربه فأخذ به».

وقال عليه السلام في خطبة له: «فلا تقولوا ما لا تعرفون فإن أكثر الحق فيما تنكرون إلى أن قال: فلا تستعمل الرأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا تتغلغل إليه الفكر».

وقال عليه السلام في خطبة له: «فيا عجباً وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتفون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي يعملون في الشبهات ويسيروا في الشبهات المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا مفرغهم في المعضلات إلى أنفسهم وتغويلهم في المهمات على آرائهم كأن كل امرئ منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعري وثيقات وأسباب محكمات».

وقال الإمام السجاد عليه السلام: «إن دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة ولا يصاب إلا بالتسليم فمن سلم لنا سلم ومن اهتدى بنا هدى ومن دان بالقياس والرأي هلك ومن وجد في نفسه شيئاً مما نقوله أو نقضي به حرجاً كفر بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم وهو لا يعلم».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحل وحرّم فيما لا يعلم».

وقال عليه السلام: «ما علمتم فقولوا وما لم تعلموا فقولوا الله أعلم فإن الرجل ينزع الآية فيخز فيها أبعد ما بين السماء والأرض».

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ قال: «يعني من يتخذ دينه رأيه بغير إمام هدى من أئمة الهدى».

وفي حديث آخر قال: «اتخذ رأيه ديناً».

وقال عليه السلام: «أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا

رَأْيٍ وَلَا مَقَائِسَ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وَجَعَلَ فِيهِ تَبَيَّانَ كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلَ لِلْقُرْآنِ وَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ أَهْلًا لَا يَسَعُ أَهْلَ عِلْمِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ أَنْ يَأْخُذُوا فِي دِينِهِمْ يَهْوَى وَلَا رَأْيٍ وَلَا مَقَائِسَ وَهُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ الْأُمَّةَ بِسُؤَالِهِمْ».

وقال عليه السلام: «اتَّبِعُوا آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّتَهُ فَخُذُوا بِهَا وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَكُمْ وَرَأْيَكُمْ فَتَضِلُّوا فَإِنَّ أَضَلَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَرَأْيَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ».

وقال الإمام الرضا عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾<sup>١</sup>: «يَعْنِي مَنْ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ بِغَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى».

## وجوب تحصيل درجة الفقهامة في كل عصر

مسألة ٤٦: يجب وجوباً كفائياً تفرغ من يجد في نفسه الكفاءة والقدرة على تحصيل درجة الفقهامة للتصدي لكافة المهام التي تتوقف على وجود الفقيه في المجتمع الإسلامي لتولي إقامة الجمعة والجماعة والإشراف على كافة الشؤون الدينية وإرشاد وتوعية الناس بأمور دينهم والقيام بالأمور الحسبية التي يتوقف عليها انتظام حياة الناس وحل مشاكلهم وقبض وصراف الحقوق الشرعية على المستحقين من الفقراء والمعوزين وغير ذلك ولا يتعارض ذلك مع ما يكون الناس عليه من تقليد لفقهاءهم المعتمدين الحاضرين والماضين.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>٢</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى خُلَفَائِي قَالُوا: وَمَا خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يُحْيُونَ سُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا عِبَادَ اللَّهِ وَمَنْ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ دَرَجَةٌ».

(١) سورة القصص: ٥٠.

(٢) سورة التوبة: ١٢٢.

وقال عليه السلام: «رحم الله خلفائي قيل: ومن خلفاؤك يا رسول الله؟»

قال عليه السلام: الذين يأتون بعدي ويروون سنتي ويحفظون حديثي على أمتي، أولئك

رفقائي في الجنة.»

وقال عليه السلام: «ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر.»

وقال عليه السلام: «زكاة العلم تعليمه من لا يعلمه.»

وقال عليه السلام: «تصدقوا على أحيكم بعلم يرشده ورأي يسدده.»

وقال عليه السلام: «أي إيمان أعجب؟ قالوا: إيمان الملائكة قال: وأي عجب فيه ويترز

عليهم الوحي؟ قالوا: إيماننا قال عليه السلام: وأي عجب فيه وأنتم ترؤني؟ قالوا: فأأي إيمان

هو؟ قال: إيمان قوم في آخر الزمان بسواد على بياض.»

وقال عليه السلام: «سارعوا في طلب العلم فلحديث صادق خير مما طلعت عليه الشمس

والقمر.»

وقال عليه السلام: «الفقيه الواحد أشد على الشيطان من ألف قائم وألف صائم وعالم

يُنتفع بعلمه خير من ألف عابد.»

وقال عليه السلام: «من زار عالماً فكأنما زارني ومن صافح عالماً فكأنما صافحني ومن جالس

عالماً فكأنما جالسي ومن جالسي في الدنيا أجلسه معي يوم القيامة فإذا جاء الموت

يطلب صاحب العلم وهو يطلب العلم مات شهيداً ومن أراد رضائي فليكرم صديقي

قالوا يا رسول الله من صديقك؟ قال: صديقي طالب العلم وهو أحب إلي من الملائكة

ومن أكرمه فقد أكرمني ومن أكرمني فقد أكرم الله ومن أكرم الله فله الجنة فإنه ليس

شيء أحب إلى الله عز وجل من هذا العلم ومذاكرة العلم ساعة أحب إلى الله عز وجل

من عبادة عشرة ألف سنة وطوبى لطالب العلم يوم القيامة.»

وَقَالَ ﷺ: «أَدْلُكُمْ عَلَى الْخُلَفَاءِ مِنْ أُمَّتِي وَمِنْ أَصْحَابِي وَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي هُمْ حَمَلَةُ الْقُرْآنِ وَالْأَحَادِيثِ عَنِّي وَعَنْهُمْ فِي اللَّهِ وَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ خَرَجَ يَوْمًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَلَهُ أَجْرٌ سَبْعِينَ نَبِيًّا».

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ نَشَرَ عِلْمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ».

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا رسول الله ما حق العلم؟ قال: الإنصات له. قال: ثم مه؟ قال: الاستماع له. قال: ثم مه؟ قال: ثم الحفظ. قال: ثم مه يا نبي الله؟ قال: العمل به. قال: ثم مه؟ قال: ثم نشره».

وَقَالَ ﷺ: «الْفِقْهُ حَتْمٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمَنْ عَبَّرَ بَحْرًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ سَبْعِينَ عُمْرَةً وَيَهْوَنُ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَالْفَقِيهُ الْوَاحِدُ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ قَائِمٍ وَأَلْفِ صَائِمٍ وَعَالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ».

وقال الإمام عليّ عليه السلام ذات يوم وهو على منبر الكوفة: «اللهم إني لا بد لك من حُجَجٍ فِي أَرْضِكَ حُجَّةٍ بَعْدَ حُجَّةٍ عَلَى خَلْقِكَ يَهْدُونَهُمْ إِلَى دِينِكَ وَيَعْلَمُونَهُمْ عِلْمَكَ كَيْلًا يَتَفَرَّقُ أَتْبَاعُ أَوْلِيَائِكَ ظَاهِرٍ غَيْرِ مُطَاعٍ أَوْ مُكْتَتَمٍ يَتَرَقَّبُ إِنْ غَابَ عَنِ النَّاسِ شَخْصُهُ فِي حَالِ هُدُنَتِهِمْ فَلَمْ يَغِبْ عَنْهُمْ قَدِيمٌ مَبْتُوثٌ عِلْمِهِمْ وَأَدَابُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مُثَبَّتَةٌ فَهُمْ بِهَا عَامِلُونَ».

وقال عليه السلام: «مَنْ كَانَ مِنْ شِيَعَتِنَا عَالِمًا بِشَرِيْعَتِنَا فَأَخْرَجَ ضِعْفَاءَ شِيَعَتِنَا مِنْ ظُلْمَةٍ جَهْلِهِمْ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ الَّذِي حَبَّوْنَاهُ بِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ إِلَى أَنْ قَالَ: أَلَا فَمَنْ أَخْرَجَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْرَةٍ جَهْلِهِ فَلَيْتَ شَبَّتُ بِنُورِهِ لِيُخْرِجَهُ مِنْ حَيْرَةِ ظُلْمَةِ هَذِهِ الْعَرَصَاتِ إِلَى نُزْهِةِ الْجَنَانِ فَيُخْرِجُ كُلَّ مَنْ كَانَ عِلْمُهُ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا أَوْ فَتَحَ عَنْ قَلْبِهِ مِنَ الْجَهْلِ قُفْلًا أَوْ أَوْضَحَ لَهُ عَنْ شُبُهَةٍ».

وعن عبد المؤمن الأنصاري أنه قال للإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ قَوْمًا يَرُؤُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اخْتِلَافُ أُمَّتِي رَحْمَةٌ فَقَالَ: صَدَقُوا فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ رَحْمَةً فَاجْتِمَاعُهُمْ عَذَابٌ قَالَ: لَيْسَ حَيْثُ تَذَهَبُ وَذَهَبُوا إِنَّمَا أَرَادَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

يَعْدُرُونَ<sup>١</sup> فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفِرُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَتَعَلَّمُوا ثُمَّ يَرْجِعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ فَيُعَلِّمُوهُمْ إِنَّمَا أَرَادَ اخْتِلَافَهُمْ مِنَ الْبُلْدَانِ لَا اخْتِلَافًا فِي دِينِ اللَّهِ إِنَّمَا الدِّينُ وَاحِدٌ إِنَّمَا الدِّينُ وَاحِدٌ».

وَعَنْ حَمْرَةَ بْنِ حُمْرَانَ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَنِ اسْتَأْكَلَ بِعِلْمِهِ افْتَقَرَ قُلْتُ: إِنَّ فِي شِيعَتِكَ قَوْمًا يَتَحَمَّلُونَ عُلُومَكُمْ وَيَبْتُؤُونَهَا فِي شِيعَتِكُمْ فَلَا يَعْدَمُونَ مِنْهُمْ الْبِرَّ وَالصَّلَاةَ وَالْإِكْرَامَ؟ فَقَالَ: لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِمُسْتَأْكِلِينَ إِنَّمَا ذَاكَ الَّذِي يُفْتِي بغيرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى مِنَ اللَّهِ لِيُبْطِلَ بِهِ الْحُقُوقَ طَمَعًا فِي حُطَامِ الدُّنْيَا».

وقال الإمام الكاظم ﷺ: «فقيه واحد يُنقذُ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عتاً وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشدُّ على إنليس من ألف عابد».

وقال الإمام الرضا ﷺ: «يأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاءٍ محبيننا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم إلى أن قال: فلا يبقى هناك يتيماً قد كفلوه ومن ظلمة الجهل أنقذوه ومن حيرة التيه أخرجوه إلا تعلق بشعبة من أنوارهم».

وَعَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الرِّضَا ﷺ يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا قُلْتُ: وَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ».

وقال الإمام العسكري ﷺ: «أشدُّ من يُثم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يُثم يتيماً انقطع عن إمامه ولا يقدر على الوصول إليه ولا يدري حكمه فيما يُبتلى به من شرائع دينه ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعُلومنا فهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيماً في حجره ألا فمن هداه وأرشداه وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى».

وقال الإمام المهدي ﷺ: «وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةِ حَدِيثِنَا فَإِنَّهُمْ حُجَّتِي عَلَيْكُمْ وَأَنَا حُجَّةُ اللَّهِ».

## شُرَاطُ الْفَقِيهِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهَا

مسألة ٤٧: يشترط في الفقيه الجامع لشُرَاطِ الْفَتْوَى الذي يجب تقليده والرجوع إليه الأمور التالية:

١- أن لا يتجاوز في استنباطاته للأحكام وفتاواه الشرعية مصدرى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ويلحق بها سنة خلفائه وأوصيائه أئمة العترة من أهل بيته الاثني عشر عليهم السلام كما تقدمت الإشارة إليه والاستدلال عليه.

قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي بِرُؤُوسِ حَدِيثِي وَسُنَّتِي».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِرْهَمًا وَلَا دِينَارًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا أَحَادِيثَ مِنْ أَحَادِيثِهِمْ فَمَنْ أَخَذَ بِشَيْءٍ مِنْهَا فَقَدْ أَخَذَ حِطًّا وَافِرًا فَانظُرُوا عِلْمَكُمْ عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ فَإِنَّ فِيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فِي كُلِّ خَلْفٍ عُدُولًا يَنْفُونَ عَنْهُ تَخْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ».

وقال عليه السلام: «اعْرِفُوا مَنَازِلَ شَيْعَتِنَا بِقَدْرِ مَا يُحْسِنُونَ مِنْ رَوَايَاتِهِمْ عَنَّا فَإِنَّا لَا نَعُدُّ الْفَقِيهَ مِنْهُمْ فَفِيهَا حَتَّى يَكُونَ مُحَدَّثًا فَقِيلَ لَهُ: أَوْيَكُونُ الْمُؤْمِنُ مُحَدَّثًا؟ قَالَ: يَكُونُ مُفْهَمًا وَالْمُفْهَمُ الْمُحَدَّثُ».

٢- العلم: الإحاطة بالعلوم الشرعية التي يتوقف عليها فهم النص الشرعي من آية أو رواية وبأدلة الأحكام في الحلال والحرام.

قال الإمام الباقر عليه السلام: «مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ وَمَلَائِكَةُ الْأَرْضِ وَلِحِقَّةُ وَزُرٌّ مِنْ عَمَلٍ بِفُتْيَاهُ».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِ الْعِلْمِ وَإِيَّاكُمْ وَالْوَلَائِحَ فَهَيْمُ الصِّدَّادُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ: ذَهَبَ الْعِلْمُ وَبَقِيَ غُبْرَاتُ الْعِلْمِ فِي أَوْعِيَةِ سَوْءٍ وَآخِذُوا بِاطْنِهَا فَإِنَّ فِي بَاطِنِهَا الْهَلَاكَ وَعَلَيْكُمْ بِظَاهِرِهَا فَإِنَّ فِي ظَاهِرِهَا النَّجَاةُ».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «لَيْسَ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَا شِئْتَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾»<sup>١</sup>.

٣- الصدق: قال الإمام الصادق عليه السلام: «حَدِيثٌ فِي حَلَالٍ وَحَرَامٍ تَأْخُذُهُ مِنْ صَادِقٍ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ».

٤- التضلع في فهم مقاصد ومحاسن الشريعة

عَنْ عَبْدِ السَّلَامِ الْهَرَوِيِّ عَنِ الْإِمَامِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا قُلْتُ: كَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا».

٥- يرغب الناس في الدين ولا ينفرهم عنه

قال الإمام علي عليه السلام: «ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟: من لم يرخص الناس في معاصي الله، ولم يقنطهم من رحمة الله، ولم يؤمنهم من مكر الله، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه.

وعنه عليه السلام قال: «الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يؤمنهم من مكر الله».

٦- الأمانة الرسالية: أن يعتقد أن مهمته الدينية في الحياة مهمة مقدسة وأنها استمرار لمسيرة خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ومسيرة الأئمة الهداة النجباء المعصومين من عترته عليهم السلام، وأنه مستأمن على أدائها وتبليغها لمن في عصره والحفاظ عليها لتصل إلى من سيأتي من بعده.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الْفُقَهَاءُ أَمَنَاءُ الرُّسُلِ».

وقال الإمام علي عليه السلام: «مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ الْإِمْنَاءِ عَلَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ».

## ٧- تحصين الدين من الانحرافات

قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ».

وقال ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الدِّينَ فِي كُلِّ قَرْنٍ عُدُولٌ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْمُبْطِلِينَ وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْجَاهِلِينَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ».

وقال ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عُدُولٌ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْجَاهِلِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْغَالِينَ».

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِي قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي يَرُؤُونَ حَدِيثِي وَسُنَّتِي».

وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْيَبْتُمْ السُّنَنَ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بِرَأْيِهِمْ فَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «انظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فإننا أهل البيت في كل خلفٍ عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين».

٨- الورع والتقوى: والمقصود به الاتصاف بالورع والتقوى والفوز بالحظ الوافر منه والملازمة على جملة الطاعات والعبادات، والتنزه عن مقارفة جملة المنهيات من المحرمات والمكروهات، فإن ذلك من أعظم الأسباب لمن أخذ به وارتاض، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (المحقق).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، المتمسك بسنة النبي ﷺ».

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَائِنًا لِنَفْسِهِ حَافِظًا لِدِينِهِ مُخَالِفًا عَلَى هَوَاهُ مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِ أَنْ يُقَلِّدُوهُ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْضَ فُقَهَاءِ

الشَّيْعَةَ لَا كُلَّهُمْ فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْفَوَاحِشِ مَرَكَبَ عُلَمَاءِ الْعَامَّةِ فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ عَنَّا شَيْئاً وَلَا كَرَامَةً».

٩- القدرة على بيان الأحكام بأسلوب سهل رصين يسهل فهمه والعمل به

قال الإمام الكاظم عليه السلام: «فَقِيهٌ وَاحِدٌ يُنْقِذُ يَتِيمًا مِنْ أَيْتَامِنَا الْمُنْقَطِعِينَ عَنَّا وَعَنْ مُشَاهَدَتِنَا بِتَعْلِيمِ مَا هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ».

وعَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحِ الْهَرَوِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الرَّضَا عليه السلام يَقُولُ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا قُلْتُ: وَكَيْفَ يُحْيِي أَمْرَكُمْ؟ قَالَ: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ».

وقال عليه السلام: «يَأْتِي عُلَمَاءُ شِيعَتِنَا الْقَوَّامُونَ بِضُعْفَاءِ مُحِبِّينَا وَأَهْلِ وَلَايَتِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْأَنْوَارُ تَسْطَعُ مِنْ تَيْجَانِهِمْ إِلَى أَنْ قَالَ: فَلَا يَبْقَى هُنَاكَ يَتِيمٌ قَدْ كَفَلُوهُ وَمِنْ ظُلْمَةِ الْجَهْلِ أَنْقَذُوهُ وَمِنْ حَيْرَةِ التَّيْبِ أَخْرَجُوهُ إِلَّا تَعَلَّقَ بِشُعْبَةٍ مِنْ أَنْوَارِهِمْ».

وقال عليه السلام: «يُقَالُ لِلْعَابِدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نِعَمَ الرَّجُلِ كُنْتَ هِمَّتْكَ ذَاتُ نَفْسِكَ إِلَى أَنْ قَالَ: وَيُقَالُ لِلْفَقِيهِ: يَا أَيُّهَا الْكَافِلُ لِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام الْهَادِي لِضِعْفَاءِ مُحِبِّبِهِمْ وَمُؤَالِيهِمْ قِفْ حَتَّى تَشْفَعَ لِمَنْ أَخَذَ عَنْكَ أَوْ تَعَلَّمَ مِنْكَ فَيَقِفُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَعَهُ فَيَنَامُ وَفَيَنَامُ وَفَيَنَامُ حَتَّى قَالَ عَشْرًا: وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ عُلُومَهُ وَأَخَذُوا عَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ وَعَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَانظُرُوا كَمْ فَرَقٌ مَا بَيْنَ الْمُنْزِلَتَيْنِ».

١٠- التحرر من املاءات السلطات السياسية التي تتعارض مع ثوابت وقيم

الدين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله فِي حَدِيثٍ: «وَالْفُقَهَاءُ أَمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا قَيْلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: اتِّبَاعُ السُّلْطَانِ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى أَدْيَانِكُمْ».

وقال الإمام علي عليه السلام: «الْمُلُوكُ حُكَّامُ عَلَى النَّاسِ وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامُ عَلَى الْمُلُوكِ».

وقال عليه السلام: «الْعُلَمَاءُ حُكَّامُ عَلَى النَّاسِ».

١١- أن لا يستأكل الناس بعلمه: أن يكون ممن يؤدي العلم الشرعي لمن يسأله ويطلبه ويحتاج إليه ويظهره ويعلن به للذود عن بيضة الإسلام لو خشي عليه من التحريف ولا يجعل ذلك مرهوناً بتحصيل المال وتحقيق مآرب ومنافع شخصية ودنيوية من الناس لقاء ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومن تناولها من غير حلها هلك، إلا أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظه».

وقال ﷺ: «أوحى الله إلى داود عليه السلام: لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدقك عن طريق محبتي، فإن أولئك قطاع طريق عبادي المرئيين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم».

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة».

وقال عليه السلام: «إذا رأيتم العالم محباً لدنياه فاتهموه على دينكم، فإن كل محب لشيء يحوط ما أحب».

١٢- الصلب العقيدة الثابت المبدأ الذي لا يتقلب ولا يتلون بحسب الظروف والأحداث

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس». وذيله العلامة المجلسي رحمه الله بقوله بعد نقله له في كتابه مرآة العقول: «(الهجوم) الإتيان بغتة و(اللوابس) الأمور المشتبهة، والحاصل أن من عرف أهل زمانه وميز بين حقهم وباطلهم وعالمهم وجاهلهم ومن يتبع الحق ومن يتبع الأهواء منهم، لا يشتبه عليه الأمور ويتبع المحققين ويترك المبطلين ولا تعرض له شبهة بكثرة أهل الباطل وقلة أهل الحق وغلبة المبطلين وضعف المحققين»<sup>١</sup>.

## أحكام تقليد الفقهاء

ويترتب على ما قدمناه من شرائط جملة من المسائل:

**مسألة ٤٨:** يحرم التقليد لغير الفقهاء الأمناء على الدين والدنيا.

**مسألة ٤٩:** لا يجوز تشخيص وتحديد الحكم الشرعي في شيء من المسائل المبتلى بها إلا للفقهاء المتصف بصفات النيابة عنهم عليهم السلام، وهو المعبر عنه في الاصطلاح بالفقيه الجامع للشرائط (المحقق).

**مسألة ٥٠:** يجب في الحاكم الشرعي الذي له حق النيابة عن الإمام عليه السلام أن يكون متصفاً بالفقاهة والعدالة والصدق والورع كما تضمنته مقبولة عمر بن حنظلة.

**مسألة ٥١:** يجوز تقليد الفقيه الميت الجامع للشرائط ابتداءً، لأن المستفاد من أخبار أهل الذكر (صلوات الله عليهم) هو وجوب الرجوع إلى رواية أخبارهم ونقله آثارهم فمن ذلك قول رسول الله ﷺ: «اللهم ارحم خلفائي ثلاثاً، قيل: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي».

وقول الإمام الصادق عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة: «ينظران من كان منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا فليرضوا به حكماً فإني قد جعلته إليكم حاكماً»، والتوقيع الخارج من الناحية المقدسة (الإمام الحجة المهدي عليه السلام) على يد محمد بن عثمان العمري أحد السفراء الأربعة من أجوبة مسائل اسحق بن يعقوب وقوله عليه السلام فيه: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلي رواة حديثنا فإنهم حجتي وأنا حجة الله» إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة.

ولا ريب أن العامل على كلام هؤلاء الرواة والأخذ بأقوالهم إنما هو أخذ بأقوال الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) وإن كان بواسطة هؤلاء كما ينادي به قول الإمام الصادق عليه السلام في مقبولة عمر بن حنظلة في تتمة الكلام الذي نقلناه منها حيث قال عليه السلام بعد قوله: «فقد جعلته حاكماً»: «فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه

فإنما استخف بحكم الله وعلينا ردّ، والراد علينا كالراد على الله، وهو على حد الشرك بالله..». الحديث (المحقق).

**مسألة ٥٢:** لا فرق بين الرجوع في التقليد إلى الفقيه الحي أو الميت، مادامت الغاية والثمرة من التقليد محرزة وكل من صح تقليده من الفقهاء الجامعين للشرائط في حياته صح تقليده بعد وفاته ومماته، لأن العلم لا يموت بموت حملته والعلماء باقون ما بقي الدهر بآثارهم ومصنفاتهم ينتفع بعلمهم كل من يجيء بعدهم... لقول الإمام الصادق عليه السلام: «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيء غيره»، وهو كما ترى صريح في أن الحق لا يتغير بتغير الزمان ولا يتبدل بموت ولا حياة على ممر الأزمان (المحقق).

ولو كان العلم يموت بموت أهله وحملته لكان أولى بذلك الإسلام لموت المبعوث به، وهو النبي الأكرم ﷺ، وكذا مذهب أهل البيت بموت الإمام جعفر الصادق عليه السلام، بل موت كل علم من سائر العلوم الدنيوية المتداولة بيننا اليوم بموت مكتشفيه ومؤسسيه، كالكيمياء والفيزياء والطب والهندسة وغيرها، وهو أمر مرفوض بداهة، وهذا المعنى هو الحكم الشرعي الصحيح الذي دلّت على جوازه النصوص عن أهل الخصوص.

**مسألة ٥٣:** لا فرق في جواز الاطلاع والأخذ وتلقي الأحكام الشرعية من الفقيه الجامع للشرائط أن يكون عن طريق المشافهة الحضورية أو عبر وسائل التواصل الصوتي والمرئي أو القراءة من كتاب من تأليفه وفي حال كونه حياً لا فرق بين حضوره وغيباه ولا يقضته ونومه ولا صحته ومرضه، فإن الأحكام الشرعية لا تتبدل بما يعتري ذلك الفقيه من سنن الحياة.

**مسألة ٥٤:** لو تعذر الوصول إلى الفقيه الذي اختاره واتخذ مرجعاً له وفقد التواصل معه أو لم يتمكن من مراجعة رسالته العملية الخاصة به لعدم توفرها بين يديه جاز له الاعتماد على كتب فقهاء الشيعة الإمامية الإثني عشرية الذين كان مدار فتاواهم على الأخبار واعتمادهم عليها في الورود والإصدار فالموت غير مضر بفتاواهم

بعد معرفة حالهم وتقواهم وأنهم لا يعملون بالقياس والاستحسان ولا يتعاملون بغير الكتاب والسنة في أحكام الملك الديان كفتاوى الشيخ في النهاية وفتاوى المفيد في المقنعة وفتاوى الصدوقين في الرسالة والهداية وفتاوى المحقق في نافعه ومعتبره وفتاوى الكاشاني في مفاتيحه ونخبته وفتاوى الحر في هدايته وبدائته وفتاوى الخراساني في ذخيرته ومن جرى هذا المجرى في مبدئه ونهايته (العلامة).

**مسألة ٥٥:** لو لم يوجد في المجتمع فقيه يتولى القضاء الشرعي وأمور الناس التي تتوقف وتعتمد عليه يكون جميع المكلفين من أبناء تلك الدولة مخاطبين بالسعي ووجوب تحصيل العلم الموجب لبلوغ هذه المرتبة فإنها من الواجبات الكفائية إذا قام بها البعض سقط عن الباقيين وإن أخلو جميعاً اشتركوا في الإثم والمؤاخذاة، ولو انبرى وتصدى منهم من يتأدى به الغرض يكون الجميع معذورين في وقت طلبهم وتحصيلهم للعلم.

ويدلّ على ذلك ما روي عن يعقوب بن شعيب أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إذا حدث على الإمام حادث كيف يصنع الناس؟ فأجابه بقوله: أين قول الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾<sup>١</sup> إلى قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>٢</sup>، وقال: هم في عذر ما داموا في الطلب وهؤلاء الذين ينتظروهم في عذر حتى يرجع إليهم أصحابهم» (المحقق).

## تنويه بفقهاء آخر الزمان

**مسألة ٥٦:** سيبتلي عامة الناس في آخر الزمان بظاهرة تقهر وتدني المستوى الديني والالتزام الحقيقي وضعف التمسك بأحكام الدين ومقاصده العليا وقيمه المثالية السامية وبروز وظهور شخصيات دينية منحرفة نافذة بتوصيف مراجع تقليد خطرهم عظيم وضررهم جسيم على مجتمعاتهم والأمة الإسلامية فيجب التمسك في

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) نفس الآية السابقة.

مقابلتهم بالفقهاء العدول الصالحاء الأوائل ممن توافقت وتطابقت على فضلهم وعلمهم وتقواهم وتبحرهم واستقامتهم وشهادات العلماء وتسالم على فضلهم واستقامة مسلكهم عامة الناس.

ويجب النأي بجميع أبناء مجتمعاتنا عن متابعة أمثال هؤلاء الشذاذ وتنبههم على وجوب مقاطعتهم وترك الاقتداء بهم لتحصين الدين وحماية المؤمنين من عواقب فسادهم وانحرافهم لما ورد من التحذير منهم على لسان خاتم المرسلين ﷺ في قوله: ١- «سيأتي على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه، يسمعون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإلهم تعود».

٢- «يأتي على الناس زمان بطونهم ألهمهم ونساؤهم قبلتهم، ودنانيرهم دينهم، وشرفهم متاعهم، لا يبقى من الايمان إلا اسمه، ولا من الاسلام إلا رسمه، ولا من القرآن إلا درسه، مساجدهم معمورة من البناء، وقلوبهم خراب عن الهدى، علماؤهم شر خلق الله على وجه الارض، حينئذ ابتلاهم الله في هذا الزمان بأربع خصال: جور من السلطان، وقحط من الزمان، وظلم من الولاة والحكام فتعجبت الصحابة فقالوا: يا رسول الله أيعبدون الاصنام؟ قال: نعم، كل درهم عندهم صنم».

## التصدي للقضاء والإفتاء

مسألة ٥٧: لا يجوز التصدي للحكم في القضاء والإفتاء بين الناس لغير الفقيه الجامع للشرائط، وعليه تدل أخبار أهل الذكر التي هي أولى بالإتباع إذ المفهوم منها أن الحكم بين الناس والفتوى في المسائل الشرعية لا يجوز لغير من له حق النيابة عنهم ﷺ وهو المعبر عنه في كلام الفقهاء (رضوان الله عليهم) الفقيه الجامع للشرائط.

فمن الأخبار الواردة في هذا المقام ما روي عن الإمام عليّ عليه السلام أنه قال لشریح: «يا شريح قد جلست مجلس لا يجلسه إلا نبي أو وصي نبي أو شقي».

وما روي أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين: رجل وكرهه الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره، رهن بخطيئته، ورجل قمش<sup>١</sup> رجلاً في جهال الناس، عان بأغباش الفتنة<sup>٢</sup>، قد سماه أشباه الناس عالماً ولم يغن فيه يوماً سالماً، بكر فاستكثر، ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجن<sup>٣</sup> واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضياً سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المهمات المعضلات هياً لها حشوا من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهبا، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره، وإن أظلم عليه أمر اكتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، لكيلا يقال له: لا يعلم، ثم جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات، ركاب شبهات، خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعرض في العلم بضرر قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم، تبكي منه المواييث، وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا مليء<sup>٤</sup> بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط، من ادعائه علم الحق».

وما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اتقوا الحكومة فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لنبي أو وصي نبي».

لا يقال: إن الحصر في النبي أو وصي النبي يدل على عدم تعدي ذلك لغيرهما لأننا نقول: إنه قد دلت الأخبار على تعيين النواب عنهم عليهم السلام عموماً وخصوصاً وهي أكثر وأشهر من أن تذكر ففضية الجمع بينها وبين هذين الخبرين أن الثابت من جهتهم

(١) القمش: جمع الشيء (لسان العرب: ٦ / ٣٣٨).

(٢) العاني: الأسير، وأغباش الفتنة: ظلمها (النهاية: ٣ / ٣١٤ وص ٣٣٩).

(٣) آجن: الماء المتغير الطعم واللون (النهاية: ١ / ٢٦).

(٤) المليء: الثقة الغني (النهاية: ٤ / ٣٥٣).

والمنصوب من قبلهم خصوصاً أو عموماً يرجع إليهم، ولهذا قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية عمر بن حنظلة بعد ذكر النائب العام فيها: «إذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فإنما استخف بحكم الله وعلينا رد والراد على الله، وهو على حد الشرك بالله» الحديث. فانظر كيف جعل الرد على نائبيهم رداً عليهم ورداً على الله سبحانه وعلى حد الشرك بالله، وما هو إلا لما قلنا أولاً من أن النائب عنهم إنما يحكي وينقل أقوالهم فهو يرجع إليهم بالأخرة... وصاحب هذه المرتبة في هذه الأزمان أعز من الكبريت الأحمر، فلا تغتر أيها السامع والناظر بكثرة المتصدين في المجالس والمحاضر (المحقق).

**مسألة ٥٨:** لا يجوز لمن يزعم أنه بلغ مرتبة الفقاهاة أن يكتفي في الفتوى بمجرد النقل عن الكتب الفقهية بل لا بد له من تتبع أدلة المسألة من جميع مواردها وأن تكون له ملكة استنباط الأحكام وأن يكون عارفاً بجميع العلوم التي يتوقف عليها ذلك، وأن يكون له من الورع والتقوى ما يمنعه ويحجزه عن التجري على الفتوى والقول على الله سبحانه بغير علم.

**مسألة ٥٩:** لو تعدد الفقهاء في البلد الواحد جاز الرجوع لأي واحد منهم للفصل في الخصومات والمنازعات ويجب عليه أن يمثل لحكم أي واحد يختار منهم فيما يحكم به ويرشد إليه.

**مسألة ٦٠:** إذا اتفق أن وقع الاختلاف بينهم في مسألة المبتلى بها ووقعت الخصومة فيها، فإنه يرجع في ذلك إلى المرجحات ويقدم من اتصف بالزيادة في هذه الصفات المذكورة على الناقص فيها، كما صرح به في المقبولة المشار إليها حيث قال عليه السلام بعد قول السائل: «إن الحكمين لو اختلفا في الحكم ما صورته: الحكم ما حكم به أعدلهما وأفقههما وأصدقهما في الحديث وأورعهما، ولا يلتفت إلى ما حكم به الآخر».

أما لو اتصف أحدهم بالزيادة في بعض الآخر اتصف بالزيادة في بعض آخر يقدم الأفقه على الأعدل لاشتراكهما في أصل العدالة المانعة من التهجم على المحارم، وتبقى زيادة الفقاهاة الموجبة لزيادة غلبة الظن خالية من المعارض، ومع تساويهما في الفقاهاة يقدم الأعدل لثبوت الرجحان له (المحقق).

**مسألة ٦١:** منصب القضاء مخصوص بالأئمة عليهم السلام أو من عينوه خصوصاً أو عموماً مع الحضور أو الغيبة، ولكن لو فقد الفقيه جاز لمن هو دونه في الرتبة من الفضلاء تولى الأمور الحسبية وقد استفاضت أخبارهم (صلوات الله عليهم) بأنه يرجع في ذلك إلى من روى حديثهم ونظر في حلالهم وحرامهم وعرف أحكامهم مع الاتصاف بالعدالة والتقوى فإنه حاكم وقاض على الأمة من جهتهم وخليفة عليهم من قبلهم والراد عليه كالراد عليهم حسبما تضمنه مقبولة عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة وتوقيع الصاحبي وغيرها.

ويكفي من المراد برواية أحاديثهم ومعرفة أحكامهم معرفة البعض الذي يتم به الفرض فإن اشتراط رواية جميع أحاديثهم والاحاطة بها ومعرفة كل أحكامهم، سواء كان في (الكتب الأربعة) أو غيرها يؤدي إلى أن لا يوجد هذا الفرد على مرور الأزمان... ويؤيد ذلك ما في رواية أبي خديجة من قوله عليه السلام: «ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه.. الخ» فما ذكره بعض الفقهاء من اشتراط الاحاطة بالجميع ليس بمؤجّه، وقد فهم من كونه حاكماً وقاضياً من جهتهم (صلوات الله عليهم) رجوع جميع الامور الحسبية عملاً بحق النيابة (المحقق).

**مسألة ٦٢:** يجوز تولي بعض الأمور الحسبية لعدول المؤمنين عند فقد الفقيه الجامع لشرائط الفتوى لحفظ مال اليتيم والغائب ونحو ذلك.

**مسألة ٦٣:** لو لم يوجد الفقيه المذكور أو تعذر الوصول اليه لمراجعتة لفض الخصومات والفصل في المنازعات، فالظاهر جواز تولي عدول المؤمنين العارفين ممن لم يبلغ تلك المرتبة العلية لسائر الامور الحسبية عدا ما يتعلق بالحكم والقضاء والافتاء دفعاً للحرج المنفى بالشريعة السمحة السهلة لما يلزم من الضرر والتضرر في أموال الايتام والغيب والفروج ونحوها، كما لا يخفى على من جاس خلال تلك الديار ورأى ما يحدث في الاقطار على ممر الادوار، ولأنه تعاون على البر والتقوى.

ويدل على ذلك أيضاً ظاهر حديث ابن بزيع قال: «مات رجل من اصحابنا ولم يوص فرفع أمره إلى القاضي الكوفي فصيّر عبد الحميد القيم بماله وكان الرجل خلفاً

ورثة صغاراً ومتاعاً وجواري فباع عبد الحميد المتاع فلما أراد بيع الجواري ضعف قلبه في بيعهن إذ لم يكن الميت صيّر اليه وصيته وكان قيامه هذا بأمر القاضي لأنهن فروج. قال فذكرت ذلك لأبي جعفر الباقر عليه السلام فقلت: يموت الرجل من أصحابنا ولم يوصّ إلى أحد ويخلف جواري فيقيم القاضي رجل منا ليبيعهن فيضعف قلبه لأنهن فروج فما ترى في ذلك القيم؟ قال فقال: إذا كان القيم مثلك أو مثل (عبد الحميد) فلا بأس».

والظاهر المماثلة في العدالة والضبط لأموالهم، وأما القضاء والحكم والافتاء فيختص ذلك بالفقيه الجامع للشرائط لما ورد في تلك الأخبار الدالة على أنه القاضي والحاكم من جهتهم عليهم السلام للأخبار المستفيضة عن أهل الذكر عليهم السلام كقول أمير المؤمنين عليه السلام لشريح: «يا شريح قد جلست مجلساً لا يجلسه إلا نبي أو وصي أو شقي». وما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اتقوا الحكومة فان الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين لني أو وصي نبي».

والحصر في النبي والوصي إضافي بالنسبة إلى من تصدر في ذلك بغير إذنهم لما عرفت من الأخبار الدالة على أن من عرف أحكامهم وروى حديثهم: فهو حاكم وقاضٍ من جهتهم.

وما روي عنه عليه السلام أيضاً من أن: «القضاة أربعة واحدة في الجنة وثلاثة في النار» إلى أن انتهى إلى الرابع فقال: «ورجل قضى بالحق وهو يعلم في الجنة». ومثلها جملة من الأخبار التي يطول بنقلها الكلام، وكلها صريحة في المنع من الحكم والافتاء إلا لذلك المخصوص في تلك النصوص بالاستثناء.

## التبعيض في العمل بالفتاوى

مسألة ٦٤: إذا قلد المكلف أحد الفقهاء الماضين الذين ارتحلوا عن الدنيا وابتلي بمسألة لم يكن له فيها فتوى ووجد من الفقهاء الأحياء من له فتوى خاصة فيها جاز

له الرجوع اليه والعمل بفتواه فيها بشرط أن يعرف في مسلكه أنه لا يتجاوز في فتاواه دليلي الكتاب والسنة المطهرة كما أكدنا مراراً وتكراراً.

**مسألة ٦٥:** لو فقد الفقيه الحي في بلد ما وكان هناك بعض المقلدين للفقهاء الأموات يحتاجون إلى جواب بعض المسائل المبتلى بها والتي لا توجد في الرسائل العملية لمقلديهم جاز لطلاب العلم ممن ليس في مرتبة الفقاهاة نقل الفتاوى لمن يحتاجها من كتب الفروع المنتشرة المتوفرة إذا علم كون المصنف الذي عثر على حكم له فيها لا يتجاوز في فتواه عن الكتاب والسنة ومع اختلافها يكون منها مخيراً كالأخذ بأقوال الفقهاء الموجودين إذا تساوا في الشرائط المرجحة.

**مسألة ٦٦:** جواز التبعض بين مرجعه وغيره من المراجع يتوقف على أمرين:  
الأول: عدم إمكانية الرجوع اليه والتواصل معه لاستفتائه كما لو كان من الفقهاء الأموات أو في بلد لا يستطيع التواصل معه لفقد أدوات الاتصال المختلفة به.  
الثاني: أن لا يوجد مرجعه في مسألة التي ابتلي بها فتوى يمكنه أن يعمل بها والرجوع إليها فلو وجدت لم يجز له العمل بفتوى غيره فيها.  
**مسألة ٦٧:** من كان مقلداً لفقيه حي أو ميت وأراد أن يقلد غيره في بعض المسائل طلباً للأسهل والأيسر له حسب نظره وتقديره لم يجز له ذلك.

## الاحتياط في الأمور الدينية

**مسألة ٦٨:** لو كان المكلف مُقلداً أي لم يبلغ مرتبة الفقاهاة واحتاج إلى حكم للعمل في مسألة ابتلي بها ليس لمرجعه المتوفى حكم فيها وليس في مقدوره مراجعة أحد الفقهاء الأحياء الجامعين للشرائط لم يجز له الاعتماد على أخذها من سائر كتب الفقهاء لما هي عليه من الاختلاف في الفتوى حتى من المصنف نفسه في كتب متعددة، ولا ريب أن الزمان زمان حيرة عجل الله تعالى بفرج من به تزال هذه الرجة.

والذي ينبغي في مثل هذه الحال هو مراجعة كتب الفقهاء الاستدلالية والأخذ بما يجده الأحوط في الدين لورود الأمر منهم ﷺ للجاهل يتحقق الحكم الشرعي

بالوقوف على جادة الاحتياط ليأمن الوقوع في مهاوي الاختياط حتى يحصل له من يوقفه على الحكم الشرعي الحقيقي كما ينادي به قوله ﷺ في حديث عبدالرحمن بن الحجاج في رجل سأله عن مسألة فلم يدر ما جوابها فقال ﷺ: «إذا أصبتم بمثل ذلك فلم تدرؤا فعليكم بالاحتياط حتى تسألوا عنه فتعلموا»، وفي معناه غيره.

ويدل على وجوب الاحتياط في مثل هذا الحال صحيحة عبدالرحمن بن الحجاج قال: «سألت أبا الحسن (الكاظم) ﷺ عن رجلين أصابا صيداً وهما محرمان فداء ان عليهما أو على كل واحد منهما الصيد قلت: إن بعض أصحابنا سألني عن ذلك فلم أدر ما عليه، فقال: إذا أصبتم بمثل هذا فعليكم بالاحتياط حتى تسألوا عنه فتعلموا» وهذا أحد أفراد الشبهة التي تضمنها خبر التثليث المستفيض «حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجا من الهلكات، ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات، وهلك من حيث لا يعلم»، وفي آخر: «فإن الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة»، وفي خبر آخر عن الإمام الرضا ﷺ قال فيه: «وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوا علمه إلينا فنحن أولى بذلك ولا تقولوا فيه بأرائكم، وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتى يأتيكم البيان من عندنا».

وبالجملة فإن الواجب هو الكف والوقوف عن الحكم والفتوى والرجوع في العمل إذا كان لا بد منه ولا مناص عنه إلى الاحتياط، وأما الرجوع إلى كتب الفقهاء في هذا الحال فإن علم أن صاحب الكتاب من مشهور علمائنا الأطياب الذين لا يختلج في فضلهم وورعهم وتقواهم الشك والارتياب، وكان ممن لا يتجاوز في فتاويه السنة والكتاب ولا يحصل الاختلاف في فتاويهم والاضطراب فلا بأس بالرجوع إلى العمل بكتابه في هذا الباب فكما أنه لو كان حياً لقلده ورجع إليه فكذا بعد موته لما عرفت في مسألة المتقدمة من أن الحكم الشرعي لا يتغير ولا يتفاوت بالموت والحياة (المحقق). الواجب على الفقيه الجامع للشرائط التورع حسب الامكان عن الوقوع في مهاوي الحكم والفتوى والوقوف على جادة الاحتياط في العلم والعمل لينجو بذلك من الزلل

والخطل وإن لا يتجشم الفتوى إلا مع وضوح الدليل وكونه نير السبيل ولا يغتر بمن خلع عن عنقه ربة الخوف والتقوى، وصار يخبط في الفتوى خبط عشواء فلا ترد عليه مسألة إلا وأفتى فيها برأيه ومال إلى هواه فإنه من اتباع الشيطان الذي استضله واستغواه ثم أنه يجب أن يعلم أن الاحتياط عبارة عما يخرج به المكلف عن عهدة التكليف على جميع الاحتمالات ويصير بريء الذمة على جميع المقالات وإنه ينقسم عندنا إلى واجب ومستحب، فالواجب منه ما كان في مقام الاشتباه في الحكم الشرعي بمعنى إنه لم يظهر ذلك الحكم من الدليل ظهوراً يوجب الإفتاء به والقول بأنه حكم الله تعالى في المسألة والوجه فيه أنه استفاضت الأخبار بأن الأحكام على ثلاثة أقسام: حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك، فمن اجتنب الشبهات نجا من الوقوع في الهلكات، ومعنى الحلال البين هو الذي حليته بيّنة من الدليل الشرعي، وكذا الحرام البين هو الذي تحريمه معلوم ومجزوم به من الدليل الشرعي، ومالم يكن كذلك فهو من الشبهات.

والحكم في الشبهات كما استفاضت به الروايات هو الوقوف فيها عن الحكم والفتوى والأخذ في العلم بطريق الاحتياط وجوباً والاشتباه الموجب للاحتياط قد يكون منشأه وسببه عدم الوقوف على الدليل في الحكم، وقد يكون سببه عدم وضوح الدليل واحتماله لمعان متعددة، وقد يكون سببه التردد في اندراج بعض الجزئيات تحت كليات مختلفة الحكم ونحو ذلك.

والمستحب مالم يكن كذلك بأن يكون الحكم الشرعي قد وضع على وجه يوجب الفتوى به لكن لأجل الخروج عن مخالفة الدليل المقابل واحتمال أن يكون الحق فيه، يحتاط بالخروج عن مخالفة الدليلين معاً.

وكيف كان فلا ريب في رجحان الاحتياط واستحبابه كما استفاضت به الأخبار

مثل:

قول رسول الله ﷺ: «الْأُمُورُ ثَلَاثَةٌ: أَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعْهُ وَأَمْرٌ تَبَيَّنَ لَكَ غَيْبُهُ فَاجْتَنِبْهُ وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ فِيهِ فَرُدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

وقوله عليه السلام: «أَيُّهَا النَّاسُ حَلَالِي حَلَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَحَرَامِي حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَلَا وَقَدْ بَيَّهَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْكِتَابِ وَبَيَّنَّهُمَا لَكُمْ فِي سُتِّي وَسِيرَتِي وَبَيَّهَمَا شُهْمَاتٍ مِنَ الشَّيْطَانِ وَبَدَعَ بَعْدِي مَنْ تَرَكَهَا صَلَحَ لَهُ أَمْرٌ دِينِهِ وَصَلَحَتْ لَهُ مُرُوتُهُ وَعَرَضُهُ وَمَنْ تَلَبَّسَ بِهَا وَقَعَ فِيهَا وَاتَّبَعَهَا كَانَ كَمَنْ رَعَى غَنَمَهُ قُرْبَ الْحَيِّ وَمَنْ رَعَى مَا شِئْتَهُ قُرْبَ الْحَيِّ نَارَعَتْهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَرَعَاهَا فِي الْحَيِّ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَيٍّ أَلَا وَإِنَّ حَيَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَحَارِمُهُ فَتَوَقَّوْا حَيَّ اللَّهِ وَمَحَارِمَهُ».

وقوله عليه السلام: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنٌ وَبَيْنَهُمَا شُهْمَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّهُمَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرَضِهِ وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّهُمَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي حَوْلَ الْحَيِّ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ أَلَا إِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَيٍّ وَإِنَّ حَيَّ اللَّهِ تَعَالَى مَحَارِمُهُ».

وقوله عليه السلام: «دَعُ مَا يُرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يُرِيْبُكَ».

وقول الإمام علي عليه السلام: «حَلَالٌ بَيْنٌ وَحَرَامٌ بَيْنٌ وَشُهْمَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَمَنْ تَرَكَ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ فَهُوَ لِمَا اسْتَبَانَ لَهُ أَتَرَكَ وَالْمَعَاصِي حَيَّ اللَّهِ فَمَنْ يَرْتَعُ حَوْلَهَا يُوشِكُ أَنْ يَدْخُلَهَا».

وقوله عليه السلام: «وَأَنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّهُمَةُ شُهْمَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللَّهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ فَدَعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ الْعَيْ».

وقوله عليه السلام: «أَحْوَكُ دِينِكَ فَاحْتَطِّ لِدِينِكَ بِمَا شِئْتَ».

وقول الإمام الصادق عليه السلام: «خُذْ بِالْإِحْتِيَاظِ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ مَا تَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَاهْرُبْ مِنَ الْفُتْيَا هَرَبِكَ مِنَ الْأَسَدِ وَلَا تَجْعَلْ رَقَبَتَكَ عَتَبَةً لِلنَّاسِ».

مسألة ٦٩: لو كان ذلك الاحتياط ناشئاً عن الوسواس الشيطانية والأوهام النفسانية كما يقع من بعض الناس المبتلين بالوسواس فالظاهر من الأخبار تحريمه كما ورد عنه عليه السلام من قوله: «الوضوء بِمُدٍّ وَالْغُسْلُ بِصَاعٍ، وَسِيَّاتِي قَوْمٌ يَسْتَقْلُونَ

ذلك، فأولئك على غير سنتي، والثابت على سنتي معي على حظيرة القدس» ولأنه مع اعتقاد شرعيته تشريع في الدين، والله يهدي من يشاء إلى صراطه المبين (المحقق).

**مسألة ٧٠:** لو تنافى القولان على وجه لا يمكن الجمع بينهما كالقول بالتحريم والقول بالوجوب في شيء واحد:

من القواعد المستفادة من أخبار أهل الذكر عليهم السلام أن الفعل متى تردد بين الوجوب والحرمة إما لورود خبر يفيد ذلك أو لتعارض الأخبار أو لظرو حالة على المكلف توجب تغيير الحكم إلى حالة أخرى في نظره مع جهله بالحكم وعدم تمكنه من السؤال فإن الظاهر من الأخبار أن الاحتياط هنا واجب بالترك ففي حديث ابن بكير وزيارة «في أناس من أصحابنا حجوا بامرأة معهم فقدموا إلى الوقت وهي لا تصلي فجهلوا أن مثلها ينبغي أن تحرم فمضوا بها كما هي حتى قدموا مكة وهي طامث حلال فسألوا الناس فقال: تخرج إلى بعض المواقيت فتحرم منه، وكانت إذا فعلت لم تدرك الحج، فسألوا الإمام الباقر عليه السلام فقال: تحرم من مكانها، قد علم الله نيتها».

وجه الدلالة أنها تركت واجباً في الواقع لاحتمال حرمتها عندها بسبب الحيض والإمام عليه السلام أقرها على ذلك ولم ينكر عليها بل استحسن ذلك بقوله: «قد علم الله نيتها» أي علم أن تركها الإحرام إنما جاء من حيث اعتقادها تحريمه وهو مشعر بأن الحكم فيها كان كذلك هو الترك... وعن سماعة عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «سألته عن رجل اختلف عليه رجلان من أهل دينه في أمر كلاهما يرويه أحدهما يأمره بأخذه والأخر ينهاه كيف يصنع؟ قال: يرجه حتى يلقي من يخبره فهو في سعة حتى يلقاه».

وجه الدلالة أنه لما كان كل من الأمر والنهي حقيقة في الوجوب والتحريم فالحكم هنا باعتبار أمر أحدهما ونهي الآخر تردد بين الوجوب والتحريم، وهو عليه السلام قد أمر في الصورة المذكورة بالإجراء الذي هو عبارة عن ترك الفعل حتى يلقي من يخبره بتعيين أحدهما فالاحتياط حينئذ هو الترك (المحقق).

**مسألة ٧١:** متى علم أشغال الذمة بعبادة مثلاً لكنما صارت مترددة بين فردين أو أكثر مثلاً فإن أصل العبادة معلومة الاستقرار في الذمة، لكن الكيفية مجهولة في

ضمن هذين الفردين والأفراد، والاحتياط الواجب شرعاً هو الإتيان بفردى ما شك فيه أو الأكثر إن كان، ومنه التردد في وجوب الجمعة وتحريمها لتعارض الأدلة أو لعدم من تقلده في الحكم فإنه يعلم اشتغال ذمته في هذا الوقت بفريضة يقيناً لكنه شك في كونها الجمعة أو ظهراً، فتعين الخروج من عهدة التكليف تعين البراءة يتوقف على الإتيان بالفرضين المذكورين معاً.

ومثله من نوى الإقامة مثلاً ثم بدا له في الخروج قبل الصلاة أو بعدها ولم يعلم الحكم الشرعي في حقه ولم يتمكن من السؤال فإن الواجب عليه بمقتضى ما ذكرنا هو الصلاة تماماً وقصراً، وهكذا جميع ما هو من هذا الباب بلا إشكال ولا ترتيب (المحقق).



# الأخبارية والأصولية

## نزاع بين الأصيل والدخيل

مسألة ٧٢: أبرز مدرستين فقهيتين عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية اليوم هما:

١- الأخبارية

٢- الأصولية

-١-

### المدرسة الأخبارية

مسألة ٧٣: المدرسة الأخبارية هم (أصحاب النص والقطع) ومصادر التشريع عندهم الكتاب والسنة المطهرة لرسول الله ﷺ وأهل بيته الأئمة المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام) وهم أصحاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام الأصيلة النقية البيضاء التي حرسها ودونت ونشرت تراثهم وآثارهم منذ عصر صدور النص إلى يومنا هذا ودأبت على التمسك بأذيالهم في كل شاردة وواردة صغيرة وكبيرة وأهم ما يميز هذه المدرسة أربعة أمور:

١- الاعتقاد بالأصليين الأصيلين: القرآن الكريم والسنة المطهرة وكونهما المصدرين الشرعيين الوحيين للعقيدة والعلم والعمل الشرعيين في الأصول والفروع والمرجعين للفكر الإسلامي الأصيل النقي من شائبة كل دخيل ومنهاج الشريعة الإسلامية الخاتمة في جميع مناحي الحياة.

٢- الالتزام بمبدأ الأصالة الربانية في التشريع وأن التشريع أمره ونهيه مختص به سبحانه وتعالى وما بلغه عنه الوحي وجاء على لسان نبيه بالقرآن أو الحديث القدسي

أو صدر عنه من قول وفعل وقرره وما بلغه عنه خلفاؤه وأوصياؤه وأمناؤه على شريعته وهم الأئمة الاثنا عشر من عترته وخاصة أهل بيته الطيبين الطاهرين. وأن باب الاجتهادات الشخصية في قبالتها موحد وممنوع ومرتكبها إثمه جسيم وذنبه عظيم.

٣- الحكم بإيمان وإسلام كل من يحصل له الاطمئنان والوثوق بأصول الاعتقادات والمعارف العقائدية وتسكن نفسه به بأي طريق اتفق.

٤- الاعتقاد بأن الله جلّ شأنه أرسل رسالته الخاتمة بشريعة كاملة وأن خاتم رسله محمد بن عبد الله ﷺ وخلفاءه عليهم السلام الأئمة الإثني عشر من عترته قد بلغوها كاملة كما أنزلها وأنها تضمنت كل ما تحتاج إليه البشرية من تشريعات وأحكام وقواعد ومبادئ حتى انتهاء الدنيا وقيام الساعة.

## النص على مباني المدرسة الأخبارية من القرآن والسنة

مسألة ٧٤: قد ورد التصريح الصريح في آيات قرآنية فرقانية وكذا ورد في السنة النبوية الشريفة وسنة أهل البيت عليهم السلام ما يؤكد صحة نهجها وأصالة مشربها ومدرستها الفكرية واستقامة طريقتها وسيرتها العلمية والعملية وأن الذمة تبرأ قطعاً بالعمل على نهج فقهاءها ومحدثيها الأعلام لأنه في الحقيقة يمثل الإسلام الأصيل الخالي من كل فكر دخيل ونسوق إليك بعضاً من أهم ما يدل على ذلك:

قال عز من قائل: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>١</sup>.

﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>٢</sup>.

(١) سورة الشورى: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ٨٤.

﴿أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾<sup>١</sup>.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ \* وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>٢</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>٣</sup>.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾<sup>٤</sup>.

﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾<sup>٥</sup>.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ \* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَرَكَرَبًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ \* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٤-١٥٥.

(٣) سورة النساء: ١٣٦.

(٤) سورة النساء: ١٥٢.

(٥) سورة النساء: ١٦٢.

لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ ﴿١﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ مِنْ مَخَانِهِ وَاقْتَبِسُوهُ مِنْ أَهْلِهِ».

وقال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ عَمَّنْ يَثِقُ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُصَلِّيَ أَلْفَ رُكْعَةٍ».

وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ خُلُقَانِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ خُلُقَاؤُكَ؟ قَالَ: الَّذِينَ يَأْتُونَ مِنْ بَعْدِي وَيَرُؤُونَ عَيِّي أَحَادِيثِي وَسُنَّتِي فَيَعْلَمُونَهَا النَّاسَ مِنْ بَعْدِي».

وقال ﷺ: «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَأَدَّاهُ كَمَا سَمِعَ قَرَبًا مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ».

وقال ﷺ: «إِنَّ عُلَمَاءَ شِيعَتِنَا يُحْشَرُونَ فَيُخْلَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَعِ الْكِرَامَاتِ عَلَى كَثْرَةِ عُلُومِهِمْ وَجِدِهِمْ فِي إِرْشَادِ عِبَادِ اللَّهِ حَتَّى يُخْلَعُ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَلْفُ أَلْفِ حُلَّةٍ مِنْ نُورٍ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادِي رَيْنًا عَزَّ وَجَلَّ أَيُّهَا الْكَافِلُونَ لِأَيْتَامِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ النَّاعِشُونَ لَهُمْ عِنْدَ انْقِطَاعِهِمْ عَنِ آبَائِهِمُ الَّذِينَ هُمْ أَيْمَتُهُمْ هَؤُلَاءِ تَلَامِدَتُكُمْ وَالْأَيْتَامُ الَّذِينَ كَفَلْتُمُوهُمْ وَنَعَشْتُمُوهُمْ فَاخْلَعُوا عَلَيْهِمْ خِلَعِ الْعُلُومِ فِي الدُّنْيَا فَيُخْلَعُونَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَوْلِيَاكُمْ الْأَيْتَامِ عَلَى قَدْرِ مَا أَحَدُوا عَنْهُمْ مِنَ الْعُلُومِ».

وقال الإمام علي عليه السلام: «مَجَارِي الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ الْإِيمَانِ عَلَى حَالِهِ وَحَرَامِهِ».

وقال عليه السلام: «مَنْ كَانَ مِنْ شِيعَتِنَا عَالِمًا بِشَرِيعَتِنَا فَأَخْرَجَ ضِعْفَاءَ شِيعَتِنَا مِنْ ظُلْمَةِ جَهْلِهِمْ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ الَّذِي حَبُونَاهُ بِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَأْسِهِ تَاجٌ إِلَى أَنْ قَالَ: أَلَا فَمَنْ أَخْرَجَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ حَيْرَةٍ جَهْلِهِ فَلَيْتَشَبَّثَ بِنُورِهِ لِيُخْرِجَهُ مِنْ حَيْرَةِ ظُلْمَةِ هَذِهِ الْعَرَصَاتِ إِلَى نُزْهِةِ الْجَنَانِ فَيُخْرِجُ كُلَّ مَنْ كَانَ عِلْمُهُ فِي الدُّنْيَا خَيْرًا أَوْ فَتَحَ عَنْ قَلْبِهِ مِنَ الْجَهْلِ قُفْلًا أَوْ أَوْضَحَ لَهُ عَنْ شُبْهَةٍ».

وجاء في وصيته عليه السلام عند قرب وفاته إلى ولده وشيعته وفيها: «وَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تَعْدِرُونَ فِي تَرْكِ طَاعَتِهِ طَاعَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ طَاعَتَنَا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَنَظَّمَ ذَلِكَ فِي آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ مَنْأً مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ فَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَطَاعَةَ وُلَاةِ الْأَمْرِ مِنْ آلِ رَسُولِهِ وَأَمْرَكُمْ أَنْ تَسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ وَنَحْنُ وَاللَّهُ أَهْلُ الدِّكْرِ لَا يَدْعِي ذَلِكَ غَيْرُنَا إِلَّا كَاذِبٌ تَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا \* رَسُولًا يَنْلُوعُ عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>١</sup> ثُمَّ قَالَ: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>٢</sup> فَنَحْنُ أَهْلُ الدِّكْرِ فَاقْبَلُوا أَمْرَنَا وَانْتَهُوا إِلَى نَهْيِنَا فَإِنَّا نَحْنُ الْأَبْوَابُ الَّتِي أَمَرْتُمْ أَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْهَا فَنَحْنُ وَاللَّهُ أَبْوَابُ تِلْكَ الْبُيُوتِ لَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِنَا وَلَا يَقُولُهُ أَحَدٌ سِوَانَا.

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «فَابْشِرُوا مَعَاشِرَ عُلَمَاءِ شِيعَتِنَا بِالثَّوَابِ الْأَعْظَمِ وَالْجَزَاءِ الْأَوْفَرِ».

وعن الإمام الباقر عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾<sup>٣</sup> قَالَ: «إِلَى الْعِلْمِ الَّذِي يَأْخُذُهُ عَمَّنْ يَأْخُذُهُ».

وفي حديث أنه عليه السلام قال للحسن البصري: «نَحْنُ الْقُرَى الَّتِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ أَقَرَّ بِفَضْلِنَا حَيْثُ أَمَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْتُونَا فَقَالَ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً﴾<sup>٤</sup> وَالْقُرَى الظَّاهِرَةُ الرُّسُلُ وَالنَّقْلَةُ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا وَفَقَهَاءُ شِيعَتِنَا إِلَى شِيعَتِنَا وَقَوْلُهُ ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾<sup>٥</sup> فَالسَّيْرُ مَثَلٌ لِلْعِلْمِ يَسِيرُ بِهِ لِيَالِي وَيَأْمَأُ مَثَلًا لِمَا يَسِيرُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ فِي اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنَّا إِلَيْهِمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْفَرَائِضِ آمِنِينَ فِيهَا إِذَا أَحَدُوا عَنْ مَعْدِنِهَا الَّذِي أَمَرُوا أَنْ يَأْخُذُوا عَنْهُ آمِنِينَ مِنَ الشُّكِّ

(١) سورة الطلاق: ١٠-١١.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

(٣) سورة عبس: ٢٤.

(٤) سورة سبأ: ١٨.

(٥) سورة سبأ: ١٨.

وَالضَّلَالِ وَالنُّقْلَةِ إِلَى الْحَرَامِ مِنَ الْحَلَالِ فَهُمْ أَخَذُوا الْعِلْمَ عَمَّنْ وَجَبَ لَهُمْ بِأَخْذِهِمْ عَنْهُمْ الْمَغْفِرَةَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ مِيرَاثِ الْعِلْمِ مِنْ آدَمَ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا ذُرِّيَّةَ مُصَقَّاةٍ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَلَمْ يَنْتَهِ الْإِصْطِفَاءُ إِلَيْكُمْ بَلْ إِلَيْنَا انْتَهَى وَنَحْنُ تِلْكَ الذُّرِّيَّةُ لَا أَنْتَ وَلَا أَشْبَاهُكَ يَا حَسَنُ».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أنتم والله على دين الله ودين رسوله ودين علي بن أبي طالب، وما هي إلا آثار عندنا من رسول الله ﷺ نكنزها».

وقال عليه السلام: «أما والله انكم لعلى الحق، وأن من خالفكم لعلى غير الحق، والله ما أشك أنكم في الجنة، فإني لأرجو أن يقر الله أعينكم إلى قريب».

وعن عباد بن زياد قال: قال لي أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام: «يا عباد، ما على ملة إبراهيم أحد غيركم، وما يقبل الله إلا منكم، ولا يغفر الذنوب إلا لكم».

وعن أبي بصير أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «من آل محمد؟ قال: ذريته فقلت: من أهل بيته؟ قال الأئمة الأوصياء فقلت: من عترته؟ قال أصحاب العباء فقلت: من أمته؟ قال: المؤمنون الذين صدقوا بما جاء من عند الله عز وجل المستمسكون بالثقلين الذين أمروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وهما الخليفتان على الأمة بعد رسول الله ﷺ».

وقال عليه السلام: «ما أحد أحب إلي منكم، ان الناس سلكوا سبلاً شتى، منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه، وأنكم أخذتم بأمر له أصل».

وقال عليه السلام: «إن الناس أخذوا هكذا وهكذا، فطائفة أخذوا بأهوائهم، وطائفة قالوا بأرائهم، وطائفة قالوا بالرواية، والله هداكم لحبه وحب من ينفعكم حبه عنده».

وقال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أنزل في القرآن؟ إلا وقد أنزله الله فيه».

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَجُلٌ رَاوِيَةٌ لِحَدِيثِكُمْ إِلَى أَنْ قَالَ: فَقَالَ: الرَّاوِيَةُ لِحَدِيثِنَا يَشُدُّ بِهِ قُلُوبَ شِيعَتِنَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ».

وقال الإمام العسكري عليه السلام: «أَتَدْرُونَ مَنْ الْمُتَمَسِّكُ بِهِ الَّذِي بَتَمَسَّكَه يَنَالُ هَذَا الشَّرْفَ الْعَظِيمَ هُوَ الَّذِي يَأْخُذُ الْقُرْآنَ وَتَأْوِيلَهُ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَعَنْ وَسَائِطِنَا السُّفْرَاءِ عَنَّا إِلَى شِيعَتِنَا لَا عَنْ آرَاءِ الْمُجَادِلِينَ فَأَمَّا مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَإِنْ اتَّفَقَ لَهُ مُصَادَقَةٌ صَوَابٍ فَقَدْ جَهَلَ فِي أَخْذِهِ عَنْ غَيْرِ أَهْلِهِ وَإِنْ أَخْطَأَ الْقَائِلُ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَبَوَّأَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

-٢-

## المدرسة الأصولية

**مسألة ٧٥:** المدرسة الأصولية هم (أصحاب الرأي والاجتهاد والظن) ومصادر التشريع عندهم الكتاب والسنة ودليل العقل ودليل الإجماع والدليل الثالث من بينها في حقيقة أمره هو الأصل الحاكم عندهم على البقية جميعاً وبذلك خالفوا وغيروا المدرسة الأخبارية وفتحوا الباب على مصراعيه للدخيل ونبذ الأصل في التشريع.

**مسألة ٧٦:** أهم ما يميز هذه المدرسة أمور:

١- الطعن بقطعية دلالة القرآن الكريم بعد القطع بصدوره (القرآن قطعي الصدور ظني الدلالة) والطعن بقطعية صدور السنة النبوية وسنة أئمة أهل البيت (السنة ظنية الصدور قطعية الدلالة) ويطلق عليهم مدرسة الظن التي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ وهم بذلك يخرجون أكثر الآيات عن دلالتها لكونها ظنية ويخرجون أكثر الروايات عن دائرة التشريع بعد الطعن في أسانيد ورودها والتخلص من دلائل مضامينها وعدم الاستدلال بها لكون صدورها ظنياً وليس قطعياً ولو وجدت في المصادر الروائية

المعتمدة والموثقة من الأصول والمجاميع الروائية بعد غربلتها بغربال الجرح والتعديل المستسلق من المذاهب الأخرى ومن ثم اتهام الشريعة بالنقص وعدم الوفاء بمتطلبات التشريع خلافاً لقوله جل من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>١</sup>.

٢- تأسيس أصول فقه من اجتهادات مجتهدي مدرستهم ابتكروها واستسلقوها من مصادر خارج دائرة المذهب وقنونها وقدسوها بحسب تاريخ نشأة وتطور الحركة الأصولية الاجتهادية جيلاً بعد جيل وقاموا بإحلالها محل المأثور من النصوص المبعدة باصطلاحاتهم المبتدعة والاستعاضة بأرائهم واجتهاداتهم عنها.

٣- الحكم بعدم إيمان وإسلام كل من لم يحصل له اليقين بأصول الاعتقادات عن طريق الأدلة العقلية الفلسفية والمنطقية في الواقع وإن حكم بإسلامه في الظاهر.

٤- القول بجواز الاجتهاد الشخصي في قبال نصوص التشريع الربانية، والقول بحاكمية آراء عقول أصحابها على القرآن والسنة الأمر الذي ترتب عليه إخراج كم هائل من النصوص من دائرة التشريع الإلهي وحول الدين والشريعة إلى فقه وضعي بشري صاغته العقول في قبال مصدري التشريع الرئيسيين الكتاب والسنة كما ستقف عليه من خلال تصريحات بعض مجتهدي القرن العشرين المؤكدة على أن كل مجتهد منهم لا يكون مجتهداً أصولياً حتى تكون له أصول فقه تخصصه وحده مفتخراً بها على أنه صاحب مبنى ونحريير الكلام والمعنى فأصبح بذلك كل واحد منهم صاحب شريعة ودين وعدوا ذلك أصل الاجتهاد في الدين.

وإليك بعض الأمثلة على ما قلناه نسوقها لأصحاب الحمية على الدين، والغيرة على الإسلام لتنبية أنظارهم لما عساه قد خفي وغاب عن أبصارهم:

١- قال الشيخ محمد بن الشيخ محمد طاهر الخاقاني في مقدمة كتاب المحاكمات في الأصول: «يجب أن يكون المجتهد قد انفصل عن حلقات المذهب التقليدي الذي

مآله بالنتيجة إلى التقليد لرأي من يرى جدارته العلمية لأنه رجع إلى حسن الظن بكلمات استاذة فما ذاك إلا لكونه مرتبناً بفكرة استاذة وإن رجحه بنظريات أخرى فكذلك لم يخرج أيضاً عن تلك الأسوار المقفلة بل ينبغي أن ينظر إلى مدعى الأعلمية إلى مبانيه وأصوله الأساسية فهل يمكنه أن يؤسس مبنى جديداً ويهدم مبنى آخر لا أن يكون نظره في نطاق محدد ينظر إلى جهة التأييد والرجحان من دون نظر إلى المبنى وما يتفرع عليه فحقيقة الاجتهاد وإن كانت مقولة بالشكيك إلا أنه يحسن بالمقتدر على الاستنباط أن ينطلق إلى سماء الحرية والاستقلال قد تعرى عن ألبسة الآخرين وأفكارهم وصار صاحب اللواء الخفاق بنفسه»<sup>١</sup>.

وقال في موضع آخر من الكتاب المذكور: «يكون سير الاجتهاد أن يلتقي مع نظريات جديدة ومباني مبتكرة لا ترتبط مع تلك المباني الأخرى»<sup>٢</sup>... «إن الباحث في الفقه إذا لم يرتكز إلى أسس هذا الفن وقواعده المحكمة كان فقهه يشبه فقه العوام فيتعين على الباحث في علم الفقه أن يتقن أصوله ويكون له رأي في كل مسألة منه»<sup>٣</sup>.

٢- وقال السيد رضا الصدر في كتاب الاجتهاد والتقليد: «قد اشتهر بين القوم عدم جريان التقليد في مسائل أصول الفقه فمن كان مقلداً في تلك المسائل فلا رخصة له أن يدخل في دائرة الاستنباط في الفروع الفقهية إذ النتيجة تابعة لأخص المقدمتين فمن لم يكن مجتهداً في إحدى مقدمات الاجتهاد فليس بمجتهد»<sup>٤</sup>.

٣- وقال السيد علي نقي الحيدري: «لقد برع علماؤنا (رضوان الله عليهم) وأبدعوا في هذا العلم في الفقه نفسه وتوسّعوا فيهما وأسسوا القواعد وفرعوا الفروع وما زالوا يتدرجون في مراقي علوه وسلالم نموه جيلاً بعد جيل حتى بلغوا النهاية والذروة ونشروهما في أرجاء البلاد الإسلامية وفتحوا لهما المدارس العالية وألفوا لهما الكتب

(١) المحاكمات: ج ١، ص ١٤.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ١٦.

(٣) نفس المصدر السابق: ص ٢٩.

(٤) الاجتهاد والتقليد: ص ٤٨٦.

المطوّلة والمختصرة»<sup>١</sup>.

٤- وقال السيد محمد كلانتر في مقدمته لكتاب مكاسب الشيخ الأنصاري عند حديثه عن كتابه الآخر المسمى بالرسائل: «وذكر في الثاني عصارة الأصول وزبدة الأقوال والآراء فيها بالإضافة إلى تأسيس قواعد جديدة رصينة متينة كل ذلك بصب المطالب الغامضة والعناوين الفقهية والأصولية في قوالب ألفاظها العذبة الرصينة المناسبة لها والتي أتى بها بنات فكره الشيء الكثير مما لم تكن لها سابقة في عالم الوجود...»<sup>٢</sup>.

٥- وقال السيد حسن الأمين في دائرة المعارف عند تعرضه لكتاب فرائد الأصول: «ومؤلف هذا الكتاب هو الشيخ الأنصاري مرجع الشيعة في عصره ومؤسس علم الأصول الحديث»<sup>٣</sup>.

٦- وقال السيد عبد الأعلى السبزواري في مقدمة كتابه تهذيب الأصول: «هذه خلاصة ما حققناه وحققه مهرة مشايخنا (قدّس الله أسرارهم) المبتكرين لهذه الصناعة بعد طول الجهد وتحمل المتاعب أبرزتها في أسهل العبارات وأيسر الجملات»<sup>٤</sup>.

٧- وقال الشيخ عبدالحسين بن محمد رضا التستري في ديباجته التي وشّح بها كتاب الرسائل للشيخ الأنصاري: «أودع فيه نقود الحقائق وفرائد درر الدقائق وأدرج فيه من مهمات مسائل الأصول ما لم يذكر في أبواب ولا فصول وأجاد ما أفاد به فيه من المطالب الأبيكار ما لم تصل إليه نتائج الأفكار»<sup>٥</sup>.

٨- وقال السيد محمد باقر الصدر رحمته الله في مقدمة حلقات أصوله: «ونذكر على

(١) أصول الاستنباط: ص ٣٣.

(٢) المكاسب: ج ١، ص ١٨٥، ط ١، النجف.

(٣) دائرة المعارف: ج ٣، ص ١٦٦.

(٤) تهذيب الأصول: ج ١، ص ٣، ط ١.

(٥) الرسائل: ص ١، ط قم، جامعة مدرسين.

سبيل المثال لما استجد من مطالب افكار باب التزام وما أشاده الميرزا من مسلك جعل الطريقة بتعميقاته وتفريعاته في مسائل قيام الامارات مقام القطع الموضوعي وحكومة الامارات على الأصول ورفع قاعدة قبح العقاب بلا بيان بجعل الحجية وفكرة جعل الحكم بنحو القضية الحقيقية بآثارها الممتدة في كثير من أبحاث علم الأصول كبحت الواجب المشروط والشرط المتأخر والواجب المعلق وأخذ العلم بالحكم في موضوع الحكم والوجه الجديد لبحت المعاني الحرفية الذي يختلف اختلافاً أساسياً عن الصورة الغربية التي تخلقها آراء صاحب الكفاية في ذهن الطالب فإن هذه المطالب وغيرها مما أصبحت تشكل محاور للفكر الأصولي الحديث هي نتاج الفترة المتأخرة<sup>١</sup>.

وقال أيضاً: «قد حصل علم الأصول بعد الرسائل والكفاية على خبرة مائة سنة تقريباً من البحث والتحقيق على يد أجيال متعاقبة من العلماء المجددين وخبرة ما يقارب مائة سنة من البحث العلمي والأصولي جديدة بأن تأتي أفكار جديدة كثيرة وتطور طريقة البحث في جملة من المسائل وتستحدث مصطلحات لم تكن تبعاً لما تكون من مسالك ومبان»<sup>٢</sup>.

٩- وقال الشيخ مرتضى الكيلاني في تحرير الرسائل: «لم يكن مبحث الصحيح والأعم ولا البحث عن المعنى الحرفي ولا البحث عن المشتق عندهم وبالجملة لم يكن في تلك الأزمنة صناعة الأصول بهذه الطريقة التي كانت متداولة فيما بيننا اليوم وفي الكتب التي بين أيدينا»<sup>٣</sup>.

ومما جاء أيضاً في دائرة المعارف لحسن الأمين: «علم الأصول قد دخلته تطويلات كثيرة من غيرنا ومننا لزوم لها وقد اختصر جملة منها صاحب المعالم وأتى بما يناسب ما وصلت إليه الأفكار في ذلك العصر واستدراكات نافعة ولكنهم أطالوا إطلاات توجب

(١) الحلقة الأولى: ص ١١، ط بيروت.

(٢) نفس المصدر السابق: ص ١٠.

(٣) تحرير الرسائل: ص ٩٨.

ضياح العمر من عهد صاحب القوانين في المائة الثانية عشرة إلى اليوم مع صعوبة العبارة وحقق فيه الشيخ مرتضى الأنصاري تحقيقات نافعة جداً ولكنه أطال وأتى بما يمكن الاستغناء عنه واختصره وحققه شيخنا وأستاذنا ملا كاظم الخراساني في كتابه الكفاية لكنه أتى فيه بعبارات مغلقة ومزج مسائله بجملة من مسائل الحكمة وكان على المتأخرين أن يهدّبوا ما ألفه المتقدمون ويختصرون لا أن يأتوا بمثل ما أتوا به ويزيدوا في التطويل والتعقيد ولو كانت المؤلفات فيه مهذبة ومختصرة لكفى لمعرفته من الزمن عشر ما كان يعرف فيه على الأقل»<sup>١</sup>.

١٠- وقال الشيخ مرتضى آل ياسين في مقدمته لكتاب مبادئ الأصول إلى علم الأصول: «ولعل فيهم . أي قراء هذا الكتاب من سيقول وما الفائدة من نشر هذا الكتاب في عصر تطور فيه علم الأصول تطوراً قفز به عن مستوى الكتاب إلى أبعد الحدود حتى لقد أصبح في شاكلة تكاد لا يشدها بشاكتته الأولى إلا الاسم والاسم فقط وأنها لقولة لا تعدوا الصواب»<sup>٢</sup>.

١١- وقال السيد بحر العلوم في رجاله: «اختلاف الفقهاء في مباني الأحكام لا يوجب عدم الاعتداد بأقوالهم لأنهم قديماً وحديثاً كانوا مختلفين في الأصول التي تبني عليها الفروع»<sup>٣</sup>.

إلى غيرها من الأقوال التي يطول الإملاء بذكرها ويعجز القلم عن حصرها ويحق وصفهم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾<sup>٤</sup>.

وهي كما ترى كلمات صريحة وواضحة بما لا يدع مجالاً للشك في أن علم أصول الفقه الذي ينتسبون وينسبون مدرستهم إليه إنما هو عبارة عن مجموعة آراء شخصية لمجتهدهم أسسوها وابتكروها وعرفوا بها ولا علاقة لها بثوابت النصوص

(١) دائرة المعارف: ج ٣، ص ١٠٩.

(٢) مبادئ الأصول: ط قم، تحقيق البقال، ونشر مكتب الاعلام الإسلامي.

(٣) رجال السيد بحر العلوم: ج ٣، ص ٢٢١.

(٤) سورة النساء: ١٥٧.

القطعية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

**مسألة ٧٧:** القراءة في شرح اللمعة ونحوها من كتب المجتهدين الأصوليين أمواتهم وأحيائهم في الحوزات الدينية إن أريد بها التدرّب في الاطلاع على كلام الأصحاب وفهم دقائق كلامهم والخوض معهم في تحقيق نقضهم وإبرامهم فلا بأس إلا أن هذا لا يكون إلا بعد تحصيل الأهم والأوجب فهو في المرتبة الثانية من ذلك وإن أريد به العمل بما اشتملت عليه من الفتاوى والتقليد لمصنفها فإنه ممنوع على أن مصنفها هذه الكتب قد منعوا من الأخذ بكتبتهم بعد موتهم لاتفاقهم على عدم جواز تقليد الميت ولا سيما شيخنا الشهيد الثاني الذي صنّف في هذه مسألة رسالة وادعى الإجماع فيها على ذلك وذيل الكلام في المقام واسع والله العالم (المحقّق).

**مسألة ٧٨:** يحرم تقليد مراجع المجتهدين الذين لا يقتصرون في استنباط الأحكام الشرعية على دليلي ومصدري القرآن والسنة المطهرة ونحن إنما صرنا إلى المنع من العمل على كتبهم (رضوان الله عليهم) والأخذ بما فيها لتجاوز كثير منهم في الفتوى إلى بعض الأدلة الأصولية التي ليست بمعتمدة عندنا (المحقّق).

**مسألة ٧٩:** لا يجوز العمل بالمشهور من فتاوى الفقهاء الأصوليين لأنه لا وجه له إذ رب مشهور لا أصل له ورب متأصل ليس بمشهور، والشهرة في هذه الأعصار المتأخرة لا توجب علماً وعملاً. نعم، الشهرة في العصر القديم كزمن الأئمة صلوات الله عليهم وما اتصل به وقرب منه مما يمكن الاعتماد عليهما وربما ترجح بها على الأخبار إلا أن حصولها في هذه الأعصار نادر بل غير ممكن كما لا يخفى على ذوي الأفهام والأنظار (المحقّق).

**مسألة ٨٠:** يجب على عامة طلاب الحوزات الدينية العلم بما هو واجب عيني عليهم كالعلم بالله سبحانه وصفاته وما يجوز عليه ويمتنع حسبما ورد في الكتاب العزيز والسنة النبوية على الصادع بها وآله أشرف صلاة وتحية والعلم بالنبوة والإمامة وبما جاء به النبي ﷺ من أحوال المبدأ والمعاد مما علم تواتره من دينه ﷺ ولو تقليدياً بما تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب ويحصل به الإذعان والتصديق.. وأما دراسة

العلوم العقلية من قبيل علم المنطق والكلام مثل شرح التجريد والحكمة من قبيل الهداية وما زاد على ذلك من أدلة المتكلمين والخوض في دقائق الكلام فهو فرض كفاية صيانة للدين عن شبه المعاندين والملحدين.

وكذا يجب عليهم العلم بما هو واجب كفاي وهو العلم بما فوق هذه المرتبة في هذه العلوم المذكورة كماً وغيها إلى أن يبلغ إلى درجة العلم بالأحكام الشرعية عن أدلتها التفصيلية وهو المعبر عنه بالفقاهة في كلامهم فإنه واجب كفاي في كل قطر إن لم يوجد من يتصف به في ذلك القطر وإلا كان مستحباً (المحقق).

**مسألة ٨١:** جميع ما يتوقف عليه الوصول إلى مرتبة الفقاهة من العلوم الآلية وغيرها تابع له في الوجوب والاستحباب (المحقق).

**مسألة ٨٢:** إن كان المشتغل بتحصيل جميع العلوم الآلية والعربية ونحوها ممن له قوة الاستعداد إلى الترقى إلى رتبة الفقاهة فإنه لا بد له من التدرج فيها كماً لأنها علوم شريفة وتعلمها وإتقانها موجب لمزيد قوة الفهم والإدراك وبلوغ درجة الاستنباط ولكن ينبغي على الحد الأوسط من غير تضييع للعمر في الطريق ليصل عاجلاً إلى الشرب بذلك المشرب الرحيق وإن لم يكن كذلك كما هو مقتضى هذه الأوقات المملوءة بالأفات والمخافات فليقتصر بعد تحصيل القدر الواجب العيني الذي قدمنا الإشارة إليه على ما يحصل له به البصيرة في الفهم من العلوم الآلية والعربية ثم السعي في التفقه في الدين (المحقق).

**مسألة ٨٣:** خوض جميع طلاب الحوزات الدينية في علم الكلام والمنطق وشروح التجريد ونحوها تضييع للوقت والعمر في غير محله بل ضره وأثمه أكثر من نفعه هذا إن فقد به حظه عن السعي السريع لتلك المرتبة العلية المنار والرفيعة المقدار وإلا فقد عرفت أن تحصيل مرتبة الفقاهة من الواجبات الكفائية في كل قطر ومصر والواجب الكفائي إذا لم يقم به من تحصل به الكفاية اشترك الجميع في استحقاق العقاب والعذاب بتركه ويصير حكمه حكم الواجب العيني حينئذٍ.

ولا ريب أن الناس كماً في هذا الزمان بترك تحصيل هذه المرتبة وتقاعد عزائمهم وهمهم عن السعي فيها والجد في بلوغها قد اشتركوا في الإثم واستحقاق العقوبة إلا

أن يمن الله سبحانه بعفوه ورضوانه (المحقق).

مسألة ٨٤: استفاضت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بالمنع عن الجلوس في مجالس وحلقات تدريس المدارس الفكرية المنحرفة والحضور عندهم والخوض في علومهم وما يختصون به من عقائد وأفكار.

مسألة ٨٥: يحرم حفظ كتب الضلال ونسخها ودراستها ويجب إتلافها.

مسألة ٨٦: يحرم استسلاق الأفكار المنحرفة والحدائثية من المدارس الفكرية المنحرفة وكل ما لم يرد اندراجه ضمن الأصول الماثورة والقواعد المروية الواردة في اخبار خاتم المرسلين وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

مسألة ٨٧: يجب الاعتقاد بأن خاتم المرسلين وعترته الأئمة المعصومين (عليهم أفضل الصلاة والسلام) كانوا حريصين على بيان كل حقير ويسير ونقيير وقطمير من الأحكام الشرعية، فضلاً عن أصولها وقواعدها والمهم من مسائلها وأحكامها (المحقق).

مسألة ٨٨: لا يتوقف فهم الفقيه في العلم والعمل على العلوم العقلية من فلسفة ومنطق وعلى علم الأصول الذي أسسه واخترعه الأصوليون بل هو أمر لا نعرف له مستنداً وظاهر الاخبار ترده كأمرهم عليهم السلام للشيعه البعيدي الشقة عنهم بالرجوع إلى جملة من رواتهم، وحملة أخبارهم.

ومن المعلوم أن ماعدا اتقان اللغة العربية والإحاطة بعلومها وعلوم القرآن والدراية وفقه الحديث غير متعارف عليه في تلك الأزمان ولا معول عليها بين أولئك الأعيان، بل مدارهم مجرد الرواية عن أهل الذكر صلوات الله عليهم مشافهة او بوسائط ولو من تلك الأصول الروائية المتداولة بينهم.

نعم لا ريب أن ممارسة علوم اللغة العربية من صرف ونحو وبلاغة وعلوم القرآن وعلم الحديث ودرايته مما يفيد زيادة في القوة التي بها تستنبط معاني تلك الاخبار والملكة التي عليها في ذلك المعول والمدار (المحقق).

مسألة ٨٩: يجب على الفقيه الجامع للشرائط مراجعة كتب فقهاءنا الاستدلالية

فإنها مما تعين أعظم الإعانة على فهم الأحكام في الحلال والحرام، فإنها في الحقيقة كالشروح للأخبار في التنبيه على معانيها والجمع بين مختلفاتها، ومع ذلك فالواجب التتبع لجملة كتب الأخبار العالية المنار، وعدم الاقتصار على مجرد الكتب الأربعة المشهورة: ككتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام وكتاب الأمالي وكتاب معاني الأخبار ونحوها من الكتب التي جمعها مشايخنا الأجلاء كالمجلسي في كتاب بحار الأنوار والحر العاملي في وسائل الشيعة والنوري في مستدركه جزاهم الله تعالى أفضل الجزاء في دار القرار. فإن كثيراً من الأحكام التي شنع وتحامل جملة من العلماء (رضوان الله عليهم) على من قال بها ممن تقدمهم بكونها خالية عن المستند وجدت مستنداتها في هذه الكتب المشار إليها (المحقق).

**مسألة ٩٠:** لا حصر للاستدلال بالأحاديث المروية عن النبي والآل عليهم صلوات ذي الجلال في الكتب الأربعة (الكافي) ومن لا يحضره الفقيه والتهذيب والاستبصار للمحمدين الثلاثة) خاصة، فإن استفاضة الكتب والمجاميع الروائية التي اعتمد عليها العلامة المجلسي في البحار والشيخ الحر العاملي في وسائله والنوري في مستدركه وتواتر نقلها عن مصنفها أمر لا ينكر وظاهر لا يستر، وإن كانت أقل مرتبة من تلك (المحقق).

**مسألة ٩١:** الواجب على الفقيه استفراغ الوسع في تحصيل تلك الأدلة من مظانها وطلبها من معادنها، وربما وجد الخبر في هذه الكتب الأربعة مطلقاً أو مجملاً أو عاماً، وله مقيد أو مفصل أو مخصص في غيرها من المجاميع الروائية التي أشرنا إليها وقد بينا أكثر ذلك بحمد الله في كتابنا نهج الشريعة لجميع الشيعة.

ومن الواجب أيضاً النظر في مختلفات الأخبار والجمع بينها بالقواعد المقررة عن أهل العصمة (صلوات الله عليهم) بعد اعطاء التأمل حقه في معرفة الاختلاف وكونه على وجه لا يمكن التطبيق فيه بينها والانتلاف، فإن كثيراً من أخبار ترى في بادي النظر متنافية، وإذا تأملت في معانيها وقراءتها حق التأمل وجدت مؤتلفة متصافية (المحقق).

مسألة ٩٢: على الفقيه أن يقتصر على ما يرجح عنده من أدلة الأحكام لمن سألته عن الحكم الشرعي من عامة الناس وتجنب نقل الخلافات واختلاف الأقوال في المسائل المختلفة لعدم جدوى الاطلاع عليها للعامة، ولا ثمره مهمة فيه للسائل إلا لمن طلب منه ذلك من أهل الفضل والتحقيق (المحقق).

## نقض مباني المدرسة الأصولية من القرآن والسنة

مسألة ٩٣: قد ورد النهي القطعي صريحاً في آيات قرآنية فرقانية عن متابعة أتباع واقطاب هذه المدرسة وكذا ورد في السنة النبوية الشريفة وسنة أهل البيت عليهم السلام ما يؤكد على هذا النهي وأن الذمة لا تبرأ بالعمل على فتاوى مجتهديها ونسوق إليك بعضاً من أهم ما يدل على ذلك ونبدأ بجملة من الآيات القرآنية:

- ١- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾<sup>١</sup>.
- ٢- ﴿فَلْيَخْذِرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>٢</sup>.
- ٣- ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾<sup>٣</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

وقال ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار».

وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْيَبُهُمُ السُّنَنُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَقَالُوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بِرَأْيِهِمْ فَأَحَلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

وقال ﷺ: «مَنْ دَانَ بِغَيْرِ سَمَاعٍ أَلْزَمَهُ اللَّهُ الْبِتَّةَ إِلَى الْفَنَاءِ وَمَنْ دَانَ بِسَمَاعٍ مِنْ غَيْرِ الْبَابِ الَّذِي فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَلْقِهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ وَالْبَابُ الْمَأْمُونُ عَلَىٰ وَحْيِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ ﷺ».

(١) سورة آل عمران: ١٠٥.

(٢) سورة النور: ٦٣.

(٣) سورة النساء: ١١٥.

وجاء في حُطْبَةِ لَهُ ﷺ فِي غَدِيرِ خُمٍّ إِلَى أَنْ قَالَ: «وَقَدْ بَلَّغْتُ مَا أُمِرْتُ بِتَبْلِيغِهِ حُجَّةً عَلَى كُلِّ حَاضِرٍ وَغَائِبٍ وَعَلَى مَنْ شَهِدَ وَلَمْ يَشْهَدْ وَوُلِدَ أَوْ لَمْ يُولَدْ فَلْيَبْلُغْ حَاضِرَكُمْ غَائِبَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَى أَنْ قَالَ: كُلُّ حَالٍ دَلَّتْكُمْ عَلَيْهِ وَحَرَامٌ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَإِنِّي لَمْ أَرْجِعْ عَنْ ذَلِكَ وَلَا أُبَدِّلُهُ إِلَّا فَاذْكُرُوا وَاحْفَظُوا وَتَوَاصَوْا وَلَا تَبَدَّلُوا وَلَا تُغَيِّرُوا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأُمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْتَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَرَّفُوا مَنْ لَمْ يَحْضُرْ مَقَامِي وَلَمْ يَسْمَعْ مَقَالِي هَذَا فَإِنَّهُ بِأَمْرِ اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ».

وَقَالَ ﷺ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا عَلِيُّ أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَأَنْتَ بَابُهَا فَمَنْ آتَى مِنَ الْبَابِ وَصَلَ يَا عَلِيُّ أَنْتَ بَابِي الَّذِي أُوتِي مِنْهُ وَأَنَا بَابُ اللَّهِ فَمَنْ آتَانِي مِنْ سِوَاكَ لَمْ يَصِلْ إِلَيَّ وَمَنْ آتَى اللَّهَ مِنْ سِوَايَ لَمْ يَصِلْ إِلَى اللَّهِ».

وَقَالَ ﷺ: «اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَنِّي إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَفْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وَقَالَ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ: «وَأَدْنَى مَا يَصِيرُ بِهِ كَافِرًا أَنْ يَدِينَ بِشَيْءٍ فَيَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُ بِهِ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ يَنْصِبُهُ دِينًا فَيَتَّبِعُهُ وَيَتَوَلَّى وَيَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ».

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا مَعْشَرَ شِيعَتِنَا الْمُنتَحِلِينَ مَوَدَّتَنَا إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ السُّنَنِ تَفَلَّتَتْ مِنْهُمْ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَحْفَظُوهَا وَأَعْيَتْهُمْ السُّنَّةُ أَنْ يَعُوهَا فَاتَّخَذُوا عِبَادَ اللَّهِ حَوْلًا وَمَالَهُ دَوْلًا فَذَلَّتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَأَطَاعَهُمُ الْخَلْقُ أَشْبَاهَ الْكِلَابِ وَنَارَعُوا الْحَقَّ أَهْلَهُ وَتَمَثَّلُوا بِالْأَيْمَةِ الصَّادِقِينَ وَهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ الْمَلَاعِينِ فَسُئِلُوا عَمَّا لَا يَعْلَمُونَ فَأَنفُوا أَنْ يَغْتَرِفُوا بِأَيْمِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ فَعَارَضُوا الدِّينَ بِأَرَائِهِمْ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا».

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ الْعَامَ مَا اسْتَحَلَ عَامًا أَوَّلًا وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلًا وَأَنَّ مَا أَحَدَّثَ النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ وَلَكِنَّ الْحَالَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَبْتُمُوهَا وَوَعِظْتُمُ بِمَنْ

كَانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْوَاضِحِ فَلَا يَصِمُّ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَصَمُّ وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَلِكَ إِلَّا أَعْمَى وَمَنْ لَمْ يَنْفَعُهُ اللَّهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِسَيِّئِهِ مِنَ الْعِظَةِ وَأَتَاهُ التَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ وَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ مُتَّبِعُ شَرْعَةٍ وَمُتَّبِعُ بِدْعَةٍ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءٌ حُجَّةٍ».

وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَةٍ لَهُ: «فَلَا تَقُولُوا مَا لَا تَعْرِفُونَ فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ»

إِلَى أَنْ قَالَ: «فَلَا تَسْتَعْمِلِ الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَلَا تَتَغَلَّغْ إِلَى الْإِيهِ الْفِكْرُ».

وَعَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي خُطْبَةٍ لَهُ: «فَيَا عَجَباً وَمَا لِي لَا أَعْجَبُ مِنْ خَطَاٍ هَذِهِ الْفِرْقِ

عَلَى اخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا لَا يَقْتَفُونَ أَثَرَ نَبِيِّ وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيِّ يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمَعْرُوفِ فِيهِمْ مَا عَرَفُوا وَالْمُنْكَرِ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا مَفْرَعُهُمْ فِي الْمَعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهْمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ امْرئٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرَى وَثِيْقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ».

وَقَالَ ﷺ: «إِنْ مِنْ أَبْغَضِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لِرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ وَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ

فَهُوَ جَائِرٌ عَنِ الْقَصْدِ السَّبِيلِ، مَشْعُوفٌ بِكَلَامِ بَدْعَةٍ، قَدْ لَهَجَ بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ فَهُوَ فَتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنِ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مَضِلٌّ لِمَنْ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ، وَرَجُلٌ قَمَشَ رَجُلًا فِي جِهَالِ النَّاسِ، عَانَ بِأَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ، قَدْ سَمَاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِمًا وَلَمْ يَغْنِ فِيهِ يَوْمًا سَالِمًا، بَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ وَاکْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ، وَإِنْ خَالَفَ قَاضِيًا سَبْقَهُ، لَمْ يَأْمَنْ أَنْ يَنْقُضَ حُكْمَهُ مِنْ يَأْتِي بَعْدَهُ، كَفَعَلَهُ بِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُهْمَاتِ الْمَعْضَلَاتِ هَيَأُ لَهَا حَشَوًا مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لِبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ غَزْلِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، لَا يَحْسِبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَ، وَلَا يَرَى أَنْ وَرَاءَ مَا بَلَغَ فِيهِ مَذْهَبًا، إِنْ قَاسَ شَيْئًا بِشَيْءٍ لَمْ يَكْذِبْ نَظْرَهُ وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اِكْتَمَ بِهِ، لَمَّا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، لِكَيْلَا يُقَالَ لَهُ: لَا يَعْلَمُ، ثُمَّ جَسَرَ فَقَضَى، فَهُوَ مِفْتَاحُ عَشَوَاتٍ، رَكَابُ شُهَاتٍ، خِبَاطُ جِهَالَاتٍ، لَا يَعْتَذِرُ مِمَّا لَا يَعْلَمُ فَيَسْلَمُ وَلَا يَعُضُ فِي الْعِلْمِ

بضرس قاطع فيغنم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم».

وقال الإمام السَّجَّادُ عليه السلام: «إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُصَابُ بِالْعُقُولِ النَّاقِصَةِ وَالْأَرْءِ الْبَاطِلَةِ وَالْمَقْيَاسِ الْفَاسِدَةِ وَلَا يُصَابُ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ فَمَنْ سَلَّمَ لَنَا سَلِمَ وَمَنْ اهْتَدَى بِنَا هُدِيَ وَمَنْ دَانَ بِالْقِيَاسِ وَالرَّأْيِ هَلَكَ وَمَنْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ شَيْئاً مِمَّا نَقُولُهُ أَوْ نَقْضِي بِهِ حَرَجاً كَفَرَ بِالذِّي أَنْزَلَ السَّبْعَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «الْحُكْمُ حُكْمَانِ حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُكْمُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾»<sup>(١)</sup>.

وقال عليه السلام لِسَلْمَةَ بِنِ كَهَيْلٍ وَالْحَكَمِ بْنِ عَتِيْبَةَ: «شَرِّقَا وَغَرِّبَا فَلَا تَجِدَانِ عِلْمًا صَحِيحاً إِلَّا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ».

وقال عليه السلام: «كُلُّ مَا لَمْ يَخْرُجْ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ فَهُوَ بَاطِلٌ».

وجاء عنه عليه السلام في قوله تعالى: «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ...»<sup>(٢)</sup> الآية قال: «يَعْنِي مَنْ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ بَغَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى».

وقال عليه السلام: «أما انه ليس عندنا لأحد من الناس حق ولا صواب إلا من شيء أخذوه منا أهل البيت، ولا أحد من الناس يقضى بحق وعدل وصواب إلا مفتاح ذلك القضاء وبابه وأوله وسببه علي بن أبي طالب عليه السلام، فإذا اشتبهت عليهم الأمور كان الخطأ من قبلهم إذا أخطأوا والصواب من قبل علي بن أبي طالب عليه السلام».

وقال عليه السلام: «إن القرآن شاهد الحق ومحمد صلى الله عليه وآله لذلك مستقر فمن اتخذ سبباً إلى سبب الله لم يقطع به الأسباب، ومن اتخذ غير ذلك سبباً مع كل كذاب فاتقوا الله فإن الله قد أوضح لكم أعلام دينكم ومنار هداكم، فلا تأخذوا أمركم بالوهن، ولا أديانكم هزواً فتدحض أعمالكم، وتخطئوا سبيلكم، ولا تكونوا في حزب الشيطان فتضلوا».

(١) سورة المائدة: ٥٠.

(٢) سورة القصص: ٥٠.

وقال عليه السلام: «يهلك من هلك، ويحيى من حي، وعلى الله البيان، بين لكم فاهتدوا، وبقول العلماء فانثفعا، والسبيل في ذلك إلى الله فمن يهدي الله فهو المهتدي، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً».

وقال عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ﷺ وجعل لكل شيء حداً وجعل عليه دليلاً يدل عليه، وجعل على من تعدى ذلك الحد حداً».

وفي حديث الاستطاعة قال عليه السلام: «الناس كلهم مختلفون في إصابتهم القول وكلمهم هالك قال أبو عبيدة الحذاء: قلت: إلا من رحم ربك قال: هم شيعتنا ولرحمته خلقهم وهو قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾<sup>١</sup> يقول إطاعة الإمام الرحمة التي يقول: ﴿وَرَحِمِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>٢</sup> يقول علم الإمام ووسع علمه الذي هو من علمه كل شيء هم شيعتنا إلى أن قال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾<sup>٣</sup> أخذ العلم من أهله ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾<sup>٤</sup> والخبائث قول من خالف».

وفي حديث طويل قال عليه السلام: «وإن الله لم يجعل العلم جهلاً ولم يكلم أمره إلى أحد من خلقه لا إلى ملكٍ مقربٍ ولا نبيٍّ مرسلٍ ولكنته أرسل رسولاً من ملائكته فقال له: قل كذا وكذا فأمرهم بما يحب ونهاهم عما يكره فقص علمهم أمر خلقه بعلم فعلم ذلك العلم وعلم أنبياءه وأصفياه من الأنبياء والأصفياء إلى أن قال: ولولا الأمر استنباط العلم وللهداة ثم قال: فمن اعتصم بالفضل انتهى بعلمهم ونجا بنصرتهم ومن وضع ولادة أمر الله وأهل استنباط علمه في غير الصفة من بيوتات الأنبياء فقد خالف أمر الله وجعل الجهال ولادة أمر الله والمتكلمين بغير هدى من الله وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله فقد كذبوا على الله ورأسوله ورغبوا عن وصيه وطاعته ولم يضعوا فضل الله

(١) سورة هود: ١١٨-١١٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٥٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٧.

حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ فَضَّلُوا وَأَضَلُّوا أَتْبَاعَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حُجَّةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى أَنْ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾<sup>١</sup> فَإِنَّهُ وَكَلَّ بِالْفَضْلِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْإِخْوَانِ وَالذَّرِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: إِنْ يَكْفُرْ بِهِ أَنتَ فَقَدْ وَكَلْتُ أَهْلَ بَيْتِكَ بِالْإِيمَانِ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ بِهِ لَا يَكْفُرُونَ بِهِ أَبَدًا وَلَا أُضِيعُ الْإِيمَانَ الَّذِي أَرْسَلْتُكَ بِهِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ عُلَمَاءِ أُمَّتِكَ وَوَلَاةِ أَمْرِي بَعْدَكَ وَأَهْلِ اسْتِنْبَاطِ الْعِلْمِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ كَذِبٌ وَلَا إِثْمٌ وَلَا زُورٌ وَلَا بَطْرٌ وَلَا رِنَاءٌ إِلَى أَنْ قَالَ: فَاعْتَبِرُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا قُلْتُ حَيْثُ وَضَعَ اللَّهُ وَوَلَايَتَهُ وَطَاعَتَهُ وَمَوَدَّتَهُ وَاسْتِنْبَاطَ عِلْمِهِ وَحُجَّجَهُ فَإِيَّاهُ فَتَقَبَّلُوا وَبِهِ فَاسْتَمْسِكُوا تَنْجُوا وَتَكُونُ لَكُمْ الْحُجَّةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَطَرِيقُ رَبِّكُمْ جَلَّ وَعَزَّ لَا تَصِلُ وَوَلَايَةُ اللَّهِ إِلَّا بِهِمْ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكْرِمَهُ وَلَا يُعَذِّبَهُ وَمَنْ يَأْتِ اللَّهَ بِغَيْرِ مَا أَمَرَهُ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُذَلِّلَهُ وَأَنْ يُعَذِّبَهُ».

وقال عليه السلام: «إن لنا أوعية نملؤها علماً وحكماً، وليست لها بأهل، فما نملؤها إلا لتنقل إلى شيعتنا، فانظروا إلى ما في الأوعية فخذوها، ثم صفوها من الكدورة، تأخذونها بيضاء نقية صافية وإياكم والأوعية فإنها وعاء سوء فتنكبوها».

يشير هذا الحديث إلى أنه ليس كل من يروي عنهم عليه السلام مستقيم العقيدة سليم الفكر فعليكم بأخذ ما يروون بعد التحقق منه وترك ما يجتهدون خلافه من آراء.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «الْحُكْمُ حُكْمَانِ حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحُكْمُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ فَمَنْ أَخْطَأَ حُكْمَ اللَّهِ حَكَمَ بِحُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ».

وعن أبي بصير أنه سأله عليه السلام بقوله: «ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا سنة فننظر فيها؟ فقال: لا، أما إنك إن أصبت لم تؤجر، وإن أخطأت كذبت على الله عز وجل».

وجاء عنه عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup> فَقَالَ: «وَاللَّهِ مَا صَامُوا لَهُمْ وَلَا صَلَّوْا لَهُمْ وَلَكِنْ أَحَلُّوْا لَهُمْ حَرَامًا وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ

(١) سورة الأنعام: ٨٩.

(٢) سورة التوبة: ٣١.

حَلَالًا فَاتَّبَعُوهُمْ».

وجاء في قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ قال عليه السلام: «أَتَّهَمُوا مَا اتَّخَذُوهُمْ أَرْبَابًا فِي الْحَقِيقَةِ لَكِنَّهُمْ دَخَلُوا تَحْتَ طَاعَتِهِمْ فَصَارُوا بِمَنْزِلَةِ مَنِ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَابًا».

وقال عليه السلام: «نَزَلَتْ فِي الَّذِينَ غَيَّرُوا دِينَ اللَّهِ وَتَرَكُوا مَا أَمَرَ اللَّهُ وَلَكِنَّ هَلْ رَأَيْتُمْ شَاعِرًا قَطُّ تَبِعَهُ أَحَدٌ إِنَّمَا عَنَى بِهِمُ الَّذِينَ وَضَعُوا دِينًا بَأْرَائِهِمْ فَتَبِعَهُمُ النَّاسُ عَلَى ذَلِكَ... إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>٢</sup> وَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوُلْدُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾<sup>٣</sup> قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ رَأَيْتُمْ مِنَ الشُّعْرَاءِ إِنَّمَا عَنَى بِهَذَا الْفُقَهَاءَ الَّذِينَ يُشْعِرُونَ قُلُوبَ النَّاسِ الْبَاطِلَ وَهُمْ الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ يُتَّبَعُونَ».

وقال عليه السلام في حديث: «أَمَا إِنَّهُ شَرُّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِشَيْءٍ مَا لَمْ تَسْمَعُوهُ مِنَّا». وقال عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ أَدَّبَ نَبِيَّهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾» إلى أَنْ قَالَ: «وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَوَّضَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَتْتَمَنَهُ فَسَلَّمْتُمْ وَجَحَدَ النَّاسُ فَوَّضَ اللَّهُ لِنَجْبِكُمْ أَنْ تَقُولُوا إِذَا قُلْنَا وَتَصُمَّتُمْ إِذَا صَمَّمْنَا وَنَحْنُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ خَيْرًا فِي خِلَافِ أَمْرِنَا».

وقال عليه السلام: «لَا يَجِلُّ الْفُتْيَا لِمَنْ لَا يَسْتَفِي مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِصَفَاءِ سِرِّهِ وَإِخْلَاصِ عَمَلِهِ وَعَاطَانِيَّتِهِ وَبُرْهَانِ مِنْ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ لِأَنَّ مَنْ أَفْتَى فَقَدْ حَكَمَ وَالْحُكْمُ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبُرْهَانِهِ وَمَنْ حَكَمَ بِالْخَبْرِ بِلَا مُعَايِنَةٍ فَهُوَ جَاهِلٌ مَا خُوذَ بِجَهْلِهِ وَمَأْتُومٌ بِحُكْمِهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَجْرَاكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرَاكُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ لَا يَعْلَمُ الْمُفْتِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُ بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَائِرُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَلَا تَحِلُّ الْفُتْيَا فِي

(١) نفس الآية السابقة.

(٢) سورة التين: ٦.

(٣) سورة الشعراء: ٢٢٤.

(٤) سورة القلم: ٤.

الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بَيْنَ الْخَلْقِ إِلَّا لِمَنْ كَانَ أَتْبَعَ الْخَلْقِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَنَاحِيَّتِهِ وَبَلَدِهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَعَرَفَ مَا يَصُحُّ مِنْ فُتْيَاهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَذَلِكَ لِرُبَّمَا وَلَعَلَّ وَعَسَى لِأَنَّ الْفُتْيَا عَظِيمَةٌ وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ ﷺ لِقَاضٍ: هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِخَ مِنَ الْمُنْسُوخِ قَالَ: لَا قَالَ: فَهَلْ أَشْرَفْتَ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْثَالِ الْقُرْآنِ قَالَ: لَا قَالَ: إِذَا هَلَكْتَ وَأَهْلَكَتَ وَالْمُفْتِي يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَحَقَائِقِ السُّنَنِ وَبَوَاطِنِ الْإِشَارَاتِ وَالْأَدَابِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِخْتِلَافِ وَالْإِطْلَاقِ عَلَى أَصُولِ مَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ثُمَّ إِلَى حُسْنِ الْإِخْتِيَارِ ثُمَّ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ ثُمَّ الْحِكْمَةِ ثُمَّ التَّقْوَى ثُمَّ حِينَئِذٍ إِنْ قَدَرَ.»

وفي حديث آخر قال ﷺ: «يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ فُقَهَاءُ عُلَمَاءُ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا جَمِيعَ الْفِقْهِ وَالِدِينِ مِمَّا تَخْتَاجُ إِلَيْهِ الْأُمَّةُ وَلَيْسَ كُلُّ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِلْمُوهُ وَلَا صَارَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَرَفُوهُ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْءَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْأَحْكَامِ يَرِدُ عَلَيْهِمْ فَيَسْأَلُونَ عَنْهُ وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيَسْتَحْيُونَ أَنْ يَنْسِبُهُمُ النَّاسُ إِلَى الْجَهْلِ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُسْأَلُوا فَلَا يُجِيبُوا فَيَطْلُبُ النَّاسُ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِهِ فَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلُوا الرَّأْيَ وَالْقِيَاسَ فِي دِينِ اللَّهِ وَتَرَكَوا الْأَثَارَ وَدَانُوا بِالْبِدْعِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» فَلَوْ أَنَّهُمْ إِذَا سُئِلُوا عَنْ شَيْءٍ مِنْ دِينِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ.»

وفي رسالة إلى أصحاب الرأي والقِيَاسِ قال ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ دَعَا غَيْرَهُ إِلَى دِينِهِ بِالْإِزْتِيَاءِ وَالْمَقَابِيسِ لَمْ يُنْصَفْ وَلَمْ يُصَبْ حَظُّهُ لِأَنَّ الْمُدْعُوَّ إِلَى ذَلِكَ أَيْضًا لَا يَخْلُو مِنَ الْإِزْتِيَاءِ وَالْمَقَابِيسِ وَمَتَى لَمْ يَكُنْ بِالِدَّاعِي قُوَّةٌ فِي دُعَائِهِ عَلَى الْمُدْعُوِّ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى الْمُدْعُوِّ بَعْدَ قَلِيلٍ لِأَنَّا قَدْ رَأَيْنَا الْمُتَعَلِّمَ الطَّالِبَ رُبَّمَا كَانَ فَائِقًا لِمُعَلِّمِهِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ وَرَأَيْنَا الْمُعَلِّمَ الدَّاعِي رُبَّمَا احتَاجَ فِي رَأْيِهِ إِلَى رَأْيِ مَنْ يَدْعُو وَفِي ذَلِكَ تَحَيَّرَ الْجَاهِلُونَ وَشَكَّ الْمُزْتَابُونَ وَظَنَّ الظَّانُونَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ جَائِزًا لَمْ يَبْعَثْ اللَّهُ الرُّسُلَ بِمَا فِيهِ الْفَصْلُ وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الْهَزْلِ وَلَمْ يَعِبِ الْجَهْلَ وَلَكِنَّ النَّاسَ لَمَّا سَفِهُوا الْحَقَّ وَغَمَطُوا النِّعْمَةَ وَاسْتَعْنَوْا بِجَهْلِهِمْ وَتَدَابِيرِهِمْ عَنْ عِلْمِ اللَّهِ وَكَتَفُوا بِذَلِكَ عَنْ رُسُلِهِ

وَالْقَوْمَ بِأَمْرِهِ وَقَالُوا: لَا شَيْءَ إِلَّا مَا أَدْرَكْتَهُ عُقُولُنَا وَعَرَفْتَهُ أَلْبَابُنَا فَوَلَّاهُمْ اللَّهُ مَا تَوَلَّوْا وَأَهْمَلَهُمْ وَخَذَلَهُمْ حَتَّى صَارُوا عَبْدَةَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَلَوْ كَانَ اللَّهُ رَضِيَ مِنْهُمْ اجْتِهَادَهُمْ وَارْتِيَاءَهُمْ فِيمَا ادَّعَوْا مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهِمْ فَاصِلًا لِمَا بَيْنَهُمْ وَلَا زَاجِرًا عَنْ وَصْفِهِمْ وَإِنَّمَا اسْتَدَلَّلْنَا أَنَّ رِضَا اللَّهِ غَيْرُ ذَلِكَ بِبَعْنِهِ الرَّسُلِ بِالْأُمُورِ الْقِيَمَةِ الصَّحِيحَةِ وَالتَّحْذِيرِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْكَلَةِ الْمُفْسِدَةِ ثُمَّ جَعَلَهُمْ أَبْوَابَهُ وَصِرَاطَهُ وَالْأَدِلَّةَ عَلَيْهِ بِأُمُورٍ مَحْجُوبَةٍ عَنِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ فَمَنْ طَلَبَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بِقِيَاسٍ وَرَأْيٍ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا وَلَمْ يَبْعَثْ رَسُولًا قَطُّ وَإِنْ طَالَ عُمُرُهُ قَابِلًا مِنَ النَّاسِ خِلَافَ مَا جَاءَ بِهِ حَتَّى يَكُونَ مَتْبُوعًا مَرَّةً وَتَابِعًا أُخْرَى وَلَمْ يَرِ أَيضًا فِيمَا جَاءَ بِهِ اسْتَعْمَلَ رَأْيًا وَلَا مَقْيَاسًا حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ وَاضِحًا عِنْدَهُ كَالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ لِكُلِّ ذِي لُبٍّ وَحِجَا إِنْ أَصْحَابَ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ مُخْطِئُونَ مُدْحِضُونَ».

وقال عليه السلام: «إِنَّمَا مَثَلُ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَثَلُنَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَثَلِ مُوسَى النَّبِيِّ وَالْعَالَمِ حِينَ لَقِيَهُ وَاسْتَنْطَقَهُ وَسَأَلَهُ الصُّحْبَةَ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمَا مَا اقْتَصَهُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ فِي كِتَابِهِ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمُوسَى: إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ثُمَّ قَالَ: ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>١</sup> وَقَدْ كَانَ عِنْدَ الْعَالِمِ عِلْمٌ لَمْ يُكْتَبْ لِمُوسَى فِي الْأَلْوَاحِ وَكَانَ مُوسَى يَظُنُّ أَنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي نُبُوتِهِ وَجَمِيعَ الْعِلْمِ قَدْ كُتِبَ لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ كَمَا يَظُنُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ فَهْمَاءُ وَعُلَمَاءُ وَأَتَمُّهُمْ قَدْ أُوتُوا جَمِيعَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ فِي الدِّينِ مِمَّا تَحْتَاجُ هَذِهِ الْأُمَّةُ إِلَيْهِ وَصَحَّ ذَلِكَ لَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلِمُوهُ وَحَفِظُوهُ وَلَيْسَ كُلُّ عِلْمٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلِمُوهُ وَلَا صَارَ إِلَيْهِمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَرَفُوهُ وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْءَ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالْأَحْكَامِ قَدْ يَرِدُ عَلَيْهِمْ فَيَسْأَلُونَ عَنْهُ وَلَا يَكُونُ عِنْدَهُمْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَسْتَحْجُونَ أَنْ يَنْسِبَهُمُ النَّاسُ إِلَى الْجَهْلِ وَيَكْرَهُونَ أَنْ يُسْأَلُوا فَلَا يُجِيبُونَ فَيَطْلُبُ النَّاسُ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِهِ فَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلُوا الرَّأْيَ وَالْقِيَاسَ فِي دِينِ اللَّهِ وَتَرَكَوا الْأَثَارَ وَدَانُوا اللَّهَ بِالْبِدْعِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ

بِدْعَةٍ ضَالَّةٍ فَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ سُئِلُوا عَنْ شَيْءٍ مِنْ دِينِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْهُ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ».

وسياتي في حديث رسالة الإمام الصادق عليه السلام إلى أصحابه وشيعته في آخر الكتاب: «أَيُّهَا الْعِصَابَةُ عَلَيْكُمْ بِآثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسُنَّتِهِ وَآثَارِ الْأَيِّمَةِ الْهُدَاةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنَّهُ مَنْ أَخَذَ بِذَلِكَ فَقَدْ اهْتَدَى وَمَنْ تَرَكَ ذَلِكَ وَرَغِبَ عَنْهُ ضَلَّ لِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ وَوَلَاتِهِمْ».

وقال عليه السلام: «تَزَاوَرُوا فَإِنَّ فِي زِيَارَتِكُمْ إِحْيَاءَ لِقُلُوبِكُمْ وَذِكْرًا لِأَحَادِيثِنَا وَأَحَادِيثِنَا تَعْطِفُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِهَا رَشِدْتُمْ وَنَجَوْتُمْ وَإِنْ تَرَكَتُمُوهَا ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ فَخُذُوا بِهَا وَأَنَا بِنَجَاتِكُمْ زَعِيمٌ».

وقال عليه السلام: «إِنْ مَنْ أَجَابَ فِي كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ فَهُوَ الْمُجْتَنُونَ».

وفي هذه النص وغيره طعن صريح في بدعة المجتهد المطلق التي يتبجح بها أقطاب المدرسة الأصولية وبلوغ درجة ورتبة الأعلمية التي اشتهرت عن مدرستهم أيضاً. وقال عليه السلام: «أَوْرَعُ النَّاسِ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ الشُّبْهَةِ».

وقال عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>١</sup>: يَقُولُ: «أَرَشِدُنَا لِلزُّرُومِ الطَّرِيقِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَحَبَّتِكَ وَالْمُبْلَغِ إِلَى رِضْوَانِكَ وَجَنَّتِكَ وَالْمَانِعِ مِنْ أَنْ نَتَّبِعَ أَهْوَاءَنَا فَتَعْطَبَ أَوْ نَأْخُذَ بِأَرَائِنَا فَتَهْلِكَ».

وقال عليه السلام: «أَدْنَى مَا يَخْرُجُ بِهِ الرَّجُلُ مِنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَرَى الرَّأْيَ بِخِلَافِ الْحَقِّ فَيُقِيمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ عليه السلام: «وَمَنْ يَكْفُرُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ».

وقال عليه السلام: «إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نُلْقِيَ إِلَيْكُمْ الْأُصُولَ وَعَلَيْكُمْ أَنْ تُفْرَعُوا».

وقال عليه السلام: «وَلَايَةُ أَهْلِ الْعَدْلِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِوَلَايَتِهِمْ وَتَوَلَّيْتُهُمْ وَقَبُولُهَا وَالْعَمَلُ لَهُمْ فَرَضٌ مِنَ اللَّهِ وَطَاعَتُهُمْ وَاجِبَةٌ وَلَا يَجِلُّ لِمَنْ أَمَرُوهُ بِالْعَمَلِ لَهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفَ عَنْ أَمْرِهِمْ».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ وَالطَّاعَةَ بِالْعِلْمِ وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ».

وعن سماعة بن مهران عنه عليه السلام قال: «قلت: أصلحك الله إنا نجتمع فنتذاكر ما عندنا فلا يرد علينا شيء إلا وعندنا فيه شيء مسطر وذلك مما أنعم الله به علينا بكم، ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء فينظر بعضنا إلى بعض، وعندنا ما يشبهه فنقيس على أحسنه؟ فقال: وما لكم وللقياس؟ إنما هلك من هلك من قبلكم بالقياس، ثم قال: إذا جاءكم ما تعلمون، فقولوا به وإن جاءكم ما لا تعلمون فيها. وأهوى بيده إلى فيه. ثم قال: لعن الله أبا حنيفة كان يقول: قال علي وقلت أنا، وقالت الصحابة وقلت، ثم قال: أكنت تجلس إليه؟ فقلت: لا ولكن هذا كلامه، فقلت: أصلحك الله أتى رسول الله ﷺ الناس بما يكتفون به في عهده؟ قال: نعم وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة، فقلت: فضاع من ذلك شيء؟ فقال: لا هو عند أهله».

وعن يونس بن عبد الرحمن أنه سأله عليه السلام: «بما أوحى الله؟ فقال: يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيه ﷺ ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر».

وقال عليه السلام: «إن أشقى أشقيائكم من يكذبنا في الباطن بما يخبر عنا ويصدقنا في الظاهر ويكذبنا في الباطن، نحن أبناء نبي الله وأبناء رسول الله ﷺ وسلم وأبناء أمير المؤمنين وأحباب رب العالمين. نحن مفتاح الكتاب، بنا نطق العلماء، ولولا ذلك لخرسوا، نحن رفعنا المنار وعرفنا القبلة، نحن حجر البيت في السماء والأرض.. نحن مكتوبون على عرش ربنا، مكتوب: محمد خير النبيين وعلي سيد الوصيين وفاطمة سيدة نساء العالمين».

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «عَلَيْنَا إِقَاءُ الْأُصُولِ وَعَلَيْكُمْ التَّفْرِيعُ».

وقال عليه السلام: «شِيعَتُنَا الْمُسَلِّمُونَ لِأَمْرِنَا الْأَخِذُونَ بِقَوْلِنَا الْمُخَالِفُونَ لِأَعْدَائِنَا فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَّا».

وعن البرزطي فيما كتبه عليه السلام إليه « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾<sup>١</sup> يَعْنِي مَنْ اتَّخَذَ دِينَهُ رَأْيَهُ بِغَيْرِ إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ الْهُدَى».

وعن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال في الزيارة الجامعة المشهورة: «... فَالرَّغِبُ عَنكُمْ مَارِقٌ وَاللَّازِمُ لَكُمْ لَاحِقٌ وَالْمُقَصِّرُ فِي حَقِّكُمْ زَاهِقٌ وَالْحَقُّ مَعَكُمْ وَفِيكُمْ وَمِنْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ، وَمِيرَاثُ التُّبُوءَةِ عِنْدَكُمْ... وَفَصَلُّ الْخُطَابِ عِنْدَكُمْ وَآيَاتُ اللَّهِ لَدَيْكُمْ... مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ، أَنْتُمْ الصِّرَاطُ الْأَقْوَمُ... وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ... مَنْ أَتَاكُمْ نَجَا وَمَنْ لَمْ يَأْتِكُمْ هَلَكَ إِلَى اللَّهِ تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَدُّونَ... وَإِلَى سَبِيلِهِ تُرْشِدُونَ وَيَقُولُهُ تَحْكُمُونَ،... ضَلَّ مَنْ فَارَقَكُمْ وَفَارَزَ مَنْ تَمَسَّكَ بِكُمْ وَأَمِنْ مَنْ لَجَأَ إِلَيْكُمْ وَسَلِمَ مَنْ صَدَّقَكُمْ وَهُدِيَ مَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ. مَنْ اتَّبَعَكُمْ فَالْجَنَّةُ مَاوَاهُ وَمَنْ خَالَفَكُمْ فَالنَّارُ مَثْوَاهُ،... وَمَنْ رَدَّ عَلَيْكُمْ فِي أَسْفَلِ دَرْكِ مِنَ الْجَحِيمِ... فَكُنَّا عِنْدَهُ مُسَلِّمِينَ بِفَضْلِكُمْ وَمَعْرُوفِينَ بِتَصَدِيقِنَا إِيَّاكُمْ... مُسْتَبْصِرٌ بِشَأْنِكُمْ وَبِضَلَالَةِ مَنْ خَالَفَكُمْ مُوَالٍ لَكُمْ وَلَاوِلِيَاءِكُمْ... مُحَقِّقٌ لِمَا حَقَّقْتُمْ مُبْطِلٌ لِمَا أَبْطَلْتُمْ مُطِيعٌ لَكُمْ... أَخِذْ بِقَوْلِكُمْ عَامِلٌ بِأَمْرِكُمْ... قَلْبِي لَكُمْ مُسَلِّمٌ وَرَأْيِي لَكُمْ تَبِعٌ... بِمُوَالَاتِكُمْ عَلَّمَنَا اللَّهُ مَعَالِمَ دِينِنَا وَأَصْلَحَ مَا كَانَ فَسَدَ مِنْ دُنْيَانَا... رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ، رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ».

وعن الإمام العسكري عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾<sup>٢</sup> قَالَ: «هَذِهِ لِقَوْمٍ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى أَنْ قَالَ: وَقَالَ رَجُلٌ لِلصَّادِقِ عليه السلام: إِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْعَوَامُّ مِنَ الْيَهُودِ لَا يَعْرِفُونَ الْكِتَابَ إِلَّا بِمَا يَسْمَعُونَهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَكَيْفَ ذَمُّهُمْ بِتَقْلِيدِهِمْ وَالْقَبُولِ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَهَلْ عَوَامُّ الْيَهُودِ إِلَّا كَعَوَامِّنَا يُقْلِدُونَ عُلَمَاءَهُمْ؟» إِلَى أَنْ قَالَ: «فَقَالَ عليه السلام: بَيْنَ عَوَامِّنَا وَعَوَامِّ الْيَهُودِ فَرْقٌ مِنْ جِهَةٍ وَتَسْوِيَةٌ

(١) سورة القصص: ٥٠.

(٢) سورة البقرة: ٧٩.

مِنْ جِهَةٍ أَمَّا مِنْ حَيْثُ الإِسْتِوَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ ذَمَّ عَوَامَّنَا بِتَقْلِيدِهِمْ عُلَمَاءَهُمْ كَمَا ذَمَّ عَوَامَّهُمْ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ افْتَرَقُوا فَإِنَّ عَوَامَّ الْيَهُودِ كَانُوا قَدْ عَرَفُوا عُلَمَاءَهُمْ بِالْكَذِبِ الصُّرَاحِ وَأَكْلِ الْحَرَامِ وَالرِّشَا وَتَغْيِيرِ الْأَحْكَامِ وَاضْطِرُّوا بِقُلُوبِهِمْ إِلَى أَنْ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فَاسِقٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يُصَدَّقَ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى الْوَسَائِطِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ اللَّهِ فَلِذَلِكَ ذَمَّهُمْ وَكَذَلِكَ عَوَامَّنَا إِذَا عَرَفُوا مِنْ عُلَمَائِهِمُ الْفُسُقَ الظَّاهِرَ وَالْعَصَبِيَّةَ الشَّدِيدَةَ وَالتَّكَالُبَ عَلَى الدُّنْيَا وَحَرَامِهَا فَمَنْ قَلَّدَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ فَهُوَ مِثْلُ الْيَهُودِ الَّذِينَ ذَمَّهُمُ اللَّهُ بِالتَّقْلِيدِ لِفَسَقَةِ عُلَمَائِهِمْ فَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَ الْفُقَهَاءِ صَابِتًا لِنَفْسِهِ حَافِظًا لِدِينِهِ مُخَالَفًا عَلَى هَوَاهُ مُطِيعًا لِأَمْرِ مَوْلَاهُ فَلِلْعَوَامِّ أَنْ يُقَلِّدُوهُ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْضَ فُقَهَاءِ الشَّيْعَةِ لَا كُلَّهُمْ فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مِنَ الْقَبَائِحِ وَالْفَوَاحِشِ مَرَكَبَ عُلَمَاءِ الْعَامَّةِ فَلَا تَقْبَلُوا مِنْهُمْ عَنَّا شَيْئًا وَلَا كَرَامَةً وَإِنَّمَا كَثُرَ التَّخْلِيطُ فِيمَا يُتَحَمَّلُ عَنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ لِذَلِكَ لِأَنَّ الْفَسَقَةَ يَتَحَمَّلُونَ عَنَّا فَيَحَرِّفُونَهُ بِأَسْرِهِ لِجَهْلِهِمْ وَيَضْعَعُونَ الْأَشْيَاءَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا لِقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِمْ وَأَخْرُونَ يَتَعَمَّدُونَ الْكُذِبَ عَلَيْنَا».

وعنه عليه السلام قال: «نحن كهف لمن التجأ إلينا، ونور لمن استبصر بنا، وعصمة لمن

اعتصم بنا، من أحببنا كان معنا في السنام الأعلى، ومن انحرف عنا فإلى النار».



# القسم الأول

في فقه الإسلام



**مسألة ٩٤:** الإسلام لغة هو التسليم وشرعاً هو التسليم والانقياد للأوامر والنواهي الإلهية وتلقيها بالقبول والطاعة وامثالها ببذل الجهد والطاقة قال سبحانه تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾<sup>١</sup>.

فهو الشريعة الكاملة الشاملة الخاتمة لجميع الأديان والشرائع السماوية التي جاء بها من عند الله تعالى خاتم المرسلين والنبیین الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ، وهذا المعنى هو المقصود من الإسلام في قوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>٢</sup>.

فالإسلام دين متكامل وعقيدة كاملة ينبثق عنها نظام اجتماعي شامل لأوجه الحياة وفيه بأسس وأهم حاجتين للبشرية وهما القاعدة الفكرية والنظام الاجتماعي. وربط الانسان بربه الاله الواحد الحق الذي تؤيده الفطرة واكد وحدة الاله الحق وشدد على ذلك لكي يقضي على كل ألوان التآله المصطنع حتى جعل من كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» شعاره الرئيس.

وربط الإنسان بالمعاد لكي تكتمل بذلك منظومة الفكر الإسلامي التي تحقق العدل الالهي في نفس الوقت بكل أبعادها.

قال رسول الله ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه».

وقال الإمام علي عليه السلام: «الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل».

وقال عليه السلام: «غاية الإسلام التسليم، غاية التسليم الفوز بدار النعيم».

وقال عليه السلام: «إنّ هذا الإسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه واصطنعه على عينه وأصفاه خيرة خلقه وأقام دعائمه على محبته؛ أذلّ الأديان بعزته ووضع الملل برفعه وأهان أعداءه بكرامته وخذل محاديه بنصره وهدم أركان الضلالة بركنه».

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) سورة المائدة: ٣.

وقال ﷺ: «إن الله ابتداءً الأمور فاصطفى لنفسه ما شاء، واستخلص ما أحب، فكان مما أحب أنه ارتضى الإسلام واشتقه من اسمه، فنحله من أحب من خلقه، ثم شقه فسهل شرائعه لمن ورده، وعزز أركانه على من حاربه، هيهات أن يظلمه مصطلم».

وقال ﷺ: «الحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده وأعز أركانه على من غالبه فجعله أمناً لمن عقله وسلماً لمن دخله وبرهاناً لمن تكلم به وشاهداً لمن خاصم عنه ونوراً لمن استضاء به وفهماً لمن عقل ولباً لمن تدبر وأية لمن توسم وتبصرة لمن عزم وعبرة لمن اتعظ ونجاةً لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر؛ فهو أبلج المناهج وأوضح الولايج؛ مشرف المنار مشرق الجواد مضيء المصابيح كريم المضممار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف الفرسان؛ التصديق منهاجه والصلوات مناره والموت غايته والدنيا مضماره والقيامة حلته والجنة سبقتة».

وقال ﷺ: «لا معقل أمنع من الإسلام».

وقال ﷺ: «لا شرف أعلى من الإسلام».

وقال ﷺ: «ظاهر الإسلام مشرق وباطنه مونق».

## خاتمة الإسلام

مسألة ٩٥: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ

فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>١</sup>.

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>٢</sup>.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾.

وقال الإمام علي عليه السلام في خطبة له يتحدث فيها عن الرسول المصطفى ﷺ ودور رسالته الخاتمة: «ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيِّ، وَالْبُرْهَانَ الْجَلِيَّ، وَالْمُنْهَاجَ الْبَادِي، وَالْكِتَابَ الْهَادِيَ أَسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثَمَارُهَا مُمَهَّدَةٌ. مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهَجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلَاهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّتْ مِنْهَا صَوْتُهُ، أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَفِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمُجْهَوْلَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمُدْخُولَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَتَحَقَّقُ شِفْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمَ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمَ كَبْوَتُهُ، وَيَكُنْ مَأْبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ، وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ»<sup>٢</sup>.

## خصائص الشريعة الإسلامية الخاتمة

مسألة ٩٦: للرسالة الإسلامية العالمية خصائصها التي تميزها عن سائر الدعوات الإصلاحية السماوية السابقة عليها كما لها سماتها التي جعلت منها حدثاً فريداً في التاريخ، نستعرض لك لمحة خاطفة عنها ونلقي إليك بإطلالة مقتضبة عن أهمها فيما يلي:

### الخاصية الأولى: الربانيّة

مسألة ٩٧: قال سبحانه وتعالى: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ

تَدْرُسُونَ﴾<sup>٣</sup>، وتعني وثيقة الصلة بالله ويتحقق ذلك عن طريقين:

(الطريق الأول) ربانية الغاية والجهة

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) نهج البلاغة: ٢٢٩، طبعة صبيحي الصالح.

(٣) سورة آل عمران: ٧٩.

فَمَلَأْ قِيهِ<sup>١</sup>، «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ»<sup>٢</sup>.

وقال الإمام علي عليه السلام: «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك لكن وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العباد ثلاثة قوم عبدوا الله عز وجل خوفاً فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عز وجل طلباً للثواب فتلك عبادة التجار وقوم عبدوا الله حباً له فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة».

معطيات هذا الطريق في النفس والحياة:

١- معرفة غاية الوجود الإنساني وأن عليه أن يستشعر من أعماقه الغاية السامية لوجوده ويتعرف على الوجهة الأساسية لمسيرته في الحياة وأن لحياته قيمة ومعنى وهدفاً وأنه ليس كائناً خلق عبثاً قال تعالى: «أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ»<sup>٣</sup>.

٢- الاهتداء إلى الفطرة قال تعالى: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ»<sup>٤</sup>.

٣- سلامة النفس من التمزق والضياع قال تعالى: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»<sup>٥</sup>، «الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ»<sup>٦</sup>.

٤- التحرر من العبودية للانانية والشهوات ليضمن السعادة والرفاه والعدالة للمجتمع ككل وتتعادل في حسابه المصالح كلها وتتوازن فيه مفاهيم القيم الفردية والاجتماعية قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ

(١) سورة الانشقاق: ٦.

(٢) سورة النجم: ٤٢.

(٣) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٤) سورة الروم: ٣٠.

(٥) سورة النحل: ١٠٦.

(٦) سورة الرعد: ٢٨.

خَطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ<sup>١</sup>.

٥- تصحيح الغايات والأهداف لدى الافراد عن طريق أمرين:

استشعار الرقابة الربانية لما يجول في النفس قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَإِنْ تُبَدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾<sup>٣</sup>.

واستحضار الرقابة على الأفعال وأعمال الجوارح قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾<sup>٤</sup>، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>٥</sup>.

(الطريق الثاني) الذي تتحقق به وثيقة الصلة بالله عزّوجلّ: ربانية المصدر والمنهج قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>٦</sup>، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>٧</sup>.  
معطيات هذا الطريق في العقيدة والسلوك

(المعطى الأول) تحقيق الاستقامة عند العمل بهديه قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾<sup>٨</sup>، ﴿أَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾<sup>٩</sup>، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾<sup>١٠</sup>.

(المعطى الثاني) الإذعان بالعبودية الحقّة لله تبارك وتعالى لأُمور أهمها:

(١) سورة النور: ٢١.

(٢) سورة العلق: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٤.

(٤) سورة ق: ١٨.

(٥) سورة النور: ٢٤.

(٦) سورة النحل: ٨٩.

(٧) سورة النحل: ٤٤.

(٨) سورة الأنعام: ١٥٣.

(٩) سورة فصلت: ٦.

(١٠) سورة التكويد: ٢٧-٢٨.

- ١- انحصار القدسية ومقام الربوبية فيه دون سواه.
- قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾<sup>١</sup>.
- ٢- كونه الذات الإلهية المنزهة عن النقائص والجامعة لجميع صفات الجلال والكمال قال سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ \* ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾<sup>٣</sup>، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾<sup>٤</sup>.
- ٣- إحاطته سبحانه وتعالى بجميع حقائق الأشياء وأسرارها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾<sup>٥</sup>.
- ٤- إليه المبدأ والمنتهى قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾<sup>٦</sup>، ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>٧</sup>.
- ٥- كونه المشرع الأول لما فيه سعادة الإنسان في الدارين قال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>٨</sup>، ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾<sup>٩</sup>.
- (المعطى الثالث) التسليم للسلطة الإلهية العليا فيما أمر ونهى: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

(١) سورة الزمر: ٣٨.

(٢) سورة البقرة: ١١٦.

(٣) سورة مريم: ٩٢-٩٣.

(٤) سورة الإسراء: ٤٣.

(٥) سورة الرعد: ٨.

(٦) سورة هود: ١٢٣.

(٧) سورة فصلت: ٢١.

(٨) سورة الجاثية: ١٨.

(٩) سورة المائدة: ٤٩.

مِنْ أَمْرِهِمْ<sup>١</sup>.

(المعطى الرابع) التحرر من العبوديات الزائفة والقيود المصطنعة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾<sup>٢</sup>، وجاء في الحديث النبوي الشريف: «كلكم لأدم وأدم من تراب»، وقال الإمام علي عليه السلام: «أيها الناس إن آدم لم يلد عبداً ولا أمةً وان الناس كلهم أحرار»؛ وقال عليه السلام أيضاً: «الحرّ حرّ ولو مسّه الضرّ والعبد عبد وإن ساعده القدر».

### الخاصية الثانية (الإنسانية)

مسألة ٩٨: الإنسان وفعله الذي يصدر منه على وجه التحديد في خير أو شر هو موضوع شريعة الإسلام الذي تتعلق به جميع أحكامه وفق محاور رئيسية ثلاثة:

الأول: ما يتناول تقويم الفكر البشري عن المبدأ والمنتى للوجود البشري وعن الخالق والحياة وطرق ضمان سعادة الدنيا والآخرة.

الثاني: ما يتناول تقويم ملكات الإنسان ودوافعه وأخلاقه وسلوكياته والغايات النبيلة من وجوده ككائن مستخلف على عالم الدنيا.

الثالث: ما يتناول حفظ الإنسان ومقومات وجوده في الحياة من ثلاث جهات:

(الأولى) ما يتناول حفظ نفس الإنسان: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾<sup>٣</sup>، ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>٤</sup>.

(الثانية) ما يتناول حفظ المال والعرض: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾<sup>٥</sup>، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) سورة الروم: ٢٠.

(٣) سورة النساء: ٩٣.

(٤) سورة المائدة: ٣٢.

(٥) سورة المائدة: ٣٨.

مائة جَلْدَةٍ<sup>١</sup>.

(الثالثة) ما يتناول حفظ الحقوق والروابط الاجتماعية وتنظيم العلاقات الإنسانية: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾<sup>٣</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾<sup>٥</sup>، إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا<sup>٦</sup>.

ومن معطيات هذه الخصيصة كما نستفيد منها:

(المعطى الأول) مراعاة حدود قدرة الانسان:

قال عز وجل: ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾<sup>٧</sup>.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رفع عن أمتي تسعة الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه والحسد والطيرة والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة».

وروي أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «والله ما كلف الله العباد إلا دون ما يطيقون لأنه كلفهم في كل يوم وليلة خمس صلوات وكلفهم في السنة صيام ثلاثين

(١) سورة النور: ٢.

(٢) سورة البقرة: ١٧٩.

(٣) سورة النساء: ١٤.

(٤) سورة الحجرات: ١١.

(٥) سورة الحجرات: ١٢.

(٦) سورة الاسراء: ٣٦.

(٧) سورة البقرة: ٢٨٦.

يوماً وكلّفهم في كل مائة درهم خمسة دراهم وكلّفهم حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك».

(المعطى الثاني) انتفاء العسر في التكليف وعدم التكليف بما لا يطاق:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾<sup>١</sup>، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾<sup>٣</sup>، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>٥</sup>.

(المعطى الثالث) آدمية البعثة و انسانية القدوة:

من رحمة الله تعالى بخلقه أنه أرسل إليهم رسلاً بشراً من جنسهم ومن بينهم لا ملائكة ليدعوهم ويتمكنوا من مخاطبتهم والأخذ عنهم كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>٦</sup>، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>٧</sup>، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾<sup>٨</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>٩</sup>، ﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾<sup>١٠</sup>، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>١١</sup>، ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

(٣) سورة النساء: ٢٨.

(٤) سورة المائدة: ٦.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٨.

(٦) سورة آل عمران: ١٦٤.

(٧) سورة الأحزاب: ٢١.

(٨) سورة الكهف: ١١٠.

(٩) سورة الأعراف: ١٥٨.

(١٠) سورة آل عمران: ٨١.

(١١) سورة التوبة: ١٢٨.

مَتَدُّوْا وَمَا عَلَي الرَّسُوْلِ اِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِيْنُ<sup>١</sup>.

(المعطى الرابع) التنبيه على أهمية الإنسان وتفضيله على كافة الكائنات:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّيْ جَاعِلٌ فِى الْاَرْضِ خَلِيْفَةً<sup>٢</sup>﴾.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاھُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنٰھُمْ مِّنَ الطَّيِّبٰتِ وَفَضَّلْنٰھُمْ

عَلٰى كَثِيْرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيْلًا<sup>٣</sup>﴾.

(المعطى الخامس) أن الكثير من ذخائر وخيرات عالم الدنيا خلق لتأمين مصالح

ومنافع الإنسان قال سبحانه وتعالى: ﴿اللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَاَنْزَلَ مِنَ

السَّمٰءِ مَآءً فَاَخْرَجَ بِهٖ مِنَ الشَّجَرٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِى الْبَحْرِ بِاَمْرِهٖ

وَسَخَّرَ لَكُمْ الْاَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دٰٓئِبِيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \*<sup>٤</sup>

وَآتٰكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآءٍ سٰلْتُمْوْهُ وَاِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا<sup>٥</sup>﴾، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى

السَّمٰوٰتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ جَمِيْعًا مِّنْهُ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لٰآيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ<sup>٥</sup>﴾، ﴿وَأَسْبَغَ

عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظٰهِرَةً وَبَاطِنَةً<sup>٦</sup>﴾.

## الخاصية الثالثة: الشمول للمكان والانسان والزمان

مسألة ٩٩: امتازت الشريعة الإسلامية على سائر الأديان الإلهية التي سبقتة

بالشمولية:

### ١- الشمول المكاني:

ويعني عدم اختصاص تشريعاته وأحكامه بمكان دون مكان على جهة الاقتصار

والانحصار في بقعة جغرافية خاصة معينة وأن تكليف الانسان يلازمه في عالم الدنيا

(١) سورة النور: ٥٤.

(٢) سورة البقرة: ٣٠-٣٣.

(٣) سورة الاسراء: ٧٠.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.

(٥) سورة الجاثية: ١٢-١٣.

(٦) سورة لقمان: ٢٠.

في أي مكان منه مادام يمتلك عقلاً وإدراكاً سليماً.

## ٢- الشمول الإنساني:

فلا تختص تشريعاته بعنصر بشري من قومية وعرقية معينة دون أخرى وكذا لا يختص بما كان له لون أبيض أو أحمر أو بمن كان ذا جاه وطبقة معينة ولا بالعالم دون الجاهل ولا بالسالم دون المريض ولا بالعربي دون الأعجمي ولا بالرجل دون المرأة ولا بالبصير دون الأعمى الضهير ولا بالكبير دون الصغير.

فهو دين ينظر للإنسان بما هو إنسان وميزان الترجيح والتفاضل بين بني جنسه ونوعه إنما يكون بما يصدر منه من العمل الصالح وبما يرجح كفته من الطاعات والورع والتقوى والمجاهدات النفسية والكف عن الذنوب والمعاصي ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>١</sup>.

## ٣- الشمول الزمني:

لقد انقضت مدة أربعة عشر قرناً على مجيء البعثة السماوية الخاتمة ولا زال غضباً طرياً كيوم نزوله أول مرة والسر في ذلك أنه يواكب الزمان بأبعاده التالية:

أ- الزمان ببعده الفطري: بمعنى أنه ينسجم ويتناغم مع الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها منذ ولادة كل فرد من أفرادها في عالم الدنيا وهي الفطرة التي تلازمه منذ أن خلق وما دام يخلق بلا فرق أو تغاير حتى انقضاء هذا العالم.

ب- الزمان ببعده المرحلي: أي يساير مقتضيات مراحل حياة الإنسان ابتداءً من مرحلة الطفولة ثم المراهقة قبل وبعد سن التكليف ومراحل الشباب والرجولة والشيخوخة والكهولة.

ج- الزمان ببعده العلمي والفكري والثقافي: بمعنى أن دين الإسلام نجده يساير كل مراحل تطور العلم البشري وفكره وثقافته بأبعاده المختلفة وميادينه المتشعبة من دون اختصاص بفترة زمنية من تاريخ تطور علومه ومعارفه فمهما تقدم وتطور نجده يزداد انبهاراً بما جاء في دينه من تشريعات وفي قرآنه من

حقائق علمية وكونية.

## الخاصية الرابعة: الوسطية في التشريع

مسألة ١٠٠: الوسطية من أهم الخصائص العامة للإسلام وكلمة الوسط تفيد معنى البعد عن الإفراط والتفريط، وكل صفة محمودة لها جانبان سلبيان، فالاعتدال وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور، ولذا نجد أن كافة الأحكام التكليفية التي جاءت في شريعة الإسلام للإنسان دائماً تسمو به عن كل وصف مذموم وافراط وتفريط.

وهذه الخاصية من أهم ما امتازت به أمة الإسلام عن غيرها من الأمم قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>١</sup>.

والوسطية أيضاً ضد الغلو والتطرف قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾<sup>٢</sup>، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾<sup>٣</sup>.

كما عليه أن ينتفع بنعم الوجود والحياة وأن يأخذ نصيبه من متعتها ولدائها بالقدر المعتدل وفق ما رخص به ورسمه شريطة أن لا يترتب عليها مفسد ومضار كما أشار سبحانه وتعالى في قوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾<sup>٤</sup>، وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

(٢) سورة المائدة: ٧٧.

(٣) سورة الحديد: ٢٥.

(٤) سورة الكهف: ٤٦.

الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾.

وقال عليه السلام: «لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ لما اشتكته زوجته بسبب هجرانه لها وانقطاعه للعبادة عنها: يَا عُثْمَانُ لَمْ يُرْسَلِي اللَّهُ تَعَالَى بِالرَّهْبَانِيَّةِ، وَلَكِنْ بَعَثَنِي بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ، أَصُومُ وَأُصَلِّي وَأُمِسُّ أَهْلِي، فَمَنْ أَحَبَّ فِطْرَتِي فَلَيْسَتْ بِسُنَّتِي، وَمِنْ سُنَّتِي النَّكَاحُ»<sup>٢</sup>.

## الخاصية الخامسة: الواقعية

مسألة ١٠١: لواقعية الإسلام معان:

(الأول) إن واقع أحكام الدين الاسلامي لا تتنافر ولا تتعارض مع بعضها البعض ومع جميع موضوعاتها الخارجية في شتى جوانب الحياة شأنها في ذلك كشأن سائر الأنظمة البديعة التي خلقها الله عز وجل لتنظيم وتديير نظام الوجود.

(الثاني) إن تلك الأحكام الإلهية صدرت من الخالق المشرع الأول العالم بما يناسب ويتفق ويتلاءم مع الواقع الذي يعيش الإنسان عليه وفيه.

(الثالث) إن تلك الأحكام تعتبر التشريع الأفضل والنظام الأصلح الذي لا يضاهيه تشريع آخر وهذا التفوق والامتياز مستمر ما قدر لحياة الإنسان من بقاء في عالم الدنيا والأوفق بفطرة الانسان وينطبق على تمام احتياجاتها ومتطلباتها التي تناسبها طيلة مسيرتها في الحياة مهما اختلفت الأزمان وتمادت العصور.

(الرابع) إن تلك الأحكام تتطابق مع العقل البشري السليم فلا يكاذبها أو يقابلها بالنفور والعزوف بل بالامتثال والطاعة والإقبال على العمل بها.

## الخاصية السادسة: الوضوح

مسألة ١٠٢: نعني بوضوح الدين الإسلامي ووضوح النص والخطاب التكليفي الموجه لسائر المكلفين من البشر ووضوح الثوابت التي جاء بها وإلى ذلك أشارت جملة هذه الآيات الكريمة:

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) الكافي: ٥/ ٤٩٤، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة ١٣٦٥.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾<sup>١</sup>،  
 ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>٢</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ  
 مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن  
 يُرِيدُ﴾<sup>٤</sup>، ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾<sup>٥</sup>، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ  
 بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ﴾<sup>٦</sup>، ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>٧</sup>،  
 ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾<sup>٨</sup>، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ  
 جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾<sup>٩</sup>.

### الخاصية السابعة: الجمع بين الثبات والمرونة

مسألة ١٠٣: أكثر أحكام الشريعة الإسلامية أحكام قطعية ثابتة كسائر الأحكام في  
 أكثر الكتب الفقهية ولكننا نجد هناك استثناءات تعبر عن مرونة في التكليف كجواز  
 أكل الميتة إذا توقف حفظ الحياة عليه ولا يوجد غيرها وجواز الدخول للأرض  
 المغصوبة لإنقاذ غريق أو نجدة واسعاف محتاج عملاً بقاعدة عند الضرورات تباح  
 المحظورات كما نجد أن هناك أحكام تخييرية كالتخيير في الإتيان بأي سورة بعد الحمد  
 دون تقييد بسورة معينة في الصلوات الخمس اليومية والتخيير في كفارة الإفطار في  
 شهر رمضان بين عتق رقبة واطعام ستين مسكيناً أو صيام شهرين متتابعين أو كفارة  
 حنث اليمين كما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) سورة النحل: ٤٤.

(٣) سورة النساء: ١٧٤.

(٤) سورة الحج: ١٦.

(٥) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٦) سورة غافر: ٨٣.

(٧) سورة البقرة: ٢٣٠.

(٨) سورة النحل: ٤٣-٤٤.

(٩) سورة المائدة: ١٥.

بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>١</sup>.

وليس المقصود بالمرونة هي تلك التي يصورها جملة من المندسين والمأجورين والمستهترين من أن لكل زمان ومكان ظروف وأحكام وقوانين لا بد أن تعمل عملها في تحوير أحكام الدين بما يتناسب مع تلك الظروف وإن بلغ الحد إلى تحليل جملة من الكبائر المحرمة كإباحة الموسيقى والغناء والرقص وشرب الفخار المشتهر بالبيرة والتعامل مع البنوك الربوية وإنشاء بنوك للنطف والبويضات لعلاج العقم من دون اعتبار للعلاقة الزوجية الشرعية لتصحيح الأنساب ونحوها من المحرمات تماشياً مع موضات عصرنة وتغريب المجتمع الإسلامي التي يروج لها الغرب في وسائل اعلامه وضمن نظام عولمته الجديد.

### الخاصية الثامنة: الرحمانية

مسألة ١٠٤: قال عز وجل: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>٢</sup>، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾<sup>٥</sup>، ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾<sup>٦</sup>، ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾<sup>٧</sup>، ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>٨</sup>، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة المائدة: ٨٩.

(٢) سورة البقرة: ١٦٣.

(٣) سورة غافر: ٧.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٥) سورة الفتح: ٢٩.

(٦) سورة الجاثية: ٢٠.

(٧) سورة فاطر: ٢.

(٨) سورة الحديد: ٩.

لَعْفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>١</sup>.

ولهذه الخصيصة معطيات نوجزها بما يلي:

## (المعطى الأول) الرأفة والल्प والرحمة والعطف

مع كافة البشر دون استثناء كما أشار إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ<sup>٢</sup>﴾، ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ<sup>٣</sup>﴾.

وما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بعثت بالشريعة السمحاء».

وكذلك روي عن موسى بن بكير أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام: «الرجل يغي عليه اليوم واليومين والثلاثة والأربعة وأكثر من ذلك كم يقضي من صلته؟ فقال: ألا أخبرك بما يجمع لك هذا وأشباهه؟ كل ما غلب الله عز وجل عليه من أمر فالله أعذر لعبده، وهذا من الأبواب التي يفتح كل باب منها ألف باب».

وروي أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «ما أمروا إلا بدون سعتهم، وكل شيء أمر الناس به فهم يسعون له، وكل شيء لا يسعون له فموضوع عنهم ولكن الناس لا خير فيهم ثم تلا: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ﴾ فوضع عنهم وقال: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ \* وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ<sup>٤</sup> قال: فوضع عنهم لأنهم لا يجدون ما ينفقون وقال: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>٥</sup>﴾».

(١) سورة النحل: ١٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٥.

(٣) سورة النحل: ١٠٦.

(٤) سورة التوبة: ٩١.

(٥) سورة التوبة: ٩١-٩٢.

(٦) سورة التوبة: ٩٣.

وروي أيضاً عنه عليه السلام أنه قال: «الناس مأمورون وممهيون ومن كان له عذر عذره الله».

### (المعطي الثاني) التسامح ومراعاة الظرف الاستثنائي

قال رسول الله ﷺ:

١- «يوحى الله عزوجل إلى الحفظة الكرام لا تكتبوا على عبدي المؤمن عند ضجره شيئاً».

٢- «عفي لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تنطق به وتعمل به».

وروي عن علي بن عطية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كنت عنده وسأله رجل عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذ الله به؟ فقال عليه السلام: الله أكرم من أن يستغلق عبده، أي يكلفه ويجبره فيما لم يكن له فيه اختيار».

### (المعطي الثالث) تعزيز مظاهر المحبة والتوادد والتآلف

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾<sup>١</sup>، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾<sup>٢</sup>، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>٤</sup>.

وقال رسول الله ﷺ:

١- «لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وتهادوا وأدوا الأمانة واجتنبوا الحرام وقروا الضيف وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين».

٢- «المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وخير المؤمنين من كان مألّفه للمؤمنين ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

٣- «تزاوروا وتعاطفوا وتبادلوا ولا تكونوا بمنزلة المنافق الذي يصف ما لا يفعل».

(١) سورة الحديد: ٢٧.

(٢) سورة البلد: ١٧.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) سورة البقرة: ١٩٥.

٤- «خمس من أتى الله بهن أو بواحدة منهن وجبت له الجنة من سقي هامة صادية أو حمل قدماً حافية أو أطعم كبدأ جائعة أو كسى جلدة عارية أو أعتق رقبة عانية».

٥- «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلفه بها ويفرح عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود عليه الرحمة ما كان في ذلك».

٦- وفي رواية أنه ﷺ أمر بسبع: «عيادة المريض واتباع الجنائز وابرار القسم وتسميت العاطس ونصرة المظلوم وإفشاء السلام وإجابة الداعي». وجاء في الحديث النبوي أيضاً: «المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر أعضاء الجسد بالسهر والحمى».

## الخاصية التاسعة: السلامة من التحريف

مسألة ١٠٥: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>١</sup>.

للحفظ معاني ومفاهيم ومصاديق متعددة إلا أنها تصب بجملتها في دائرة التعهد والصيانة واحاطة الشيء بالرعاية والعناية والحراسة وحفظ الذكر وهو القرآن الكريم معجزة الرسالة الخاتمة من أهم العوامل التي أبقت وخلدت وجوده واسمه ورسمه إلى يومنا هذا بحفظه من النسخ بشريعة أخرى وحفظه من التحريف في نظمه ومسائله وأحكامه حيث اضفى عليه مسحة اعجازية خارت كل قدرة بشرية على الإتيان بمثلها ومجاراتها ولو بأقصر سورة من سوره إلى غير ذلك من أساليب الحفظ التي ساهمت في الإبقاء على هذا الدين من اجهاز الكافرين والملاحدة الغالين المبطلين وكان من ثمرته أن ظلت هذه الرسالة سليمة بمحتواها العقائدي والتشريعي ضمن النص القرآني تواصل دورها الرسالي المنوط بها دون أن تتعرض لأي

(١) سورة الحجر: ٩.

تحريف بينما منيت الكتب السماوية السابقة بالتحريف وأفرغت من كثير من محتواها.

### الخاصية العاشرة: القرآنية

مسألة ١٠٦: القرآن الكريم معجزة الإسلام الأبدية الخالدة التي تميّزت بها الرسالة الخاتمة على ما سواها من البعثات والرسالات السماوية الأخرى السابقة وقد سبق الحديث عنها تحت عنوان القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة في فقه التقليد ونضيف هنا بأن بقاء القرآن نصّاً وروحاً يعني أن نبوة محمد ﷺ وشريعة الإسلام التي جاء بها لم تفقد أهم وسيلة من وسائل اثباتها لأن القرآن الحاضر بين أيدينا وما يعبر عنه من مبادئ الرسالة والشريعة وما يحويه من الإعجاز البلاغي والبياني والعلمي والرقبي كان هو الدليل الاستقرائي على صدق نبوته ﷺ وكونه رسولاً وهذا الدليل يستمر شاهداً على ذلك مادام القرآن باقياً محفوظاً بنصه ومحتواه.

### الخاصية الحادية عشرة: التغييرية

مسألة ١٠٧: لقد جاء الإسلام كثورة ربانية على الواقع المزري الذي وصل إليه انحطاط البشرية وانسلاخها عن أبسط القيم والأخلاق واستغراقها في الفساد والضياع والتهيه والانفلات والتسيّب والتخبّط وفرض عليها إصلاحاً جذرياً وتغييراً حقيقياً من أجل تقويم فكرها وسلوكها ونهجها لإسعادها في الدنيا والآخرة.

كما أشارت إليه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها المشهورة: «كُنْتُمْ عَلَى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ، مَذْقَةَ الشَّارِبِ وَنَهْزَةَ الطَّامِعِ وَقَبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئِ الْأَقْدَامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْقَدَّ أذْلةً خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بأبي محمد ﷺ ... الخ».

والشريعة الإسلامية شريعة متكاملة تعنى بتنظيم شؤون الفرد والأسرة والمجتمعات والدولة وحفظ الأنفس والأموال والحقوق والكرامات والأعراض تنطلق بالمسلم بعد تغيير عقيدته وفكره وسلوكه إلى كل المساحات الرحبة التي يعيش في

وسطها ليأخذ دوره الريادي في حياة الدنيا.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>١</sup>.

وما نشهده اليوم من تخلف وتردي في مستوى أكثر الشعوب العربية والإسلامية وعدم قدرتهم على تغيير وضعهم إلى الأحسن والأفضل أسوة بدول الجوار إنما يرجع إلى عدم قيام شعوبهم وحكوماتهم بتغيير حقيقي في واقع شعوبهم ومسؤولهم بالتمسك بقيم وأهداف الإسلام العليا وعدم جعلها قاعدة للانطلاق منها نحو أحداث تغيير جذري وواقعي وثوري في واقعهم لتحريرهم من أسر العقد النفسية المسيطرة عليهم بدءاً من الإحساس بالذل والحقارة والهوان والضعفة وانتهاءً إلى البعد عن الإسلام واللهث وراء محاكاة عمياء للشعارات الجوفاء والمظاهر المادية المصطنعة الغربية التي أبعدهم عن حقيقة واقعهم الذي يجب أن يكونوا عليه والتمسك بمعتقدهم ومبادئ دينهم وعناصر تمدن الحقيقي ومقومات القوة الحضارية التي ميّزتهم على مر التاريخ التليد الذي عرفوا به في محيطهم.

### الخاصية الثانية عشرة: الخاتمية

مسألة ١٠٨: قال عز اسمه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾<sup>٣</sup>.

إن النبي الأكرم محمد بن عبد الله ﷺ الذي جاء بهذه الرسالة الخاتمة تميّز عن جميع الأنبياء الذين سبقوه بتقديم رسالته بوصفها آخر أطروحة ربانية للبشرية وبهذا أعلن أن نبوته هي النبوة الخاتمة لجميع الأديان والرسالات وفكرة النبوة الخاتمة لها مدلولان:

(١) سورة الرعد: ١١.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٣) سورة المائدة: ٤٨.

(أحدهما) سلبي وهو المدلول الذي ينفي إمكانية ظهور نبوة أخرى على المشهد العالمي (والآخر) إيجابي وهو المدلول الذي يؤكد استمرار النبوة الخاتمة وامتدادها على مر العصور حتى انتهاء عالم الدنيا وحينما نلاحظ المدلول السلبي للنبوة الخاتمة نجد أن هذا المدلول قد انطبق على الواقع تماماً خلال الأربعة عشر قرناً التي تلت ظهور الإسلام وسيظل منطبقاً على الواقع مهما امتد الزمن للحياة في هذا العالم غير أن عدم ظهور نبوة أخرى على مسرح التاريخ ليس لأن النبوة تخلت عن دورها كأساس من أسس الحضارة الانسانية بل لأن النبوة الخاتمة جاءت بالرسالة الوريثة لكل ما يعبر عنه تاريخ النبوات من رسالات والمشملة على كل ما في تلك النبوات والرسالات من قيم ثابتة دون ما لا بسها من قيم مرحلية وبهذا قضت الحكمة الإلهية هيمنة هذه الرسالة على جميعها وكان بها ختامها وأكسبتها القدرة على الاستمرار مع الزمن بكل ما يحمل من عوامل التطور المادي والتجديد في الفكر البشري كما تقدم توضيحه في الخصائص السابقة.

### الخاصية الثالثة عشرة: نزاهة حملته

مسألة ١٠٩: قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾<sup>٣</sup>، ﴿أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾<sup>٤</sup>.

لقد كان الهدف الأول الذي نادى به كافة الشرائع السماوية والبعثات النبوية هو انتشار الإنسان من عالم الرذيلة والفساد والانحراف وأسر الشهوات الهيمية والانجراف في متاهات الجهل والعصبية ونقله إلى عالم العزة والكرامة والشرف والفضيلة والإنسانية الحقة.

ولذلك فمن الطبيعي أن يكون من الشروط الأساسية بل أبرزها التي ينبغي أن

(١) سورة القلم: ٤.

(٢) سورة يوسف: ٣٢.

(٣) سورة التوبة: ١١٤.

(٤) سورة النور: ٢٦.

يتصف بها كل نبي أو رسول أو إمام لتبليغ الرسالة الإلهية أن يكون معصوماً أي ممتنعاً ذاتاً عن ارتكاب الخطايا والذنوب والآثام والرذائل مجاناً للصغائر والكبائر باديماً مظهر الكمال الخلقى ملتزماً بجميل الخصال الفاضلة ومحاسن الأخلاق الكريمة لأن من كان هدفه وغايته ووظيفته هو انجاح الدعوة إلى الإيمان بهذه الرسالة السماوية وإقناع من أرسل إليها بها لا يمكن أن يكون على غير ذلك وذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه ولنهب ولنفترض أن سيرته كانت على النقيض من منطقته ونصحه وإرشاده لمن أرسل إليهم فالأمر سيكون مآله الفشل الذريع في مقام تأدية الرسالة وهو أمر تجلّ الرسالات السماوية عن اتصاف أنبيائها به وتأنف عن الوقوع فيه وتبرأ منه.

### الخاصية الرابعة عشرة: العالمية

مسألة ١١٠: قال عز من قائل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>١</sup>، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>٢</sup> أي رسالة عالمية المبدأ والطرح والأهداف والأسس والبعثة وقال تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾<sup>٣</sup>، ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>٥</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾<sup>٦</sup>.

ولا يخفى أن الفطرة الانسانية أو (النفس الواحدة) وهي بمثابة الحقيقة المشتركة الجامعة بين البشر وقد اعتمدت الشريعة الإسلامية الخاتمة في خطابها العالمي على هذه القاعدة وركزت في عملية تصحيح مسارها في الحياة والأخذ بيدها إلى

(١) سورة الشعراء: ١٩٢.

(٢) سورة التكويد: ٢٧.

(٣) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٤) سورة الزخرف: ٤٦.

(٥) سورة الأنعام: ٩٠.

(٦) سورة النساء: ١.

ما فيه سعادتها الدنيوية والأخروية على مخاطبتها واستنطاق الثوابت التي أودعها فيها رب الوجود.

### الخاصية الخامسة عشرة: الأهمية

مسألة ١١١: قال عزَّ اسمه: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>١</sup>،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>٢</sup>.

فالأهمية من خصائص الإسلام المهمة ولها بعدان بعد مركزي يجمع كل معتنقي الإسلام في أمة واحدة تذوب فيها الفوارق العرقية والانتماءات القبلية باعتماد الدين كقاسم مشترك يؤلف ويوحد ويؤاخي بين جميع المسلمين.

والبعد الثاني بعد تناظري يجعل من الأمة الإسلامية أمة تناظر وتقابل باقي الأمم التي تدين بغير الإسلام وتقر بها كواقع ينبغي القبول به والتعامل معه ويدعو إلى الانفتاح عليه ويشجع التعاون معها فيما فيه خير ورخاء وصلاح واستقرار الجميع.

ويوجه لتوظيف هذا التواصل واستثماره لبناء أرقى مظاهر الازدهار والرقى الحضاري للأمة الإسلامية.

### الخاصية السادسة عشرة: السمو والرفعة والعزة لمعتنقيه

مسألة ١١٢: قال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾<sup>٦</sup>.

(١) سورة الأنبياء: ٩٢.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة فاطر: ١٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٥) سورة المنافقون: ٨.

(٦) سورة التوبة: ٤٠.

الإسلام يحث أتباعه المسلمين على أن يكونوا في الصدارة والمقدمة والواجهة في كافة الميادين والحقول الفكرية والثقافية والصناعية وعلى الدوام وبشكل ثابت وذلك لأن الإسلام ليس مبدءاً كهنوتياً بل هو مبدءاً فاعل وحيوي ونشط يهدف إلى بناء صرح الحضارة الانسانية الكاملة بكافة تفاصيلها وأبعادها وجزئياتها ويرتقي بالإنسان إلى أعلى درجة التكامل الخلقي والسلوكي والاجتماعي ويحقق الغاية التي من أجلها خلق ويوظف كل طاقاته الكامنة بين جنبيه في مسارها الصحيح الهادف القويم.

وهذا الفهم الأصيل هو الذي أحدث النقلة الحضارية في عهد الإسلام الأول وحول أمة تسكن مناطق جرداء قاحلة من الصحراء في سنوات قلائل إلى أعظم أمة ارتقت بالحضارة الإنسانية وساهمت في تطور التمدن البشري كما شهد به التاريخ بأحرف من نور.

### الخاصية السابعة عشرة: قدسية العهود والمواثيق

مسألة ١١٣: قال عز من قائل: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾<sup>٤</sup>، ﴿فَاتَّمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾<sup>٥</sup>.

من أبرز خصائص الدين الإسلامي الخاتم هو قدسية العهود والمواثيق ووجوب

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٢) سورة النحل: ٩١.

(٣) سورة الانعام: ١٥٢.

(٤) سورة الإسراء: ٣٤.

(٥) سورة التوبة: ٤.

الالتزام والعمل بها وأن حثها ونكثها يعد من الذنوب الكبائر التي توعد الله عزوجل عليها العقاب الشديد والجزاء الأليم في الآخرة.

### الخاصية الثامنة عشرة: المثاليّة

مسألة ١١٤: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾<sup>٢</sup>، ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ \* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>٦</sup>، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا﴾<sup>٧</sup>، ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾<sup>٨</sup>، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>٩</sup>، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>١٠</sup>.

وهذه الخاصية تدل دلالة قطعية على أن هذا الدين دين الحياة ودين المدنيّة ودين الرقي والازدهار ودين الحضارة الماديّة والمعنويّة بلا منازع.

(١) سورة النساء: ١٢٥.

(٢) سورة النساء: ٨٦.

(٣) سورة الزمر: ١٧-١٨.

(٤) سورة الإسراء: ٥٣.

(٥) سورة الإسراء: ٣٥.

(٦) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٧) سورة الزمر: ٢٣.

(٨) سورة الزمر: ٥٥.

(٩) سورة فصلت: ٣٣.

(١٠) سورة الملك: ٢.

## الخاصية التاسعة عشرة: حتمية التطبيق وإقرار أسسه ومبادئه

مسألة ١١٥: قال عز اسمه: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَأْمِنُوا بِمَا نَزَّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾<sup>٢</sup>، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>٦</sup>، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾<sup>٧</sup>، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>٨</sup>، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾<sup>٩</sup>، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>١٠</sup>، ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾<sup>١١</sup>.

(١) سورة النساء: ٦١.

(٢) سورة محمد ﷺ: ٢.

(٣) سورة الفتح: ٢٨.

(٤) سورة المائدة: ٤٤.

(٥) سورة المائدة: ٤٥.

(٦) سورة المائدة: ٤٧.

(٧) سورة البقرة: ٢١٣.

(٨) سورة البقرة: ١٥٩.

(٩) سورة الأحزاب: ٣٦.

(١٠) سورة الأنعام: ١٥٥.

(١١) سورة إبراهيم: ١.

شرع الله تبارك وتعالى وبمقتضى حاكميته الإسلام كمنظومة متكاملة وعقيدة حتمية التطبيق والزامية التنفيذ على أرض الواقع لا تقبل التجزئة ولا التبعض وهي تمثل جزءاً وحلقة من كل متكامل يمثل نظام التدبير الإلهي للكون والكائنات الحية الموجودة في هذا العالم الدنيوي وعلى رأسها الإنسان.

### الخاصية العشرية: البرهانية والإقناعية

مسألة ١١٦: قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَيْسَ لَكُمْ بِرُهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>١</sup>، ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾<sup>٢</sup>، ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجِبْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾<sup>٣</sup>، ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾<sup>٦</sup>.  
فالله جل شأنه هو الحق وشريعته هي الحق ولا يعلو على الحق شيء وكل البراهين والأدلة تقود لذلك الحق لأن ما سواه ليس إلا ضلال وخبال ومحال.

كما أن الشريعة الإسلامية وما ورد فيها من العبادات وغيرها من سائر التشريعات بنيت على وفق الحكمة الإلهية وهي وإن خفي الحكمة من بعضها لأنها فوق إدراك البشر إلا أن الكثير منها ما حكمه ظاهرة ورد بيان أكثرها في جملة من الأحاديث النبوية وأحاديث خلفائه من أئمة العترة الطاهرة وتكشف عن الغايات والمقاصد التي شرعت وفقها وهي بمجملها تخلق قناعة راسخة لدي المسلم بأنه يتعبد بشريعة حكيمة شرعها الرب الحكيم المدبر وليس كما عليه الكفار من طقوس جوفاء وخواء

(١) سورة النمل: ٦٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٤.

(٣) سورة آل عمران: ٦٦.

(٤) سورة القصص: ٤٩.

(٥) سورة فاطر: ٣١.

(٦) سورة النور: ٢٥.

وعبث وشطط وخلط وخبط وتيه وضلال وضياع.

وقد صنّف رئيس المحدثين الصدوق رحمته الله كتاباً أسماه (علل الشرائع) جمع فيه ما ورد من الأخبار عن أهل العصمة (صلوات الله وسلامه عليهم) حول العلل التي على وفقها شرعت الأحكام التكليفيّة ووجوه الحكمة والغايات التي ابتنت عليها، يمكنك مراجعته للوقوف عن كتب على ما ذكرناه لك.

# القسم الثاني

في معرفة الخالق وتوحيده



## معارف الإنسان

مسألة ١١٧: ينقسم الإدراك لدى الإنسان بصورة رئيسية إلى نوعين:

(أحدهما) التصوّر: وهو الإدراك الساذج وينطوي على قسمين:

الأول: المعاني التصورية البسيطة كمعاني الوجود والوحدة والحرارة والبياض وما

إلى ذلك.

الثاني: المعاني المركبة أي التصورات الناتجة عن الجمع بين تلك

التصورات البسيطة فقد نتصوّر (جبالاً من تراب) ونتصوّر (قطعةً من الذهب) ثم

نركّب بين هذين التصورين فيحصل بالتركيب تصوّر ثالث وهو (تصوّر جبل من

الذهب).

(والنوع الآخر) للإدراك التصديق، وهو الإدراك المنطوي على حكم

فالتصوّر كتصوّرنا لمعنى الحرارة أو النور أو الصوت والتصديق كتصديقنا بأنّ

الحرارة طاقة منشؤها الشمس وأنّ الشمس مصدر نور القمر، وأنّ الذرة قابلة

للانفجار.

## أسس الإسلام لبناء الفكر السليم

مسألة ١١٨: يمكن إيجاز أسس الإسلام لبناء الفكر السليم في ثلاثة أسس:

### الأساس الأول: محدودية الإدراك في العقل البشري

فعن رسول الله ﷺ قال: «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فإنكم لن تقدروا

قدره».

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «العقل لإقامة رسم العبودية لا لإدراك الربوبية».

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إياكم والتفكر في الله، ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى

عظمته فانظروا إلى عظم خلقه».

### الأساس الثاني: حدود الإدراك الحسي بالحواس الخمس

قال الإمام الصادق عليه السلام في توحيد المفضل: «فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً

لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان

ولم يكن بصر يدركها لم يكن فيها منفعة، وخلق السمع ليدرك الأصوات، فلو كانت

الأصوات ولم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب، وكذلك سائر الحواس، ثم يرجع

هذا متكافئاً فلو كان بصر ولم تكن الألوان لما كان للبصر معنى، ولو كان سمع ولم

تكن أصوات لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضاً، فجعل لكل

حاسة محسوساً يعمل فيه ولكل محسوس حاسة تدركه.

ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا تتم الحواس

إلا بها -كمثل الضياء والهواء- فإنه لو لم يكن ضياء يُظهِر اللون للبصر لم يكن

البصر يدرك اللون، ولو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك

الصوت فهل يخفى على من صحّ نظره وأعمل فكره أن مثل هذا الذي وصفت من

تهيئة الحواس والمحسوسات بعضها يلقي بعضاً وتهيئة أشياء أخرى بها تتم الحواس لا يكون إلا بعمل وتقدير عن لطيف خبير.»

## الأساس الثالث: تقسيم الموجودات الحسية بحسب إدراك العقل البشري

تنقسم الموجودات التي يمكن أن يدركها العقل البشري في الوجود بحواسه الخمس إلى قسمين:

(الأول) ما هو خارج عن نطاق قدرة العقل البشري وإمكانياته.

(الثاني) ما يدخل في نطاق قدرة العقل البشري ويدركه عن طريق الحواس الأوليّة الخمس المتقدمة إما بوجوده المادي المحسوس أو بآثاره الدالة عليه.

## معرفة الإنسان بالخالق

مسألة ١١٩: الخالق هو الله تبارك وتعالى الخالق لكل ما في الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال، واحد أحد ليس كمثله شيء قديم لم يزل ولا يزال هو الأول والآخر عليم حكيم عادل حيّ قادر غني سميع بصير لا يوصف بما توصف به المخلوقات، ليس بجسم ولا صورة ولا يحده مكان ولا يعرض عليه زمان، لا يشار إليه في جهةٍ دون أخرى ولا ندّ له ولا عدل ولا شبه له ولا مثل، ليست له زوجة ولا ولد ولا شريك ولا سند، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وهو القاهر فوق عباده إليه الأمر كلّ أوله ومبدأه ومنتهاه إذا أراد شيئاً إنّما يقول له كن فيكون.

مسألة ١٢٠: توصل الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى منذ أبعـد الأزمان وعبده وأخلص له وأحسن بارتباط عميق به بفطرته التي فطره الله عليها.

ويعبر هذا الإيمان عن نزعة أصيلة في الإنسان إلى التعلّق بخالقه ووجدانٍ راسخ يدرك بفطرته علاقة الإنسان بربه وعالم الكون الذي يعيش في كنفه.

## توحيد الله

مسألة ١٢١: هو أن لا تجوز على ربك ما جاز عليك؛ أي أن لا تتوهمه، وأنه واحد في الإلهية، فرد في الأزلية، واحد ليس له في الأشياء شبه، أحدي المعنى لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم ولا فهم، هو الله تبارك وتعالى الذات الواجبة الوجود المستجمعة لجميع صفات الكمال، واحد أحد ليس كمثلته شيء، قديم لم يزل ولا يزال هو الأول والآخر.

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>١</sup>، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>٢</sup>، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾<sup>٣</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة وإخلاصه أن تحجزه لا إله إلا الله عمّا حرّم الله عز وجل».

ومعنى الإخلاص الالتزام التام بأوامره وما شرّعه للعباد والانقطاع عن متابعة غيره فيما يستوجب غضبه وسخطه وعقوبته.

وروي عن معاذ بن جبل قال: كنت رديف النبي ﷺ فقال: «يا معاذ هل تدري ما حق الله عز وجل على العباد؟ يقولها ثلاثاً».

قال: قلت: الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ: حق الله عز وجل على العباد أن لا يشركوا به شيئاً.

ثم قال ﷺ: هل تدري ما حق العباد على الله عز وجل إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أن لا يعذبهم، أو قال: أن لا يدخلهم النار».

(١) سورة التوحيد: ١-٤.

(٢) سورة المؤمنین: ٩١.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٢.

ونفي التعذيب عنهم يوم القيامة إنما هو خاص بالمؤمنين الذين أخلصوا لله الطاعة والعبودية فالتموا أوامره واجتنبوا نواهيه وعبدوه حق عبادته فضمن الله تعالى لهم النجاة وكافأهم بحسن العاقبة والمصير وحباهم بالسرور والفوز المقيم في جنات النعيم.

## عقوبة الشرك بالله تعالى

مسألة ١٢٢: قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾<sup>١</sup>، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾<sup>٢</sup>، ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>٣</sup>، ﴿مَنْ يُجَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْحَزْنُ الْعَظِيمُ﴾<sup>٤</sup>.

وعن رسول الله ﷺ قال: «الموجبتان من مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة ومن مات يشرك بالله دخل النار».

## الهداية التكوينية والهداية التشريعية

### الهداية التكوينية

مسألة ١٢٣: الهداية التكوينية هي عبارة عن امتلاك البصيرة وتحصيل العلم والمعرفة والقدرة على التمييز بين الصالح والطالح والجيد والردىء والسالم والسقيم والأعوج والمستقيم والمصلحة والنفع والمضرة والسوء والنهاية الحميدة وعاقبة السوء.

وتشير الآيات القرآنية الكريمة إلى وجود هذه المعايير القيمية والاعتبارات

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) سورة النساء: ١١٦.

(٣) سورة لقمان: ١٣.

(٤) سورة التوبة: ٦٣.

الذهنية في أعماق فكر كل انسان سليم العقل كمكونات لبناء الفكر القويم ولذا أصبحت معاييراً لتشخيص الصحيح من الخطأ والحسن من السيء فلا تجد بين انسان وآخر اختلافاً على حسن العدل وعلى قبح الظلم كما في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا \* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا \* وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾<sup>١</sup>.

وعن حمزة بن محمد أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>٢</sup> قال: «نجد الخير والشر».

ويمكن التعبير عن مجموع هذه المقومات المعرفية البديهية بالهداية الفطرية التي خلقت كجزء لا يتجزأ مع عقل الانسان وتميّز بها عن الحيوان وسائر الكائنات الأخرى.

## الهداية التشريعية

مسألة ١٢٤: قد حبا الله عز وجل البشرية حرية الاختيار بين الطاعة والمعصية والصلاح والفساد والاستقامة والانحراف وحرية إبداء النظر والقبول والرفض ويجازى على اختياره الحسن ويعاقب على اختياره السيء، وقد جاء دور الأنبياء والرسل مقتصرين على البيان والتبيين وإراءة طريق الهداية والنهي عن سلوك سبل الضلال والغواية.

روي حمزة بن الطيار عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال له: «اكتب فأملى عليه ما يلي: إن من قولنا إن الله عزوجل يحتج على العباد بما آتاهم وما عرفهم ثم أرسل إليهم رسولاً وأنزل عليه الكتاب فأمر فيه ونهى أمر فيه بالصلاة والصوم فأنام رسول الله ﷺ عن الصلاة فقال: أنا أنيمك وأنا أوقظك فإذهب فصل ليعلّموا إذا أصابهم ذلك كيف يصنعون ليس كما يقولون إذا نام عنها هلك، وكذلك الصيام أنا أمرضك وأنا

(١) سورة الشمس: ٧-١٠.

(٢) سورة البلد: ١٠.

أصححك فإذا شفيتك فاقضه ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك إذا نظرت إلى جميع الأشياء لم تجد أحداً في ضيق ولم تجد أحداً إلا ولله عليه الحجة وله فيه المشيئة ولا أقول إنهم ما شاءوا صنعوا.

ثم قال: إن الله يهدي ويضل وقال: وما أمروا إلا بدون سعتهم وكل شيء أمر الناس به فهم يسعون له وكل شيء لا يسعون له فهو موضوع عنهم ولكن أكثر الناس لا خير فيهم ثم قال: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾<sup>١</sup> فوضع عنهم ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>٢</sup> وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ<sup>٣</sup> الآية فوضع عنهم لأنهم لا يجدون».

## وجود الله فوق الجدل والشبهات

مسألة ١٢٥: قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>٣</sup>.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله الذين اتخذوا دينهم شحاً يعني الذين يكون دينهم الجدل في أصوله وفروعه ليدحضوا الحق بالباطل».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم وجدال كل مفتون فإن كل مفتون ملقن حجته إلى انقضاء مدته فإذا انقضت مدته أحرقتة فتنته بالنار».

وروي: «شغلته خطيئته فأحرقتة».

وقال الإمام الحسين عليه السلام في دعائه المعروف بيوم عرفة: «كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟! متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك عليها رقيباً وخسرت صفقة عبد لم تجعل

(١) سورة التوبة: ٩١.

(٢) سورة التوبة: ٩١-٩٢.

(٣) سورة إبراهيم: ١٠.

له من حبّك نصيباً».

ولقد كان من حسنات القرن العشرين أنه قضى على المنهج الفكري المادي القائل بأنه لا وجود للأشياء التي لا تخضع للمشاهدة الحسية المباشرة وقد تمكن من استخدام آلات الرصد الفلكية الدقيقة التي توصل بمعاونتها إلى مشاهدة السيارات والكواكب البعيدة واستخدام المجاهر التقنية لملاحظة أصغر الأجسام وأدقها وألطفها وحركة مكونات الذرة من البروتونات والإلكترونات والنيوترونات وكلها تورث القطع واليقين بأن هناك خالق مبدع حكيم خلقها وأوجدها وفق نظام دقيق وعجيب ولا شك أن ذلك يزيد من إيمان الإنسان بعظيم بديع تدبير الخالق لهذا الكون.

نعم قد تقلصت دائرة التجربة في التعامل مع الحقائق الكونية الأبدية واتسعت دائرة التأمل وأثبت العلم الحديث أنه لا بد من الإيمان بالغيب أي الإيمان بحقائق الكون بمشاهدة ظواهره والقطع بوجود خالق قادر مدبر حكيم مبدع لهذا الوجود. ونسوق إليك بعض الأدلة التي تدخل ضمن دائرة ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر فنقول:

١- العقل: وهو مركز القوى الفاعلة في تدبير وجود الإنسان وهو قوة فاعلة غير مرئية ويمثل مركز الإدراك والتصوّر والشعور وكل ما يرتبط بمعارفه وعلمه وثقافته ومشاعره وإرادته وردود أفعاله وتصرفاته فإن آثاره مقطوع بها بل هي قوام حياته وإن لم يمكن مشاهدته.

٢- القوة الجاذبية بين الكواكب والأجرام الفلكية وظاهرتي المدّ والجزر والقوة الجاذبية في مركز الأرض التي نعيش عليها.

٣- قوة الجذب والطرْد في المغناطيس واتجاه أحد طرفيه لجهة الشمال الجغرافي دائماً.

٤- الموجات الكهرومغناطيسية والتي هي عماد الاتصالات اللاسلكية بين مختلف دول العالم وعمل محطات الراديو والتلفزيون وعمل الرادارات الحربية والمدنية على السواء.

- ٥- الطاقة الكهربائية.
- ٦- الأشعة غير المرئية.
- ٧- موجات البلوتوث والواي فاي ونحوها.
- ٨- الأصوات غير المسموعة.
- ٩- الأرواح.

## معرفة الذات الإلهية

مسألة ١٢٦: اعلم أنّ معرفة الذات الإلهية ممتنعة ذاتاً لأنها فوق التصور والإدراك البشري لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾<sup>١</sup>، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَمَنْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>٢</sup>، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾<sup>٣</sup>، وإنّما يعرف بصفاته التي هي جهات كمالاته لأنّها في الحقيقة عين ذاته.

روي عن ابن عباس أنه قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله علمني من غرائب العلم.

قال ﷺ: ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه، قال الرجل: ما رأس العلم يا رسول الله، قال ﷺ: معرفة الله حق معرفته، قال الأعرابي: وما معرفة الله حق معرفته؟

قال ﷺ: تعرفه بلا مثل ولا شبه ولا ند وأنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر لا كفو له ولا نظير فذلك حق معرفته».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «لم يزل الله جلّ وعزّ ربّنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور».

وأما الاختلاف الذي يلاحظ بين الذات والصفات وبين الصفات نفسها فتنحصر

(١) سورة الشورى: ١١.

(٢) سورة التوحيد: ١-٤.

(٣) سورة الصافات: ١٨٠.

في المفهوم لا غير، وفي الحقيقة ليس هناك سوى مبدأ واحد غير قابل للانقسام. وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال: «إن للناس في التوحيد ثلاث مراتب: اثبات بتشبيهه ومذهب النفي ومذهب اثبات بلا تشبيهه فمذهب الإثبات بتشبيهه لا يجوز ومذهب النفي لا يجوز، والطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيهه».

## نطاق معرفة الذات الإلهية

مسألة ١٢٧: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض خطبه: «الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانياً وفي أزليته متعظماً بالإلهية متكبراً بكبريائه وجبروته ابتداءً ما ابتدع وأنشأ ما خلق، على غير مثال كان سبق بشيء مما خلق، ربنا القديم بلطف ربوبيته وبعلم خبره فتق، وبإحكام قدرته خلق جميع ما خلق، وبنور الإصباح فلق، فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصنعه ولا معقب لحكمه ولا راد لأمره ولا مستراح عن دعوته ولا زوال لملكه ولا انقطاع لمدته، وهو الكينون أولاً والديموم أبداً المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح والعز الشامخ والملك الباذخ فوق كل شيء علا ومن كل شيء دنا فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى وهو بالمنظر الأعلى فأحب الاختصاص بالتوحيد إذ احتجب بنوره وسما في علوه واستتر عن خلقه وبعث إليهم الرسل لتكون له الحجة البالغة على خلقه ويكون رسله إليهم شهداء عليهم وابتعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا ويوحدهه بالإلهية بعد ما عضدوا... الخ».

وقال الإمام علي عليه السلام:

١- «لم يُطَّلَع الله سبحانه العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب

معرفته».

٢- «لا تدرك الله جلّ جلاله العيون بمشاهدة الأعيان، لكن تدركه القلوب

بحقائق الإيمان».

٣- «غوص الفطن لا يُدرکه وُبعد الهمم لا یبلُغهُ».

٤- «قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مباين».

٥- «ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج».

٦- «لم یحلل الله سبحانه في الأشياء فيكون فيها كائناً ولم ينأى عنها فيقال

هو عنها بائن».

وخالصة القول هنا أن معرفة كنه ذاته وكنه صفاته لا يحيط بها كما هي إلا هو عزّت ألوّه وتعالى كبرياؤه.

## حرمة تجسّم معرفة كنه ذات الله عزوجل

مسألة ١٢٨: روي أن رجلاً قال لأمير المؤمنين عليه السلام: «هل تصف ربّنا نزد له حباً وبه معرفة؟ فغضب وخطب الناس فقال فيما قال: يا عبد الله فما دلّك عليه القرآن من صفته وتقدّمك فيه الرسول من معرفته فأتمّ به واستضيء بنور هدايته، فإنّما هي نعمة وحكمة أوتيها فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلّفك الشيطان عليه مما ليس في الكتاب فرضه ولا في سنّة الرسول وأئمة الهداة أثره فكُل علمه إلى الله، ولا تُقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين.

واعلم يا عبد الله أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاقتحام على السدد المضروبة دون الغيوب إقراراً بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب، فقالوا أماناً به كلُّ من عند ربّنا، وقد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسعى تركهم التعمّق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً».

وروي أيضاً عنه عليه السلام أنه قال:

١- «من تفكّر في ذات الله أَلحد».

٢- «من تفكّر في ذات الله تزندق».

## أشكال القوى الإلهية الفاعلة في الكون

مسألة ١٢٩: قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة: بمشيئة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وكتاب وأجل فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر».

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «لا يكون شيء في السموات والأرض إلا بسبعة: بقضاء وقدر ومشئة وكتاب وأجل وإذن فمن قال غير هذا فقد كذب على الله أو ردّ على الله عزّ وجلّ».

## تسلسل مراحل الفعل الإلهي في التدبير

مسألة ١٣٠: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله إذا أراد شيئاً قدره فإذا قدره قضاه فإذا قضاه أمضاه».

وعن يونس عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «قلت له: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقضى؟ فقال: لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتداء الفعل<sup>١</sup>. قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه. قلت: فما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه قلت: فما معنى قضى؟ قال: إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مردّ له».

## جميع أفعال الله عزّ وجلّ معللة وحكيمة

مسألة ١٣١: قال تبارك وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾<sup>٣</sup>، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَؤُتٍ﴾<sup>٤</sup>.

(١) ابتداء الفعل أي أول الكتابة في اللوح أو أول ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه مما يؤدي إلى وجود المعلول.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٣) سورة الدخان: ٣٨.

(٤) سورة الملك: ٣.

فإنه تعالت آلاؤه لم يصدر منه إيجاد أو اعدام إلا لغرض وغاية حكيمة اقتضتها حكمته وهي إما تكون متعقلة لنا ويمكن أن ندرك الحكمة فيها ومنها بعقولنا القاصرة أو خفية عنا لقصورنا عن إدراكها أو امتناعها ذاتاً عن أفهامنا وحدود إدراك عقولنا.

## كراهة النظر في غوامض قدرته وأسرار تدبيره

مسألة ١٣٢: قال الإمام علي عليه السلام: «إن القدر سرّ الله، وحرز من حرز الله مرفوع في حجاب الله مطوي عن خلق الله، مختوم بخاتم سابق في علم الله وضع الله عن العباد علمه ورفع فوق شهاداتهم ومبلغ عقولهم».

وسئل عليه السلام عن القدر فقال: «طريق مُظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسرّ الله سبحانه فلا تتكفوه».

فليس لك التفكّر في شبه القضاء والقدر والخوض فيها، فإن الأئمة (صلوات الله عليهم) قد نهونا عن التفكّر فيها، فإنّ فيها شهماً قوية يعجز عقول أكثر الناس عن حلّها، وقد ضلّ فيها كثير من العلماء، فإياك والتفكّر والتعمق فيها فإنّه لا يفيدك شيئاً ولا يزيدك إلا ضلالاً وجهاً.

## معرفة أسمائه تبارك وتعالى

مسألة ١٣٣: روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن لله تبارك وتعالى أربعة آلاف اسم، ألف لا يعلمها إلا الله، وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة والنبیون، وأمّا الألف الرابع فالمؤمنون يعلمونها ثلاثمائة منها في التوراة، وثلاثمائة في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور ومائة في القرآن تسعة وتسعون ظاهرة، وواحد منها مكتوم من أحصاها دخل الجنة».

وقال عليه السلام في سرد تلك الأسماء الظاهرة في القرآن: «إن لله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهي الله، الإله، الواحد، الأحد،

الصمد، الأوّل، الآخر، السميع، البصير، القدير، القاهر، العلي، الأعلى، الباقي،  
 البديع، الباري، الأكرم، الظاهر، الباطن الحيّ، الحكيم، العليم، الحليم، الحفيظ،  
 الحق، الحسيب، الحميد، الخفيّ، الرب، الرحمن، الرحيم، الذاري، الرازق، الرقيب،  
 الرؤوف، الرائي، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، السيد، السبوح،  
 الشهيد، الصادق، الصانع، الطاهر، العدل، العفو، الغفور، الغني، الغياث،  
 الفاطر، الفرد، الفتّاح، الفالق، القديم، الملك، القدوس، القوي، القريب، القيوم،  
 القابض، الباسط، قاضي الحاجات، المجيد، المولى، المنان، المحيط، المبين، المقيت،  
 المصوّر، الكريم، الكبير، الكافي، كاشف الضر، الوتر، النور، الوهاب، الناصر،  
 الواسع، الودود، الهادي، الوفي، الوكيل، الوارث، البر، الباعث، التواب، الجليل،  
 الجواد، الخبير، الخالق، خير الناصرين، الديّان، الشكور، العظيم، اللطيف،  
 الشافي».

وفي رواية: «من دعا الله بها استجاب له ومن أحصاها دخل الجنة». ومعنى إحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها التي تشير إلى عزّ جلال الله وتعالیه وجهات سعة قدرته وعظمته ونفوذ سلطته وليس معنى الإحصاء عدها.

## الصفات الإلهية

مسألة ١٢٤: لا يمكن معرفة صفات الذات الإلهية الجلالية والكمالية والجمالية بالنحو الصحيح إلا من خلال محورين:  
المحور الأول: في إثبات ما هو ثابت للذات الإلهية ولا يتوصل إلى ذلك إلا عن طريقين:

١- إثبات كل ما يقتضي وجود الكمال المطلق من الصفات فلا يمكن تصوّر تخلفها عن ذاته تعالى بحال من الأحوال وتسمى جملة هذه الصفات بالصفات الثبوتية.

٢- نفي كلّ ما يستلزم عدم الكمال المطلق من نقص وعجز وبعبارة أخرى نفي الصفات الممتنعة ذاته عن الاتصاف بها وتنزيهه فلا يصح بحال من الأحوال نسبتها إليه تعالى وتسمى هذه الصفات بالصفات السلبية.  
ويُسمّى هذا المحور بقسميه بصفات الذات.

المحور الثاني: إثبات ما يتجدد للذات الإلهية من الاتصاف بصفات مختلفة بحسب مقتضيات الحكمة الإلهية في الخلق والتكوين والإبداع ويسمى هذا المحور من الصفات بصفات الأفعال وبيانها فيما يلي:

### المحور الأول: في صفات الذات

المعنى في قولنا صفات الذات أن الذات مستحقة لمعناها استحقاقاً لازماً لا معنى سواها أي لم يزل مستحقاً لهذه الصفات ولا يزال.

### الصفات الثبوتية (صفات الجمال والكمال)

مسألة ١٢٥: يعنى بالصفات الثبوتية الصفات الوجودية التي يستحيل انفكاك الذات الإلهية المقدسة عنها وخلوها منها:

الأولى (الوحدانية): قال عزّ من قائل: ﴿وَاهِكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾<sup>١</sup>، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾<sup>٢</sup>، ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾<sup>٣</sup>.

الثانية (العدل): قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾<sup>٥</sup>.

الثالثة (الحياة): فلا يتعرض للموت والفناء قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾<sup>٦</sup>.

الرابعة (القدم): فلم يسبق العدم على وجوده أو يطرأ عليه قال تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>٧</sup>.

الخامسة (العلم): أي عالم بكل ما يكون قبل كونه، وأنه لا حادث إلا وقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن أن يكون معلوماً إلا وهو عالم بحقيقته، وأنه سبحانه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>٨</sup>، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾<sup>٩</sup>.

السادسة (الإدراك): ويعنى بها علمه بالمسموعات والمبصرات أزلاً وأبداً لا بألة

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

(٢) سورة المؤمنون: ٩١.

(٣) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٤) سورة يونس: ٤٤.

(٥) سورة النحل: ٩٠.

(٦) سورة الفرقان: ٥٨.

(٧) سورة الحديد: ٣.

(٨) سورة فاطر: ٣٨.

(٩) سورة الجن: ٢٦.

ولا حاسة بذاته ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>١</sup>.

**السابعة (المشيئة):** وهي قائمة مقام العلية والسببية في تدبير الكون بأجمعه بدءاً من ذراته وانتهاءً بمجراته وأفلاكه وعوالمه وتنظيمه وإظهار آثار الوجود والعدم فيه بكلمة (كن) التكوينية قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾<sup>٢</sup>.

وقال رسول الله ﷺ في الحديث القدسي: «إن الله تبارك وتعالى يقول: يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبارادتي كنت أنت الذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي وبِعصمتي وعونني وعافيتي أديت إليّ فرائضي فأنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني فالخير مني إليك بما أوليت بداء والشر مني إليك بما جنيت جزاء، وبإحساني إليك قويت على طاعتي وبسوء ظنك بي قنطت من رحمتي فلي الحمد والحجة عليك بالبيان ولي السبيل عليك بالعصيان، ولك جزاء الخير عندي بالإحسان، لم أدع تحذيرك ولم آخذك عند عزتك، ولم أكلفك فوق طاقتك، ولم أحملك من الأمانة إلا ما أقررت به على نفسك رضيت لنفسك منك ما رضيت لنفسك مني».

وعنه ﷺ قال: «إن الله عز وجل عند لسان كل قائل ويد كل باسط فهذا القائل لا يستطيع أن يقول إلا ما شاء الله وهذا الباسط لا يستطيع أن يبسط يده إلا بما شاء الله».

**الثامنة (الإرادة):** وهي عبارة عن علمه تعالى بما في الفعل من المصلحة ثم إيجاده في زمان تكون المصلحة في إيجاده لأنه لا يريد إلا ما حسن من الأفعال والأصلح ولا يريد القبائح قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾<sup>٣</sup>، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ

(١) سورة غافر: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: ٤٧.

(٣) سورة المؤمن: ٣١.

الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ<sup>١</sup>، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ<sup>٢</sup>﴾.

وقال رسول الله ﷺ: «سبق العلم وجف القلم ومضى القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل وبالسعادة من الله عز وجل لمن آمن واتقى وبالشقاء لمن كذب وكفر وبولاية الله المؤمنين وبرائه من المشركين».

**التاسعة (القدرة):** ومعناها إن الله عز وجل إن شاء فعل وإن شاء ترك، وقدرته شأنها كشأن سائر صفاته عين ذاته وسعة دائرتها شاملة لجميع ما في الوجود من الممكنات والمقدورات نافذة في كافة جزئياتها على السواء الصغير الحقيق منها أو الجسيم العظيم فيها.

والقدرة فينا بصفة زائدة حادثة وآلات وأدوات فتتفي عنه تلك الأمور، فتقول قادر بذاته بلا صفة زائدة ولا كيفية حادثة وبلا آلة لذاته البسيطة كافية في ايجاد كل شيء قال الإمام علي عليه السلام: «عجبت لمن يشك في قدرة الله وهو يرى صنعه».

**العاشرة (التكلم):** وكلامه عز وجل هو عبارة عن ايجاده الأصوات والحروف المركبة تركيباً مفهماً في أي شيء أراد من الأجسام أو ايجاده النقوش والدوال المعنوية الخاصة في أي شيء أراد، أو إلقاء الكلام بجملته في روع ونفس مَلَكٍ أو نبيٍّ أو غير ذلك قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا<sup>٣</sup>﴾، ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ<sup>٤</sup>﴾.

**الحادية عشرة (الصدق):** وهو خلاف الكذب وهو الإخبار المطابق للواقع ويمتنع عليه الكذب لأنه أمر قبيح وهو منزّه عن كل قبيح وعن كل نقص، وكذلك هو صادق في كل ما يخبر عنه مما مضى وما هو آتٍ وماورد عنه من الوعد والوعيد للمطيعين والعاصين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا<sup>٥</sup>﴾.

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة النساء: ٢٦.

(٣) سورة النساء: ١٦٤.

(٤) سورة الأعراف: ١٤٣.

(٥) سورة النساء: ٨٧.

## الصفات السلبيةّ (صفات الجلال)

مسألة ١٣٦: الصفات السلبية هي صفات عدميّة ووصفها بالجلاليّة لأن الذات الإلهيّة المقدسة تجلّ وتتنزه عن الاتصاف بها:

الصفة الأولى (نفي التركيب): يعني نفي أن يكون مركباً من أجزاء تفتقر إلى بعضها البعض كالروح والنفس والعقل كما هو الحال في الإنسان.

الصفة الثانية (نفي التجسيم): وتوابعه من الطول والعمق والعرض ويلحق بهذا النفي عدّة أمور:

١- نفي التشبيه: وهو الاعتقاد بأن لله تعالى صورة تشبه الإنسان أو أحد مخلوقاته.

٢- نفي التحيز: وهو الكون في مكان دون آخر أو جهة دون أخرى.

٣- نفي الحلول: وهو عبارة عن قيامه تعالى بموجود آخر وحلوله فيه على سبيل التبعية كالصلة الموجودة بين الروح والجسم.

٤- نفي الإتحاد: ومعناه نفي أن يتحد وليّ من أولياء الله نبيّاً كان أو إماماً أو وصيّاً أو غيرهم بالله تعالى فيكونان شيئاً واحداً.

٥- نفي عروض الألم المنافي للميل والطبع وكذا اللذة الموافقة للمزاج عليه لأنهما من مقتضيات الجسميّة ولوازمها وذلك لانتفاء عروض المزاج عليه ومتطلباته.

٦- نفي التغيّر والتلبّس بحال معين والكون عليه في الآن اللاحق على خلاف ما كان عليه في الآن السابق، أو طرو الاختلاف في ماهيّة الذات بمضي الزمن بحيث يعتريها ما هو من قبيل الهرم والشيخوخة ونحوهما وذلك لامتناع انفعاله وتأثره من غيره وامتناع النقص والتبدّل عليه.

الصفة الثالثة (نفي وقوع الرؤية البصرية عليه): لافي الدنيا ولا في الآخرة وذلك لما علم سابقاً من تجرّده عن المادة والجسميّات والجهة والحيز والعوارض وغيرها قال

تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>١</sup>.

### الصفة الرابعة (نفي الشريك والصاحبة والولد):

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَمَ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾<sup>١</sup>، ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾<sup>٢</sup>.

أما علة انتفاء الشريك فقد مرّ الكلام عليها في (التوحيد) أما امتناع نسبة الولد إليه لأن الولد يجانس الوالد وهو لا يجانسه شيء، ولأنّه تعالى لا يفتقر إلى ما يعينه أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه، وأما الصاحبة فيفتقر إليها من يحصل له الالتذاذ بإشباع الغريزة الجنسية وهو جلّ جلاله لا يلتذ لأن اللذة من لواحق الجسميّة وهو ليس بجسم وقد مضى الإشارة إلى ذلك.

### المحور الثاني: في صفات الأفعال

مسألة ١٣٧: كلّ ما تقدّم الحديث عنه إنما كان عن صفات الذات بأقسامها المومأ إليها أما صفات الأفعال وهي الشق الآخر من صفات الذات الإلهية فمعناها أنّها تجب بوجود الفعل ولا تجب قبل وجوده، ووصفنا له تعالى بصفات الأفعال كقولنا خالق رازق محيي مميت مبدئ معيد ألا ترى أنّه قبل خلقه الخلق لا يصح وصفه بأنّه خالق وقبل إحيائه الأموات لا يقال أنه محيي وكذلك القول فيما عدّناه ولا نحتاج للحديث عنها زائداً على ذلك لجلالها وعدم الغموض فيها.

والفرق بين صفات الأفعال وصفات الذات أن صفات الذات لا يصح لصاحبها الوصف بأضدادها ولا خلوه منها ألا ترى انه لا يصح وصف الله تعالى بأنّه يموت ويعجز، ويجهل وبالخروج عن كونه حيّاً عالماً قادراً كما تقدم تفصيله، وأما أوصاف الأفعال فيصح الوصف لمستحقها بأضدادها وخروجه عنها، كوصفه - جلّ وعزّ - بأنّه يرزق اناساً معينين ويمنع آخرين غيرهم ويحيي ويميت ويبعث ويعيد ويؤجّد ويُعْدم في زمان دون آخر وفي مكان دون آخر.

(١) سورة التوحيد: ٤-١.

(٢) سورة الأنعام: ١٠١.

## العدل الإلهي

**مسألة ١٣٨:** معنى العدل في اللغة وضع الشيء في موضعه، أو القيام بكل فعل على وجه حسن، ويسمى من يتصف بصفة العدل عادلاً، وهو من يضع جميع الأمور في مواضعها المناسبة بحيث تصدر جميع أفعاله موصوفة بأنها حسنة في قبال القبيحة، بحيث لا يلام أنه فعل الفعل الفلاني أو انه لم يفعله.

ويجب أن يكون اعتقاد المسلم في عدله جلّ شأنه أن لا ينسب إلى خالقه ما لاهم عليه؛ أي لا يتهمه، فإنه عدل لا يجور، وجواد لا يبخل، بدأ خلقه بالإحسان وعرضهم بما أكمل من عقولهم لعظيم النفع بالثواب الذي يجب بالعبادة له تعالى، والطاعات المقربة لنيل زيادة فيوض كرمه وأنعامه، ويسرّ عليهم ذلك بالقدرة عليه والهداية إليه بالإرشاد والبيان، وأنه رحيم بهم، محسن إليهم لا يمنعهم صلاحاً، ولا يفعل بهم فساداً، غني لا يحتاج وكلّ العباد محتاجون إليه، يجزي بالأعمال الصالحات، ولا يضيع عنده شيء من الحسنات، ويعفو عن كثير من السيئات، لا يظلم مثقال ذرة، وإن قلت حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً.

قال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>١</sup>، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾<sup>٢</sup>، ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾<sup>٣</sup> أي مقيماً للعدل في أمور خلقه.

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «العدل يضع الأمور مواضعها، وقال: والعدل أن لا تتهمه».

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أما التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك، وأما العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه».

(١) سورة النساء: ٤٠.

(٢) سورة يونس: ٤٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٨.

وهذا المعنى يشمل جميع الجوانب التالية:

## العدل في الجانب التكويني

مسألة ١٢٩: العدل في خلق الكائنات في الوجود هو أن الله جلّ شأنه أفاض على كل موجود ما يستحقه من الإبداع في الإيجاد والتكوين والهيئة والمظهر على أفضل ما يتصور وما ينبغي أن يكون عليه، قال تعالى: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾<sup>١</sup>، ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>٢</sup>.

## العدل في الجانب التشريعي

مسألة ١٤٠: العدل في سن الشرائع أن الله سبحانه وتعالى شرع الأحكام وحث على الأعمال التي فيها كمال الإنسان ورفقيه ورفعته شأنه بالفرض تارة وبالترغيب أخرى من باب اللطف به، وينهاه عن التصرفات المشينة والأفعال التي تؤدي به إلى عاقبة سيئة في الدنيا أو في الآخرة يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>٣</sup>.

كما أن الله تعالى بواسع حكمته تجده قد سن التكاليف التي تتناسب وتتلاءم مع قدرة الإنسان وطاقته فلا يكلفه ما لا يحتمل وما لا يطيق، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾<sup>٤</sup>.

## العدل في الجانب الجزائي

مسألة ١٤١: وهو أن الله تعالى لا يساوي بين المؤمن المطيع والكافر المتمرد العاصي أو بين الصالح المستقيم والفاقد السقيم من حيث المثوبة والعقوبة، بل يجازي كل

(١) سورة طه: ٥٠.

(٢) سورة البقرة: ١١٧.

(٣) سورة النحل: ٩٠.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٦.

واحد منهما بما يستحق وبحسب ما صدر منه من أفعال واقترفه من سيئات ومعاصي فيثيب المحسن المطيع ويعاقب المسيء العاصي، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ \* إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ \* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ \* عَنِ الْمُجْرِمِينَ \* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ \* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾<sup>٣</sup>.

وعلى هذا الأساس لا يعاقب الله عبداً إلا بعد أن يبين له تكاليفه ويلقي الحجة عليه بإرسال الرسل والأنبياء والأئمة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾<sup>٤</sup>.

(١) سورة الزخرف: ٧٢.

(٢) سورة المدثر: ٣٨-٤٥.

(٣) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٤) سورة الإسراء: ١٥.



# القسم الثالث

في فقه الإنسان



مسألة ١٤٢: الإنسان هو الكائن المتميز على سائر الكائنات الحية المستخلف على سيادة العالم الدنيوي في هذه الحياة وفق مخطط الحكمة الإلهية، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>١</sup>.

وهو أشرف المخلوقات والكائنات في هذه الدنيا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>٢</sup>.

بل إن جميع ما في العالم الدنيوي من موجودات قد خلق لأجل خدمته يتقلب فيها كيف يشاء قال سبحانه وتعالى في معرض بيان ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾<sup>٣</sup>.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>٤</sup>.

﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ \* وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ \* وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ \* وَالْحَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ \* هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ

(١) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٢) سورة الإسراء: ٧٠.

(٣) سورة لقمان: ٢٠.

(٤) سورة إبراهيم: ٣٢-٣٤.

السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ \* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ  
وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَسَخَّرَ لَكُمْ  
اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ \* وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ \* وَهُوَ  
الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ حَمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ  
مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ \* وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ  
بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ \* وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ \* أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ  
لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ \* وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ<sup>١</sup>.

وكل ما جاء في الشرائع السماوية عموماً والرسالة المحمدية الخاتمة خصوصاً  
إنما هو لتنظيم وجوه ذلك الانتفاع وجهاته ومقاديره بما يحول دون بلوغ مرحلة  
التعدي والفساد والإفساد ولامتحان مدى التزام الإنسان بذلك كما يشير إليه الإمام  
الحسن عليه السلام في قوله: «واعلم أنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وفي  
الشميات عتاب».

## الغاية من خلق الإنسان

مسألة ١٤٣: قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>٢</sup>.

فخلق الإنسان كان لعدة غايات حكيمة كما نقف عليها جليّة من خلال عرض ما

يلي:

١- عامل معرفة عظمة الخالق: كما وردت الإشارة إليه في الحديث القدسي: «لقد

كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق لكي أعرف» وقد اكتشف الإنسان حتى الآن ما يزيد

(١) سورة النحل: ٤-١٨.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.

على أكثر من ستة آلاف كائن حي ومخلوق بري وجوي وما يزيد على الواحد والعشرين ألف كائن بحري دون مالم يصل إليه في أعماق المحيطات ناهيك عن عجائب النباتات والأشجار البرية والبحرية وقد ساعد التطور الهائل في تكنولوجيا التصوير الرقمي والعدسات الفائقة الوضوح علماء الأحياء في رصد وتوثيق حياة هذه الأعداد والأنواع الهائلة من الكائنات والمخلوقات الحية والنباتية في صور وافلام تتوفر اليوم الكثير منها في شبكات الإنترنت وكلها تدل على عظمة بديع صنع الله واعجازه في خلقه وتدبيره.

٢- عامل العبادة: وهو ما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>١</sup>.

٣- عامل التكامل والسمو: أن تكون الغاية من خلقه إيجاد الكائن الذي له القدرة على بلوغ أقصى درجة الكمال النسبي واتصاله بالملا الأعلى ومعرفته للمعبود الحق وقدرته على أداء العبودية الكاملة له قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾<sup>٢</sup>.

٤- عامل البناء والإعمار: وقد أشار إليه تعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾<sup>٣</sup>، ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُوبِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾<sup>٥</sup>.

٥- عامل التعظيم والإجلال: وقد أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام فيما روي عنه حيث قال في حديث يصف فيه جلال الخالق وعظمته: «... كان إذ لم تكن أرض ولا

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) سورة الإسراء: ٧٠.

(٣) سورة الانشقاق: ٦.

(٤) سورة هود: ١٦.

(٥) سورة الأعراف: ٧٤.

سماء ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحب ولا مطر ولا رياح، ثم إنَّ الله تبارك وتعالى أحبَّ أن يخلق خلقاً يعظمون عظمتَه ويكبرون كبريائه ويجلّون جلاله... الخ».

٦- عامل النفع: أن تكون الغاية من خلقه اتاحة الفرصة له لينتفع بمنافع وخيرات الوجود الذي خلق فيه وخلقت له كما تقدمت الإشارة له، وهو أمر حسن راجح على كل حال.

٧- عامل الخلافة: وهو أهمها واليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾<sup>١</sup>، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>٢</sup>.

## ماهية الإنسان

مسألة ١٤٤: الأصل في الإنسان هو الروح وبحلولها في الجسد المادي عن طريق الولادة الطبيعية في عالم الدنيا يتوجّه إليه الثواب والعقاب والأمر والنهي والوعد والوعيد ويحتمل العلم والقدرة والحياة والإرادة والكراهة والبغض والحب ونحوها.

كما أشار إليه سبحانه في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ \* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾<sup>٣</sup> فأخبر عزّ وجلّ أن حقيقة الإنسان المتمثلة في الروح قد أودعها في عالم الدنيا وركبها في صورة مادية خاصة بها، وهو الجسم المشاهد فيه ذكراً أو أنثى بالصفات التي تميزه عن غيره ويعرف بها عن سائر الكائنات الحية الأخرى.

وعلى هذا المعنى جاءت الأخبار أيضاً كما ورد: «إن الروح إذا فارقت الجسد نُعمت وعُدِّبت».

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة فاطر: ٣٩.

(٣) سورة الانفطار: ٦-٨.

## القوى المودعة في الإنسان

مسألة ١٤٥: قال سبحانه وتعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾<sup>١</sup> بإمكانه أن يتسامى إلى أعلى درجات الكمال ويتفوق حتى على الملائكة كالأنبياء والرسل وبإمكانه أن ينحدر إلى أدنى درجات الانحطاط وينحو قد يفوق فيه حتى الهائم والحيوانات في بهيميتها وحيوانيتها وصفاتها الذميمة.

## مقومات الدوافع الإنسانية

مسألة ١٤٦: تنحصر مقومات الدوافع الإنسانية في هذه العناوين (الفطرة - العزم - المشيئة - الإرادة - القدرة - الاستطاعة - الشعور - الحس - الحواس - الأفعال) ولتوضيح كل واحدٍ منها نقول:

١- الفطرة: الفطرة هي ما يقتضيه الشيء لو خلي ونفسه وبدون مانع فإذا قيل: (الصدق فطري في البشر) معناه أن الإنسان لو خلي ونفسه فإن حالة الفطرية تقتضي أن يصدق كلامه، وهذه الفطرة قد تدوم فيه كما هو الغالب وقد تزول عنه بمانع أقوى ينحرف به عن تلك الفطرة فيتجرأ على الكذب.

وجاء في الحديث النبوي الشريف: «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه» ومعناه أن كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به كما في قوله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾<sup>٢</sup> وإن عدل بعضهم فصار يهودياً أو نصرانياً تبعاً لتأثره بتنشئة أبويه عليه.

ويلحق بالفطرة ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «سته أشياء ليس للعباد فيها صنع: المعرفة والجهل والرضا والغضب والنوم واليقظة».

وفي هذا الحديث إشارة إلى الثوابت التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الفطرة

(١) سورة النحل: ٤.

(٢) سورة الروم: ٣٠.

الإنسانية وجبلها عليها.

٢- العزم: هو تصميم القلب على الشيء والنفوذ فيه بقصد ثابت قال تعالى:

﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾<sup>١</sup> والهم يأتي على وجوه:

منها العزم على الفعل كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ

أَيْدِيَهُمْ﴾<sup>٢</sup> أي صمموا النية وعزموا عليه فيرادف العزم.

ومنها خطور الشيء في البال وإن لم يقع العزم عليه لقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ

طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُهُمَا﴾<sup>٣</sup> يعني أن الفشل خطر بالهم، ولو كان هنا

عزماً لما كان الله وليهما، لأن العزم على المعصية معصية ولا يجوز أن يكون الله ولي من

عزم على الفرار عن نصره به.

ومنها الشهوة وميل الطبع يقول القائل فيما يشتهي ويميل طبعه إليه هذا أهم

الأشياء إليّ، وفي ضده: ليس هذا من هي.

٣- المشيئة: تنقسم مشيئة الإنسان إلى قسمين: دنيوية وأخروية

فأما الدنيوية فمرهونة بالتقديرات الإلهية فليس كل ما يتمناه الإنسان

يدركه قد تتيسر وقد تتعسر قال الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ

غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا﴾<sup>٥</sup>.

وأما الأخروية فقد أفصحت جملة من الآيات الكريمة عن أن المشيئة الإنسانية

في الجنة تكون على خلاف ماهي عليه في الدنيا وأنّ الملمات والطيبات والنعيم في عالم

الآخرة تكون رهن إشارته وطوع إرادته جزاءً له على طاعته في الدنيا وأنها تكون دائماً

(١) سورة لقمان: ١٧.

(٢) سورة المائدة: ١١.

(٣) سورة آل عمران: ١٢٢.

(٤) سورة الكهف: ٢٤.

(٥) سورة الإنسان: ٣٠.

ميسرة ومتيسرة وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿هُم فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً﴾<sup>٢</sup>، ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>٣</sup>، ﴿هُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾<sup>٤</sup>.

٤- الإرادة: الإرادة فينا تتضمن أموراً: تصوراً لذلك الفعل الذي يريد الإقدام عليه وتصور منفعته وتصديقاً بحصولها وترتبها عليه مع ترددٍ وترددٍ غالباً حتى ينتهي إلى العزم فينبعث في النفس شوق يوجب تحريك العضلات والأدوات حتى يصدر ممّا ذلك الفعل.

وروى عن صفوان بن يحيى أنه سأل الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «أخبرني عن الإرادة من الله تعالى ومن الخلق؟ فأجابه بقوله: الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل وأمّا من الله عزّ وجلّ فإرادته إحداثه لا غير، ذلك لأنّه لا يُروى، ولا بهم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات الخلق فإرادة الله تعالى هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر ولا كيف كذلك كما أنه بلا كيف».

٥- القدرة: وهي عبارة عن سلامة الأعضاء وصحتها والقادر الذي يصح أن يفعل إذا انتفت عنه الموانع ولم يكن الفعل مستحيلًا في نفسه.

٦- الاستطاعة: الاستطاعة هو التمكن من الفعل بوجود جميع ما يحتاج إليه الفعل والفاعل إن كان مما يحتاج ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

١- الاستطاعة التي ينتجُز بها التكليف.

٢- الاستطاعة التي ينتجُز بها المؤاخذة والمجازاة.

(١) سورة النحل: ٣١.

(٢) سورة الفرقان: ١٦.

(٣) سورة الزمر: ٣٤.

(٤) سورة ق: ٣٥.

- ٧- الشعور: وهو إدراك ما دقّ للطف الحسن، مأخوذ من الشعر لدقته، ومنه الشاعر لأنه يفطن من اقامة الوزن وحسن النظر لما لا يفطن له غيره.
- ٨- الحسن: قال أهل اللغة: كل ما شعرت به فقد أحسسته ومعناه أدركته بحسك وهو أول مراحل العلم ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عَيْسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾<sup>١</sup> أي علمه في أول وهلة ولهذا لا يصح أن يقال أن الإنسان يحس بوجود نفسه.
- وفي القرآن: ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾<sup>٢</sup> وفيه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوَسُفَ وَأَخِيهِ﴾<sup>٣</sup> أي تعرفوا عليه بإحساسكم.
- ٩- الحواس: الحاسة هي ما تكون محلاً للإدراك والإحساس من قبيل الإدراك وعدة الحواس الموجودة فينا خمس: الباصرة والسماعة والذائقة والشمامة واللامسة.
- وآلاتها في الجسم العين والإذن والفم والأنف وبشرة البدن. ولا بد لها لكي تدرك الألوان والأضوية والأصوات ومذاقات الأطعمة والمأكولات والحرارة والبرودة والخشونة والنعومة أن تكون محلاً لاستشعار آثار وعوارض تلك المحسوسات بالملابسة والاتصال.
- والقلب ليس من الحواس لأن العلم الذي يختص به ليس بإدراك وإذا لم يكن العلم إدراكاً لم يكن محلّه حاسة.
- ١٠- الأفعال: اعتقادنا في أفعالنا أنّها تصدر عنّا باختيارنا ومحض إرادتنا.
- سئل الإمام علي الهادي عليه السلام عن أفعال العباد فقال: «لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها، وقد قال سبحانه: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾<sup>٤</sup> ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنّما تبرأ من شركهم وقبائحهم».

(١) سورة آل عمران: ٥٢.

(٢) سورة الأنبياء: ١٢.

(٣) سورة يوسف: ٨٧.

(٤) سورة التوبة: ٣.

## أفعالنا بين كفتي الجبر والتفويض

مسألة ١٤٧: إن الله عز وجل خلق الإنسان وحباه بالقوة والقدرة ومنحه الاختيار في ما يصدر عنه من أفعال فإن أحسن كافأه عليه وإن أساء عاقبه عليه فهو مختار في حدود ما صرح به إمامنا الصادق عليه السلام في حديثه المشهور «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين».

## مصاديق تدخل القدرة الإلهية في أفعال الإنسان

مسألة ١٤٨: ويمكن الإشارة إلى مصاديق تدخل القدرة الإلهية في أفعال الإنسان من خلال استعراض ثلاثة مصاديق جليّة منها مما لا يختلف في وجودها وبدهيّة تحققها أدنى من له شعور وفكر وصحة إدراك وهي:

١- **التدخل التكويني:** إن أفعال الإنسان غير الإرادية كنشأته ونموّه وعمل أجهزة جسمه المختلفة في مختلف مراحل تكوينه، ومراحل تطور وجوده من مني يمنى ثم جنيناً فرضيعاً فناشئاً فيافعاً فشاباً فكهاً فشيخاً إلى أن يموت وما بعد الموت كلها خاضعة لإرادة الله تعالى التكوينية وتعمل ضمن سنن الحياة والوجود التي تكون بأمره التكويني المباشر ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>١</sup> وكذلك الأمر بالنسبة إلى القوى والغرائز المودعة في جسمه ونظم ادارتها وتحريك أجهزتها العصبية والدموية والهضمية وغيرها.

٢- **التدخل التفضلي اللطفي:** إن الله عزّ وجلّ إذا أراد لمزيد تفضّله ولطفه وعطفه ورحمته بعبده خيراً لسلك طرق الهداية واجتناب مسالك الردى والغواية نصب له الأدلة والبراهين وكشف عن بصيرته ليرى الحقائق الناصعة والدلائل اللائحة فإذا اتبعها العبد وانساق وراءها لم يعد ذلك جبراً ولا إلقاءً وإنما عوناً ومساعدةً وتسديداً ولطفاً به.

٣- التدخل التشريعي: ونعني به أن أفعال الإنسان الإرادية على اختلاف صورها ومقاصدها وأنماطها داخله في دائرة ارادة الله تعالى التشريعية وأوامره ونواهيه من الوجوب والاستحباب والحرمة والكراهة والإباحة، وتوجّه الخطاب للإنسان بالامثال بأي واحدٍ منها لا يعني القسر وارتفاع حالة الاختيار لديه وإنما يعني أن الله تبارك وتعالى أراد وقوع الفعل الذي أمر به لمصلحة اقتضتها حكمة التكليف وأراد عدم وقوع الفعل المنهي عنه في حكمته سبحانه وتعالى، وأن ارادته تلك بمثابة اشعار وإخطار للإرادة الإنسانية التي هي العلة التامة في إيقاع الفعل وعدمه وذلك ليصح التكليف ويحسن الحساب وما يترتب عليه من ثواب وعقاب.

وفي مجمل ما ذكرناه يرد قول رسول الله ﷺ: «إن الله لا يُطاع جبراً ولا يعصى مغلوباً ولم يهمل العباد من المملكة ولكنه القادر على ما أقدرهم عليه والمالك لما ملّكهم إياه فإنّ العباد إن استمروا بطاعة الله لم يكن منها مانع ولأعنها صاد وإن عملوا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل وليس مَنْ إن شاء أن يحول بينك وبين شيء فعل، ولم يفعله فأتاه الذي فعله كان هو الذي أدخله فيه».

وقال ﷺ أيضاً: «من زعم أن الله تبارك وتعالى يأمر بالسوء والفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر بغير مشيئة الله فقد أخرج الله من سلطانه، ومن زعم أن المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله».

## العناصر التي يتركب منها الإنسان

مسألة ١٤٩: الإنسان كائن مركب من عدة عناصر (النفس - الروح - العقل - القلب - الغريزة - الطبع أو الطبيعة) وسنشير إلى ما نعتقده فيها إجمالاً بالنحو التالي:

١- النفس: وهي جوهر مجرد ليس بجسم ولا جسماني حال في الجسم وهي مدبرة لهذا البدن المادي ومزلتها في الإنسان كمنزلة الروح بل هي الخلق الأول الذي سبقها في النشأة الأولى وبها كان للإنسان التشخيص النوعي والتمايز التكويني لقول النبي الأكرم ﷺ: «أول ما أبدع الله سبحانه وتعالى هي النفوس المقدسة المطهرة فأنطقها

بتوحيده، ثم خلق بعد ذلك سائر خلقه».

واعتقادنا فيها أيضاً إنها خلقت للبقاء ولم تخلق للفناء لقوله ﷺ: «ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وإنما تنقلون من دار إلى دار».

٢- الروح: وتسمى النفس الناطقة والجوهر المجرد وهي المستعدة للبيان وفهم الخطاب وهي محل الثواب والعقاب.

٣- العقل: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق العقل من نور مخزون مكنون... فقال الرب: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك ولا أطوع لي منك ولا أرفع منك، ولا أشرف منك ولا أعز منك، بك أوحد وبك أعبد وبك أدعى وبك أرتجى وبك أبتغى وبك أخاف وبك أحذر وبك الثواب وبك العقاب».

فالعقل قوة في القلب تقتضي التمييز وقيل هو عبارة عن مجموع علوم ضرورية إذا خلقها الله تعالى في الانسان صح منه تكليفه وهي بجملتها عشرة علوم:

(أولها) علم الإنسان بنفسه وبكثير من أحواله التي يجد كونه عليها.

و(ثانيها) علمه بما يدركه مع ارتفاع اللبس.

و(ثالثها) علمه بانتفاء ما لا يدركه من الأشياء المدركة مع سلامة الأحوال.

و(رابعها) علمه بأنه لو كان لأدركه.

و(خامسها) علمه بأنّ الذات لا يخلو من أن يكون على صفة أولاً يكون عليها.

و(سادسها) علمه بالأمور الاختيارية كالعلم بأنّ الزجاج ينكسر بالحديد.

و(سابعها) علمه بتعلق الفعل بالفاعل على سبيل الجملة.

و(ثامنها) علمه بمقاصد المخاطبين بعد الوقوف على المواضعة.

و(تاسعها) علمه بالأمور الجلية التي جرت عليه مع قرب العهد بها.

و(عاشرها) علمه بقبح كثير من المقبحات وحسن كثير من المحسنات ووجوب

كثير من الواجبات.

٤- القلب: للقلب معنيان عضوي مادي وغبي معنوي:

أما (الأول) فهو عبارة عن الجهاز اللحوي الصنوبري الشكل الكائن في الجانب

الأيسر من الصدر ووظيفته ضخ الدم إلى جميع خلايا الجسم والحفاظ على بقاء الحياة نابضةً في الإنسان.

وأما (الثاني) فهو عبارة عن مجمع قوى الاستشعار التي تضم خليطاً من العقل والنفس والروح وإلى ذلك أشار بعض المحققين بقوله: (يعبر عنه بالعقل تارة وبالنفس أخرى وبالروح ثالثة وبالإنسان أيضاً) ويرتبط وجودها بحركة القلب العضوية ولها تعلق وتوقف على وجوده قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾<sup>١</sup> أي عقل وفي الحديث عن الإمام الكاظم عليه السلام: «إن الله تبارك وتعالى فرض الايمان على جوارح بني آدم وقسمه عليها وفرقه عليها فليس من جوارحهم جارحة إلا وهي موكلة من الايمان بغير ما وكلت به أختها، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا تورد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره... الخ».

٥- الغريزة: الغريزة الطبيعية والقريحة والجمع غرائز، وفي الحديث: «الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن» أي بالله تعالى، وغرزها في الخلق أي ركبها فمهم.

والإسلام يدعو لتوظيف الغرائز بشكل صحيح وإيجابي وأن يوازن في تلبية نوازعها بين بُغديه الروحي والمادي في حياته قال سبحانه وتعالى:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾<sup>٢</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾<sup>٣</sup>.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾<sup>٤</sup>.

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) سورة الأعراف: ٣١.

(٣) سورة البقرة: ١٦٨.

(٤) سورة القصص: ٧٧.

ولا يبيح للإنسان ان يستغرق في تلبية مطالب الغرائز بحيث يغدو كهؤلاء الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾<sup>١</sup>.

٦- الطبائع: الطبع سيكولوجياً مجموعة مظاهر السلوك والشعور المكتسبة والموروثة التي تميّز الفرد على الآخر وقيل: انه الجبلة والسجية التي خلق عليها الإنسان، قال الإمام الكاظم عليه السلام: طبائع الجسم على أربعة:

١- فمنها الهواء الذي لا تحيى النفس إلا به وينسيمه ويخرج ما في الجسم من داء وعفونة.

٢- والأرض التي قد تولّد اليبس والحرارة.

٣- والطعام ومنه يتولّد الدم ألا ترى أنه يصير في المعدة فتغذيه حتى يلين ثم يصفو فتأخذ صفوه دماً ثم ينحدر الثقل.

٤- والماء وهو يولد البلغم.

## مميزات الإنسان

مسألة ١٥٠: يمتاز الإنسان عن سائر الموجودات الحيّة الأخرى مضافاً لما تقدّم بمجموعة من الخصائص والشمائل الخاصة به نوجزها في النقاط التالية:

١- العلم: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>٣</sup> بالعلم كان للإنسان هذا الظهور في العالم وهذه السيطرة وهذا التسلّط على موارده وأراضيه وسهوله وجباله وبحاره وأنهاره وكل مظاهر التمدن والحضارات، وهذا الإنتاج الغزير من العلوم والفنون وكل هذه الصناعات الثقيلة والخفيفة المعقدة والبسيطة وهذا الإعمار والازدهار في جميع ميادين الحياة.

(١) سورة محمد ﷺ: ١٢.

(٢) سورة النحل: ٧٨.

(٣) سورة العلق: ٥.

٢- البيان: مما امتاز به الإنسان أيضاً جهاز النطق والقدرة على الإفصاح به عن كل ما يجيش في أعماقه من معاني واختلاجات فكرية علمية ونوازع عاطفية، والتعبير عن المعاني التي يقصدها ويروم الإخبار عنها بطرق وأساليب مختلفة، وبتوسط (اللسان أو الخط والكتابة أو العقد أو النصب أو الإشارة) وكذا قدرته على التعلّم والتعليم والإبداع ودقة التصوير بأبلغ مناحيه الفنيّة قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾<sup>٢</sup>.

٣- الأخلاق والسلوك والقيم المعنوية: ومما امتاز به الإنسان أيضاً اختصاصه بضوابط خلقية وحدود سلوكية وقيم معنوية كثيرة لا يمكن لأي كائن آخر أن يتحلّى بها بحكم تكوينه الخاص ومن خلال اتصافه بمجموعها يتجسد الجانب الإنساني في وجوده وتتضح معالمه بصورتها الحقيقية الناصعة ويتفاضل بامتلاكها على جميع الكائنات الحيّة الأخرى في الوجود ويشرف ويعلو بها حتى ينافس الملائكة في عوالمها الملكوتية في نزاهتها وتجردها وطاعتها وانقطاعها وتسبيحها.

٤- المواخذه: ومن مميزات الإنسان أيضاً انه مؤاخذ على ما يقترفه من الذنوب والآثام وما يرتكبه من الرذائل حتى ما يضمه من النوايا السيئة ويكنه من الأحقاد والضغائن:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ \* كِرَامًا كَاتِبِينَ \* يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾<sup>٣</sup>، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾<sup>٤</sup>، ﴿كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِيْنًا﴾<sup>٥</sup>.

قال الشيخ الصدوق رحمته الله: «اعتقادنا في ذلك أنه ما من عبد إلا وله ملكان

(١) سورة الرحمن: ١-٤.

(٢) سورة الروم: ٢٢.

(٣) سورة الانفطار: ١٠-١٢.

(٤) سورة غافر: ١٩.

(٥) سورة الطور: ٢١.

موكلان به يكتبان عليه جميع أعماله، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ كَتَبَ لَهُ حَسَنَةً وَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبَ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ فَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا وَإِنْ عَمِلَهَا أَجَلَ سَبْعِ سَاعَاتٍ فَإِنْ تَابَ قَبْلَهَا لَمْ يَكْتُبْ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ كَتَبَ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».

٥- التكليف: ومعناه أن الله تعالى ألزم الإنسان على نحو التخصيص بين سائر الكائنات الحية في عالم الدنيا بأوامر ونواهي وأوجب عليه الالتزام والعمل بها، والغرض منه تعريض العبد للثواب بدرجاته المختلفة والمجازاة التفضيلية عليه في الدنيا والآخرة فيكون المكلف عند الامتثال منتفعاً بالتفضل الإلهي زائداً على ما هو فيه أو منتفعاً بالعوض الموعود عند اقتضاء تكليفه الاجتناب عن فعل منهي عنه أو مأمور به.

وضابطة التكليف بالأحكام الشرعية هو أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلاّ دون ما يطيقون ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾<sup>١</sup> أي تسعه قدرته ويستطيع الاتيان به، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «والله ما كلف الله العباد إلاّ دون ما يطيقون لأنّه كلفهم في كلّ يوم وليلة خمس صلوات وكلفهم في السنة صيام ثلاثين يوماً وكلفهم في كلّ مائتي درهم خمسة دراهم وكلفهم في العمر حجة واحدة وهم يطيقون أكثر من ذلك».

٦- الهداية والضلال: ومما امتاز به الإنسان أيضاً اختصاصه بالهداية (الوصول إلى الحق) بحسن اختياره والضلال (البعد عن الحق) بسوء اختياره

قال سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾<sup>٢</sup>.

وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٢) سورة المائدة: ١٦.

طَرِيقًا \* إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا<sup>١</sup>، ونسبة فعل الامتناع إلى الله عز وجل عن هدايتهم إنما باعتبار ما ينتهون إليه بسبب جحودهم وعنادهم وباعتبار ما يترتب عليه من آثار المجازاة والعقوبة والمؤاخذة لا أنه فاعل الإضلال في نفوسهم ودافعهم إليه.

وعن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾<sup>٢</sup> قال: «حتى يعرفهم ما يرضيه وما يسخطه».

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾<sup>٣</sup> قال عليه السلام: «بين لها ما تأتي وما تترك من المعاصي».

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾<sup>٤</sup> قال عليه السلام: «عرفناه إما أخذاً وإما تاركاً».

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾<sup>٥</sup> قال عليه السلام: «وهم يعرفون».

وسئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾<sup>٦</sup> قال عليه السلام: «نجد الخير ونجد الشر». وقال عليه السلام: «ما حجب الله علمه على العباد فهو موضوع عنهم».

وقال عليه السلام: «إن الله تعالى احتج على الناس بما آتاهم وعرفهم».

(١) سورة النساء: ١٦٨.

(٢) سورة التوبة: ١١٥.

(٣) سورة الشمس: ٨.

(٤) سورة الإنسان: ٣.

(٥) سورة فصلت: ١٧.

(٦) سورة البلد: ١٠.

# القسم الرابع

في فقه عوالم الإنسان  
التي يمرُّ بها من بدء وجوده  
إلى خاتمة مطافه



**مسألة ١٥١:** قال رسول الله ﷺ: «ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وإنما تنقلون من دار إلى دار».

للإنسان بعد أن يخلق في الوجود سبع عوالم يمر بها وينتقل من أحدها إلى الآخر إلى أن ينتهي به المطاف إلى عالم الخلود في نعيم الجنة أو سقيم جهنم. وينتقل إلى هذه الحياة في هذا العالم بالولادة ويخرج منها إلى بقية العوالم المخصّصة له بالموت، ولا يعني هذا الموت الإنهاية المطاف في هذا العالم لافي أصل وجود الإنسان.

ولإلقاء الضوء على مجموع هذه العوالم نستعرضها لك بالنحو التالي:

## ١- العالم الأول (عالم الأرواح)

### مبدأ خلق الإنسان

**مسألة ١٥٢:** الأصل في خلق الإنسان هي الروح وهي أصله وجوهره الذي يكون من مبدئه إلى منتهاه وتلبس في كل عالم من العوالم التي تمر بها بلباس خاص به. قال العلامة السيد نعمة الله الجزائري في الأنوار النعمانية:

«إنّ خلق الأرواح قد كان قبل خلق عالم الذر وقد أوجج سبحانه ناراً وكلّف تلك الأرواح بالدخول فمنهم من بادر إلى الامتثال ومنهم من تأخّر عنه ولم يأت به، فمن هناك جاء الإيمان والكفر ولكن بالاختيار، فلما أراد الله سبحانه أن يخلق لتلك الأرواح أبداناً تتعلّق بها جعل لكل نوع من الأرواح نوعاً مناسباً له من الأبدان، كأن جعل للأرواح الطيبة أبداناً مثلها وكذلك للأرواح الخبيثة أبداناً مثلها فيكون ما صنع الله بها جزاءً لذلك التكليف السابق.

ومعنى طيب الأبدان وخبيثها الخاصة بكلّ من طيب الأرواح وخبيثها أن ما طاب من الأرواح لا يأتي إلى عالم الدنيا إلاّ عبر الأصلاب الزكيّة النظيفة والأرحام الطاهرة

والتناكح الصحيح، وأعلى درجات الطهارة فيه ما كان نشأة النطفة والجنين في الرحم على الحلال دون الحرام والشبهات وكان انعقادها في أزمنا فاضلة مستحبة. وأنّ ما خبث منها هو الذي لا يأتي إلى هذه الدنيا إلا عن طريق الأرحام والأصلاّب الملوثة والسفاح وأعلاه درجة ما كان نشأة النطفة فيه واغتذاءها جنيناً في الرحم على المحرمات وكان انعقادها في الأزمنة المستكرهة وأبرز مصاديق هذا النسل الفاسد (ابن الزنا)».

## ٢- العالم الثاني (عالم الذر)

### ونشأة الإنسان فيه

مسألة ١٥٣: عالم الذر هو ثاني المراحل التي يمر بها الإنسان في الوجود هو عالم الذر، وقد أشار الله سبحانه وتعالى إليه بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾<sup>١</sup>.

قال الطبرسي في تفسيرها: «ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم، وقوله ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ وقوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ من باب التمثيل.

والمعنى في ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيّته، وشهدت بها عقولهم التي ركبها فيهم وجعلها مميّزة بين الضلالة والهداية، فكأنّه أشهدهم على أنفسهم وقرهم وقال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقرنا بربوبيتك ﴿أَن تَقُولُوا﴾ مفعول له أي نصبنا الأدلة التي تشهد العقول على صحتها كراهة أن تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ لم تنبه عليه».

## نوعية التكليف في عالم الذر

مسألة ١٥٤: إن الأحاديث الواردة في المساءلة والتكليف في عالم الذر الواردة في معرض قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾<sup>١</sup> تدل على أن الله تعالى لما خلق الخلق وركبهم تركيباً وأراهم الآيات والدلائل والعبر في أنفسهم وفي غيرهم، يدل الناظر فيها المتأمل لها على معرفة الله والهيته ووحدانيته ووجوب عبادته وطاعته جاز أن يجعل تسخيرها له وحصولها على هذه الصفات الدالة على ما ذكر إقراراً منها بالوحدانية ووجوب العباداة، ويجعل تصييرها على هذه الصفات الدالة على ما ذكرنا استشهاداً لها على هذه الأمور.

وروى عن أبي بصير أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «كيف أجابوا وهم ذر؟ فأجابه بقوله: جعل فيهم ما إذا سألهم أجابوه، يعني في الميثاق».

## ٣- العالم الثالث (عالم الأصلاب)

### ونشأة الإنسان فيه

مسألة ١٥٥: قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ \* خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ \* يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾<sup>٢</sup> وهذا الماء هو في الحقيقة ماء: يخرج أحدهما من بين صلب الرجل، أي من بين فقرات ظهره، ويخرج الثاني من ترائب المرأة أي عظام صدرها العلوية، ولعل التعبير عنهما بماء واحد، كان باعتبار اختلاطهما وصيرورتها ماءً واحداً، وهو الأمشاج، أي الأخلاط. قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾<sup>٣</sup> ولما كانت النطفة التي يتكون منها الإنسان يختلط فيها مني الرجل بمني المرأة، فقد وصفت بأنها ﴿أَمْشَاجٍ﴾.

(١) سورة الأعراف: ١٧٢.

(٢) سورة طارق: ٥-٧.

(٣) سورة الإنسان: ٢.

## ٤- العالم الرابع (عالم الأرحام)

### وخلق الأجنة فيه

مسألة ١٥٦: قال عزّ من قائل: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾<sup>١</sup>، ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾<sup>٢</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلِّغُوا أَشُدَّكُمْ﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِّن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾<sup>٦</sup>.

وقد وصف الإمام الصادق عليه السلام تصوير الجنين في الرحم، ونشوئه، وتطوره حتى خروجه مستوفياً جميع ما فيه صلاحه، حيث قال: «أول ذلك - أي أول نشوء الأبدان وتكونها في الرحم - تصوير الجنين في الرحم، حيث لا تراه عين، ولا تناله يد، ويدبره حتى يخرج سويّاً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء، والجوارح، والعوامل، إلى ما في تركيب أعضائه من العظام، واللحم، والشحم، والعصب، والمخ،

(١) سورة الزمر: ٦.

(٢) سورة النجم: ٢٣.

(٣) سورة الحج: ٥.

(٤) سورة المؤمنون: ١٢-١٤.

(٥) سورة آل عمران: ٦.

(٦) سورة الفرقان: ٥٤.

والعروق، والغضاريف فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمو بجميع أعضائه، وهو ثابت على شكل، وهيئة لا تتزايد، ولا تنقص، إلى أن يبلغ أشده - إن مُدّ في عمره - أو يستوفي مدّته قبل ذلك، هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة».

## ٥- العالم الخامس (عالم الدنيا)

مسألة ١٥٧: عالم الدنيا هو من أكثر تلك العوالم أهميةً ونفعاً للإنسان وتأثيراً على مصيره وسعادته الأبديّة وشقاوته الأزليّة في نهاية مطافه في عالم الآخرة لما ورد في أنّ الدنيا مزرعة الآخرة، وينقسم إلى ثلاثة عوالم متداخلة متناسقة بين بعضها البعض تشكل مجموعها عالم الدنيا وهي بهذا الترتيب:

### عالم الطبيعة وعالم المثال وعالم العقل (التدبير)

مسألة ١٥٨: عالم الدنيا يندرج تحته ثلاث عوالم:

١- عالم الطبيعة: وهو العالم الدنيوي الذي نعيش فيه والأشياء الموجودة فيه صورها ماديّة تجري على نظام الحركة والسكون والتغيّر والتبدّل.

٢- عالم المثال: وهو فوق عالم الطبيعة وجوداً وفيه صور الأشياء بلا مادّة، منه تنزّل هذه الحوادث الطبيعيّة وإليها تعود وله مقام العليّة ونسبة السببيّة لحوادث عالم الطبيعة.

٣- عالم العقل: وهو فوق عالم المثال وجوداً وفيه حقائق الأشياء وكليّاتها من غير مادة طبيعيّة ولا صورة وله نسبة السببيّة لما في عالم المثال المتقدّم.

وربما يطلق عليه لوح التدبير وهو ينقسم إلى لوح المحو والإثبات واللوح المحفوظ وخلاصة تعريف كل منهما أن اللوح المحفوظ يوجد فيه التقديرات النهائيّة الثابتة التي لا يتطرق إليها التغيّر والتبديل وعلمه جل شأنه الأزلي المحيط بكلّ شيء، والذي هو عين ذاته، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾<sup>١</sup>. ويعني بأُمِّ

الكتاب التقدير القطعي الذي يشتمل على جميع السنن الثابتة الحاكمة على الكون والإنسان.

وأما لوح المحو والإثبات ففيه التقديرات التي تقبل التغيير والتبديل تبعاً لعوامل وأسباب خاصة فله تعالى فيه المشيئة يقدّم ما يشاء ويؤخر ما يشاء حسب ما تقتضيه تقلبات أحوال العباد من حسن ما يصدر منهم من الأفعال أو قبيحها قال سبحانه وتعالى: ﴿بِمَحْوِ اللَّهِ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>١</sup>. وقال جلّ شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>٢</sup>، وقال عزّ اسمه: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ﴾<sup>٣</sup>.

ففي هذا اللوح يكتب التقدير الأول للأجال والأحداث والجزاءات الدنيوية، ولكن هذا التقدير يكون قابلاً للتغيير بأمور صارفة وعوامل مغيرة فلو كانت مقدرة الوقوع بحسب جريان العادة بسبب يرجع إلى سوء اختيار الانسان كقطيعة الرحم وعقوق الوالدين وسوء الخلق وغيرها فإذا غير مثل ذلك الشخص من سلوكه وسيرته بأن انقطع للدعاء بإخلاص أو تصدق على محتاج أو فرج عن مؤمن كربة أو وصل رحمه بعد قطيعة وبر والديه ووصلهما وبر بهما بعد عقوق واصطنع المعروف لمن لجأ إليه واستنجد به، فإننا نجد أن مثل ذلك الشخص قد يتحوّل شقاؤه إلى سعادة، وسوء عاقبته المكتوبة عليه بحسب ما كان عليه إلى حسن مآل وفرج في أضيق الحال، ويُنسَى في أجله وتدفع عنه ميتة السوء ويبارك له في أعماله وتنهي أمواله، ونحو ذلك من الآثار الكثيرة الحسنة التي وردت الإشارة إليها في الآيات القرآنية والأحاديث المأثورة الكثيرة.

قال رسول الله ﷺ: «الصدقة تدفع البلاء، وهي أنجح دواء، وتدفع القضاء وقد أبرم إبراهيم، ولا يذهب بالأدواء إلا الدعاء والصدقة».

(١) سورة الرعد: ٣٩.

(٢) سورة الرعد: ١١.

(٣) سورة هود: ١١٤.

وقال الإمام علي عليه السلام: «الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبرّ الوالدين، وصلة الرحم تحوّل الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء».

وقال الإمام الباقر عليه السلام: «من الأمور أمور محتومة جائية لامحالة، ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء، ويثبت منها ما يشاء».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الدعاء يرد القضاء، بعدما أبرم إبراما، فأكثروا من الدعاء، فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله عزّ وجلّ إلا بالدعاء، وإنه ليس باب يكثر قرعه ألا يوشك أن يفتح لصاحبه».

وجاء عنه عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: أنه قال: «فكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه، إن الله لا يبدو له من جهل».

وقال عليه السلام: «من زعم أن الله عزّ وجلّ يبدو له في شيء لم يعلمه أمس، فابروا منه».

## مكونات عالم الطبيعة

مسألة ١٥٩: تتألف الدنيا في عالمها الطبيعي من كائنات حيّة على رأسها الإنسان وقد تقدّم الكلام عنه مفصلاً، ولهذا الإنسان مسرح يعيش في ربوعه يتألف من وسط خاص ووسط عام أمّا الوسط الخاص فهو الأرض بما تحويها من تراب وجبال ومعادن ومياه وأنهار وبحار وأصناف الزروع والأشجار وأهوية خاصّة تُكوّن الغلاف الجوي المحيط بالأرض بطبقاته الثلاث الطروبوسفير والإستراتوسفير والأيونوسفير.

وأما الوسط العام فهو عبارة عن العالم المحيط بتلك الأرض وينقسم هو الآخر إلى قسمين:

١- العالم المشاهد كالشمس والنجوم والكواكب الواقعة في مجرّة الأرض بما تحويه من أجرام سماوية وأقمار ونجوم وغيرها.

٢- العالم غير المشاهد وهو عبارة عن بقية السموات السبع والأرضين السبع والسيارات والمجموعات الشمسية الممتدة عبر الفضاء السحيق المترامي.

## عالم الإنسان المادي

مسألة ١٦٠: قال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ \* وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمَنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ \* وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ \* وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ \* وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾<sup>٢</sup>.

## مبدؤه ونشوؤه

مسألة ١٦١: قال عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ \* فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>٣</sup>.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

(١) سورة الرعد: ٢-٤.

(٢) سورة الحجر: ١٩-٢٢.

(٣) سورة فصلت: ١١-١٢.

كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفْلا يُؤْمِنُونَ \* وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا  
سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ \* وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ \* وَهُوَ  
الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ<sup>١</sup>.

قال أمين الإسلام الطبرسي في تفسيره الجوامع في تفسير الآية الأولى: «﴿ثُمَّ اسْتَوَى  
إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ من قولك: (استوى إلى  
مكان كذا) إذا توجّه إليه توجيهاً لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد  
الاعوجاج ونحوه قولهم: (استقام إليه وامتدّ إليه) ومنه قوله: ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾<sup>٢</sup>  
والمعنى ثم دعاه داعي الحكمة إلى خلق السماء بعد خلق الأرض وما فيها من غير طارق  
يصرفه عن ذلك ومعنى أمر السماء والأرض بالإتيان وقولهما: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أنه أراد  
تكوينهما وإنشاءهما فلم تمتنعا عليه ووُجِدتا كما أرادهما وليس هناك أمر على  
الحقيقة ولا جواب وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل، بمعنى أنهما كانتا كالمأمور  
المطيع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع، وخلق سبحانه جرم الأرض غير مدحوة ثم  
دحاها بعد خلق السماء كما قال: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا<sup>٣</sup> فالمعنى أتيتا على ما  
ينبغي أن تأتيا من الشكل والوصف، آتيتي يا أرض مدحوة قراراً لسكانك وآتيتي يا سماء  
سقفاً مبنياً عليهم، ومعنى الإتيان الحصول والوقوع كما يقال: أتى عمل فلان  
مقبولاً».

## النظرية الإسلامية في حدوث العالم

مسألة ١٦٢: تنص النظرية الإسلامية في حدوث العالم على أن العالم لم يكن  
موجوداً ثم كان فهو حادث قد وُجِدَ من بعد أن كان معدوماً، ولكنه لم يوجد من تلقاء  
نفسه بفعل الصدفة العشوائية أو بفعل المادة الصماء العمياء كما عليه الملاحدة

(١) سورة الأنبياء: ٣٠-٣٣.

(٢) سورة فصلت: ٦.

(٣) سورة النازعات: ٣٠.

الأغبياء البلهاء، بل بسبب علّة مؤثرة جبارة عالمة فاعلة حكيمة مبدعة مقتدرة مدبّرة وهذه هي الإله الخالق المهيمن على كل أنحاء هذا الكون.

وسأل زنديق الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «ما الدليل على حدوث العالم؟ فأجابه بقوله: وجود الأفاعيل التي دلّت على أنّ صانعها صنعها ألا ترى أنّك إذا نظرت إلى بناء مشيّد مبني علمت أنّ له بانياً وإن كنت لم ترّ الباني ولم تشاهده».

## المدّة التي استغرقتها نشأة الكون

مسألة ١٦٣: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾<sup>١</sup>.

قال أمين الإسلام الطبرسي في تفسيرها: «**فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ** في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا لأنّ إنشاء الشيء بعد الشيء على ترتيب أدلّ على كون فاعله عليماً حكيماً يدبّره على مقتضى حكمته، أو لأنّه أراد تعليم خلقه التثبّت والتأني في الأمور».

وقال في موضع آخر: «(اللغوب) النَّصَب والإعياء، أكذب الله تعالى اليهود بقوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ حيث قالوا: استراح الله يوم السبت».

## خلق الأرض

مسألة ١٦٤: قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشاً﴾<sup>٢</sup>: «جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيّتكم ودفن موتكم، ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون، وتتماسك عليها أبدانكم، وجعل فيها من

(١) سورة ق: ٣٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٢.

اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم.

ثم قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يعني سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم ثم قال: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر ينزله من علا ليلبغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم ثم فرّقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتتنشفه أرضكم ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة فتفسد أراضيكم وأشجاركم وزرعكم وثماركم.

ثم قال: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يعني مما يخرجها من الأرض رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله أنداداً أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء، وأنتم تعلمون أنّها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم».

## نشأة الإنسان في عالم الدنيا

مسألة ١٦٥: تبدأ نشأة الإنسان في عالم الطبيعة الدنيوي بالولادة الطبيعية المتعارفة ودوامها مرهون باستمرار عملية التكاثر والتناسل والإنجاب بفعل النظام الزوجي بين عنصري الحياة البشرية وركنهما على الأرض الرجل والمرأة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا \* إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾<sup>١</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾<sup>٢</sup>.

(١) سورة الإنسان: ١-٢.

(٢) سورة المؤمنون: ١٢-١٤.

وورد في كلام لأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة أنه قال فيما وصف فيه خلق الإنسان الأول آدم عليه السلام: «ثم جمع (سبحانه) من حزن الأرض وسهلهما، وعذبهما وسيخها تربة سنها بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلبة حتى لزبت، فجعل منها صورة ذات أحناء، وأصول، وأعضاء وفصول، أجمدها حتى استمسكت، وأصلدها حتى صلصلت لوقت معدود، وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها وفكر يتصرف بها، وجوارح يستخدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرّق بها بين الحق والباطل، والأذواق، والمشام، والألوان والأجناس معجوناً بطينة الألوان المختلفة والأشباه المؤتلفة والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة، من الحر والبرد والبلبة والجمود.

واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته إليهم في الإذعان بالسجود له والخنوع لتكريمته، فقال سبحانه: ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾<sup>١</sup> اعترته وغلبت عليه الشقوة، وتعزز بخلقه النار، واستوهن خلق الصلصال، فأعطاه الله النضرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبلية، وإنجازاً للعدة، فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾<sup>٢</sup>. ثم أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه، وأمن فيها محلته وحذره إبليس وعداوته، فاغتره عدوه نفاسة عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكه، والعزيمة بوهنه، واستبدل الجذل وجلاً، وبالاغترار ندماً. ثم بسط الله سبحانه له في توبته، ولقاه كلمته ورحمته، ووعدته إلى جنته، وأهبته إلى دار البلية، وتناسل الذرية.»

## سنن الحياة في الإنسان

مسألة ١٦٦: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ

عِلْمٍ شَيْئًا﴾<sup>٣</sup>.

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) سورة الحجر: ٣٧-٣٨.

(٣) سورة النحل: ٧٠.

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾<sup>١</sup>، ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾<sup>٣</sup>.

قد دلّت هذه الآيات على أنّ للإنسان دوران: دور تصاعدي يبدأ منذ اليوم الأول لولادته حتى يصل إلى أوج قدرته في عنفوان الشباب، ودور تنازلي يبدأ من ذلك الأوج وينتهي إلى التضائل والخوار للقدره الجسميّة والعقليّة بالهرم والشيخوخة حيث يكون مآل الإنسان فيه إلى الضعف والضعفة كما كان في أول حياته في الطفولة، ولهذا ورد في الحديث: «بين الستين إلى السبعين معترك المنايا»، ومهما زادت أو نقصت تلك الفترة فإن احترام الموت للحياة مما لا مفرّ منه ولا دافع له.

## ارتحال الإنسان عن عالم الدنيا بالموت

مسألة ١٦٧: موت الإنسان هو خاتمة مطافه في عالم الدنيا وأول ساعات شق طريقه إلى عالم الآخرة عبر عالم البرزخ الآتي بيانه.

والموت عرض يضاد الحياة وينافهما ولا يكون إلا من فعل الله، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾<sup>٤</sup>، وقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾<sup>٥</sup> فالحياة ما كان بها النمو والإحساس وتصح معها القدرة والعلم، والموت ما استحال معه النمو والإحساس ولم تصح معه القدرة والعلم. وفعل الله تعالى الموت بالأحياء لينقلهم من دار العمل والامتحان إلى دار الجزاء والمكافأة.

(١) سورة الروم: ٥٤.

(٢) سورة يس: ٦٨.

(٣) سورة التين: ٥.

(٤) سورة غافر: ٦٨.

(٥) سورة الملك: ٢.

## أقسام الموت وأنواعه

**مسألة ١٦٨:** روي أنّه قيل للإمام عليّ عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: «على الخير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور ترد عليه: إمّا بشارّة بنعيم الأبد، وإمّا بشارّة بعذاب الأبد، وإمّا تحزين وتهويل وأمره مهم لا يدري من أي الفرق هو، فأما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد، وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد، وأما المهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله، يأتيه الخبر مهمماً مخوفاً.

ثم لن يسويه الله عزّ وجلّ بأعدائنا لكن يخرجنا من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلّوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزّ وجلّ فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلاّ بعذاب ثلاثمائة ألف سنة».

## المكفّ بقبض الأرواح

**مسألة ١٦٩:** المكفّ بقبض الأرواح هو ملك الموت عزرائيل، وملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة والنقمة، يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله وكلّ ما يأتونه منسوب إليه، فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولى قبض روحه ملائكة النقمة، وإذا كان فعلهم فعل ملك الموت، وفعل ملك الموت فعل الله، لأنّه يتوفى الأنفس حين موتها على يد من يشاء، ويعطي ويمنع، ويثيب ويعاقب على يد من يشاء، وإن فعل أمتاؤه فعله، كما قال جلّ شأنه: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>١</sup>.

(١) سورة التكوير: ٢٩.

## موت المؤمن وموت الكافر

مسألة ١٧٠: قيل للإمام الصادق عليه السلام: صف لنا الموت، قال: «للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كله عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشد. قيل: فإنّ قوماً يقولون إنّه أشدّ من نشر بالمناشير، وقرض بالمقاريض، ورضخ بالأحجار، وتدوير قطب الأرحية على الأحداق؟

قال: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد فذلکم الذي هو أشدّ من هذا إلا من عذاب الآخرة فإنّه أشدّ من عذاب الدنيا.

قيل: فما بالنار كافرأً يسهل عليه النزاع فينطفي وهو يتحدث ويضحك ويتكلم وفي المؤمنين أيضاً من يكون كذلك وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد.

فقال: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه وما كان من شديده فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نقياً نظيفاً مستحقاً لثواب الأبد لا مانع له دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليوفي أجر حسناته في الدنيا ليرد الآخرة وليس له إلا ما يوجب عليه العذاب وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عذاب الله له بعد نفاذ حسناته ذلكم بأنّ الله عدل لا يجور.

## ٦- العالم السادس (عالم البرزخ)

مسألة ١٧١: تبدأ أوّل مراحل الموت الذي هو عبارة عن انتهاء حياة الإنسان في هذه الدنيا ووضعه في القبر.

ومعنى البرزخ الحاجز بين الشيتين وكل فصل بين شيئين برزخ قال تعالى: ﴿مَرَجَ الْبُحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ \* بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾<sup>١</sup>.

مسألة ١٧٢: تستغرق فترة عالم البرزخ المدّة الزمنية الممتدة بين لحظة ما بعد الوفاة والموت وتنتهي بمحين فترة البعث والنشور يوم القيامة.

### نشأة الإنسان في عالم البرزخ

مسألة ١٧٣: هي نشأة مثالية روحانية لها ضوابط ومبادئ تغاير ما أُلّف وتعارف عليه في عالم الدنيا وللإنسان فيه تجرّد خاص يجمع فيه بين خصيصتي الحياة ومثالي الوجود، حيث تتعلّق الروح بعد مفارقة الأجساد الماديّة عند الموت بأشباح مثالية يخلقها الله تعالى بقدرته تشابه وتمائل تلك الأبدان الدنيوية التي كان الإنسان عليها بحيث لو رأته لفلان لقلت: فلان، كما تتصف عند ذلك بصفات الأحياء من الأكل والشرب والجلوس والكلام والتعارف والتحاور والاستئناس ببعضها البعض وأنهم ربما يكونون على تلك الحال في الهواء بين السماء والأرض.

والمستفاد من جملة النصوص المرورية أنّ الجنان التي جعلها الله عزّ وجلّ للتنعيم وتحصيل اللذات بأشكالها المختلفة على قسمين:

جنان دنيوية وجنان أخروية فأما الجنان الدنيويّة فهي المؤقتة ومن لوازمها النفاذ والفناء وهي نوعان:

١- دنيويّة حسيّة وهي تمثل عامة غياط الأرض ورياضها وحدائقها النضرة الغناء

وأعظمها وأكملها تلك التي كان فيها آدم أبو البشر ﷺ قال الشيخ الصدوق: «وأما جنة آدم فهي جنة من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس وتغيب وليست بجنة الخلد، ولو كانت جنة الخلد ما خرج منها أبداً».

٢- دنيوية مثالية وهي جنة عالم البرزخ والتنعيم فيها حقيقي لا وهمي لكن بحسب مقتضيات ذلك العالم، وبحسب حالة الروح ووضعها فيه المسانخة لأجوائه وقوانينه الخاصة وما يحصل لها به من الالتذاد والتنعم.

وأما الجنان الأخروية فهي السرمدية الدائمة الخالدة وسيأتي الحديث عنها.

## الحالات الخاصة بالروح وأطوارها بعد الموت

مسألة ١٧٤: بعد خروج الروح من بدن الإنسان ومفارقتها له تمرّ بسبع حالات:

(الحالة الأولى) بعد خروج الروح من البدن يخلق الله عزّ وجلّها جسداً مثالياً مؤقتاً يكون كالقالب لها ويتصف في هيئته بصفات ذلك الجسد الدنيوي وتكون هذه الروح معلقة في الهواء تنظر إلى ذلك الجسد الدنيوي وهو جثة هامة مسجّاة على الأرض وترافقه في كلّ مراحلها من حمل وتغسيل وتقليب وتكفين وتشيع وروي أنّ روح المؤمن تطلع محلقة مستبشرة إلى ما أعد الله لها من الدرجات الرفيعة والنعم الجليلة وأما روح الكافر والعاصي فتناشدهم وهي مذعورة بالإمهال والتباطئ حذراً مما أعد له من العقوبات.

(الحالة الثانية) بعد الوضع في القبر تدخل تلك الروح بتلك الهيئة التي عليها إلى القبر وتكون بصف الجسد الملوحد ولذلك تسمع التلقين الأول المستحب للموتى والذي سنأتي على ذكره في محله ويفيدها للمرحلة التي تلي ذلك عند مساءلة ومحاسبة الملائكة الموكلين بها.

(الحالة الثالثة) وتبدأ بعد إهالة التراب على القبر حيث تنتقل تلك الروح من ذلك القالب إلى الجسد الأصلي الملوحد فيجيئه الملكان منكر ونكير في صورة مهيبة إن كان معذباً ومبشر وبشير في صورة حسنة إن كان من الأبرار فيسألانه عن عقائده ومن يعتقد به من الأئمة واحداً بعد واحد فإن لم يجب عن واحد منهم يضرّبانه

بعمود من نار يمتلئ قبره ناراً إلى يوم القيامة وإن أجاب يبشّرانه بكرامة الله تعالى ويقولان له: نم نومة عروس قير العين.

قال الشيخ المفيد: «وليس ينزل الملكان إلا على حي ولا يسألان إلا من يفهم مسألة ويعرف معناها وهذا يدل على أن الله تعالى يحيى العبد بعد موته للمساءلة.

ويمكن تصنيف المحاسبين في القبر في هذه المرحلة إلى أقسام ثلاثة حسبما ورد به الأثر عن الإمام الصادق عليه السلام حيث أنه قال: «لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً. فقلتُ له: فسائر الناس؟ فقال: يُلّهي عنهم».

بهذا النحو:

١- مؤمنون خلّص.

٢- كافرون خلّص.

٣- غافلون ذاهلون مستضعفون لم يبلغوا كنه حقائق الأشياء».

## المساءلة في القبر

مسألة ١٧٥: قال الإمام الصادق عليه السلام: «من أنكر ثلاثة أشياء، فليس من شيعتنا:

المعراج والمساءلة في القبر والشفاعة».

وعنه عليه السلام: «إذا مات المؤمن شيّعه سبعون ألف ملك إلى قبره، فإذا أدخل قبره

أتاه منكر ونكير، فيقعدانه ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ فيقول: ربّي الله

ومحمّد نبيي والإسلام ديني، فيفسحان له في قبره مدّ بصره ويأتيانه بالطعام من الجنة

ويدخلان عليه الرّوح والريحان، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ \*

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾<sup>١</sup> يعني في قبره ﴿وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾<sup>٢</sup> يعني في الآخرة».

(١) سورة الواقعة: ٨٨-٨٩.

(٢) سورة الواقعة: ٨٩.

ثم قال عليه السلام: «إذا مات الكافر شيعه سبعون ألفاً من الزبانية إلى قبره، وإنه ليناشد حامله بصوت يسمعه كل شيء إلا الثقلان ويقول: لو أن لي كرة فأكون من المؤمنين ويقول: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ \* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾<sup>١</sup> فتجيبه الزبانية: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾<sup>٢</sup> ويناديهم ملك لو ردّ لعاد لما نهى عنه، فإذا أدخل قبره وفارقه الناس أتاه منكر ونكير في أهول صورة فيقيمانه، ثم يقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان له، لا دريت ولا هديت ولا أفلحت. ثم يفتحان له باباً إلى النار وينزلان إليه الحميم من جهنم وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ \* فَنَزَّلْنَا مِنْ حَمِيمٍ﴾<sup>٣</sup> يعني في القبر ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾<sup>٤</sup> يعني في الآخرة».

## معنى منكر ونكير

مسألة ١٧٦: منكر ونكير هما الملكان النازلان على الميت في القبر بعد الانتهاء من دفنه والموكلان بسؤاله وسميا منكرًا ونكيرًا اشتقاقاً من استنكار المعاقب لفعالهما ونفوره عنهما إذا كان من غير أهل الإيمان وليس المراد بذلك اشتقاقه من الإنكار. وأنه إذا أجاب بالجواب الصحيح بشرائه بحسن عاقبته، فيكونان مبشراً وبشيراً، وإلا فيضربانه بعمود من نار فتكون حفرة من حفر النار.

## الحكمة من حساب القبر

مسألة ١٧٧: إنَّ الميت حديث العهد بالآخرة وقد خرج من الدنيا لتوّه فيجب أن يصنف ضمن أي الفئات التي ستشق رحلتها عبر مسارات عالم البرزخ الرئيسية إلى مسار نعيم ذلك العالم (المؤمنون) أو إلى مسار جحيمه (العصاة الجاحدون) أو إلى

(١) سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٠.

(٣) سورة الواقعة: ٩١-٩٢.

(٤) سورة الواقعة: ٩٤.

مسار قاعة الانتظار التي يربحاً النظر في مصير أصحابها (الملمّهي عنهم). فالمساءلة مهمة لتلك الغاية كما أن كل مسار له تصنيفات كتصنيفات الضيافة في الدنيا من خمس نجوم إلى نجمة في النعيم والجحيم بحسب ما تضمنته صحيفه أعماله من مقدار الحسنات أو مقدار السيئات التي حصدها طيلة فترة حياته في الدنيا وما يستحقه من المجازاة الخاصة في هذا العالم الجديد بسبب تلك الأعمال الدنيوية المؤثرة فيه كما سيأتي ذكره في النص على المنجيات من ضغطة القبر أو المنجيات والمهلكات عند الحساب.

### (الحالة الرابعة) ويُعبّر عنها بمرحلة ضغطة القبر:

مسألة ١٧٨: في المراحل المتقدمة على الرغم من عودة الروح إلى الجسد الأصلي إلا أن الميت لا يحس بما يحس به الأحياء من الإدراك والعلم واستشعار الحواس وما إلى ذلك بل يحس بحالة خاصّة يتمكّن فيها من فهم الخطب والإجابة على أسئلة الملكين بلسان روحاني يفهمانه وفي حدود ما يتأدّى به الغرض من مساءلته، لكن الميت بعد قطع هذه الأشواط يتعرّض لحالة مرعبة مفزعة خاصة تعود فيها الروح إلى درجة الحياة في الجسم الملحود فيحس معها بمجرد ضيق اللحد وظلمة القبر وكآبة المنقلب والوحشة والوحدة وخلو اليد عن كل زينة الحياة وزبارجها وزخرفها وبريقها وتستغرق هذه الظاهرة فترة معينة ثم تنقطع وتبدأ بعدها مرحلة أخرى كما سيأتي.

قال العلامة المجلسي: «اعلم أنه يلزمك الإيمان والإذعان بضغطة القبر في الجملة وأمّا أنّها عامة لجميع الناس أو مخصوصة بغير كُمل المؤمنين يظهر من كثير من الأخبار الثاني ولا بد من الإذعان بكون الضغطة في الجسد الأصلي لا المثالي.

وليست ضغطة القبر بعامة تشمل جميع المقبورين بل هي تابعة للسؤال فمن لم يُسئل لم يضغط.»

## ضغطة القبر والاتقاء منها

- مسألة ١٧٩: الذي نعتقد به فيها أنه لا ينجو منها إلا المعصوم أو من كَفَنَ بثوب معصوم أو من استلقى في قبره معصوم أو من عمل بأحد هذه الأمور في حياته:
- ١- صلاة أربع ركعات مرة في العمر في يوم الجمعة ووقتها ما بين طلوع الشمس إلى زوالها وقت الظهرية يصلحها ركعتين ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وتبارك الذي بيده الملك وحم السجدة.
  - ٢- قراءة سورة النساء في كل يوم جمعة.
  - ٣- الحج أربع حجج متواليات أم متفرقات إلى بيت الله الحرام.
  - ٤- الموت حتف الأنف في ليلة الجمعة أو يومه لمن كان مؤمناً.

## عذاب القبر والمنجيات منه

- مسألة ١٨٠: لعذاب القبر ثلاثة أسباب:
- ١- النميمة بين الناس في الدنيا.
  - ٢- مجانبة الرجل زوجته وزهده فيها وإيذاؤها.
  - ٣- كثرة حبس البول أو عدم التوقي من نجاسته.
- وقد ورد للنجاة منه الإتيان بأحد هذه الأمور في حياته:
- ١- الإكثار من قراءة سورة الملك.
  - ٢- الإكثار من قراءة آية الكرسي.
  - ٣- صلاة ركعتين ليلة الجمعة يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وإذا زلزلت الأرض زلزالها خمس عشرة مرة.
  - ٤- صلاة عشرين ركعة بعد صلاة فريضة المغرب في أول ليلة من شهر رجب يصلحها ركعتين ركعتين ويقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد) مرة واحدة.

٥- صوم آخر يوم من شهر رجب.

٦- ماورد في قول الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد عليها السلام: امرأة صبرت على غيرة زوجها وامرأة صبرت على سوء خلق زوجها وامرأة وهبت صداقها لزوجها يعطي الله كل واحدةٍ منهن ثواب ألف شهيد ويكتب لكل واحدةٍ منهن عبادة سنة».

(الحالة الخامسة) وفيها يتم نزع الروح مرّة أخرى من الجسد الأصلي وإرجاعها إلى القالب المثالي مرّة أخرى ذلك القالب الذي كانت فيه بعد نزعها في مرحلة الموت والوفاة وقد سبق وأن ذكرناه في المرحلة الأولى.

(الحالة السادسة) يتم فيها تعذيب الروح أو تنعيمها: قال الإمام علي عليه السلام: «القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

والذي ينعم ويعذب في عالم البرزخ من حين البلوغ إلى هذه المرحلة إلى البعث والنشور هو الروح كما سبق وأن ذكرنا التي تكون في ذلك القالب المثالي سواء كانت للمؤمن أو للكافر، والتي تصوّر توجّه الأمر والنهي إليها والخطاب بالتكليف.

## المعذبون في عالم البرزخ

مسألة ١٨١: ورد عن أئمة الهدى عليهم السلام أنهم قالوا: «ليس يُعذب في القبر كلّ ميت وإنّما يُعذب من جملتهم من مُحض الكفر، ولا ينعم كل ماضٍ لسبيله وإنّما ينعم منهم من مُحض الإيمان مَحضاً، فأما سوى هذين الصنفين فإنّه يُليهم عنهم»، وتوضيح ذلك فيما يلي:

١- المؤمنون: قال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿بِئْسَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾<sup>٢</sup>، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ \* بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي

(١) سورة النحل: ٣٢.

(٢) سورة التوبة: ٢١.

وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ<sup>١</sup>.

فالمؤمن تنتقل روحه من جسده إلى قالب وجسم مثالي مؤقت كما تقدم مثل جسده الدنيوي في الصورة والهيئة فيجعل منعماً في جنة من جنان الله تعالى في العالم المثالي إلى يوم البعث والمعاد فإذا نفخ في الصور أي عند الصيحة الثانية وقامت القيامة أنشأ جسده الذي بلي وتفرق من التراب ثم أعاده بحالته الأولى تعود الروح لذلك الجسد وتحشر معه إلى الموقف ويؤمر به إلى جنة الخلد فلا يزال منعماً.

٢- الكافرون: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ \* ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ<sup>٢</sup>، ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ<sup>٣</sup>﴾.

فالكافر تنتقل روحه من جسده إلى جسم مثالي كما هو الحال في المؤمن الا انه يجعل في نار وعذاب فيعذب فيها إلى يوم البعث غدواً وعشيّاً ويوم تقوم الساعة فتعود روحه إلى جسده المعاد تنشئته وتخلد معه في العذاب في جهنم.

٣- التائبون المستضعفون الملمى عنهم: وهؤلاء يلهم عنهم وتُعطل حياة أرواحهم عند موتهم فلا يشعرون بشيء من الثواب والعقاب والمجازاة حتى يبعثوا وهم من لم يُمخّض الإيمان محضاً ولا الكفر محضاً، وقد بين الله تعالى ذلك عند قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ امْثُلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا<sup>٤</sup>﴾، فبين أن قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور حتى يظن بعضهم أن ذلك كان أياماً عشرة<sup>٥</sup> ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا<sup>٥</sup>﴾ وظن بعضهم أن ذلك كان يوماً، وليس يجوز أن يكون ذلك عن وصف

(١) سورة يس: ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الأنفال: ٥٠-٥١.

(٣) سورة غافر: ٤٦.

(٤) سورة طه: ١٠٤.

(٥) سورة طه: ١٠٣.

من عدّب إلى بعثه أو نُعم إلى بعثه، لأن من لم يزل منعماً أو معذباً لا يجهل عليه حاله فيما عُوْمِل به، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته.

## العلامات المنبئة بزوال عالم الدنيا

مسألة ١٨٢: وردت جملة من النصوص الشريفة بذكر بعض الظواهر التي يؤدي انتشار مظاهرها وعلاماتها بين البشر إلى الإشعار بقرب زوال عالم الدنيا وأول تلك الظواهر بلوغ الإنسان إلى قمة التقدم التكنولوجي والازدهار المادي في شتى مناحي الحياة وتمكّنه من السيطرة على كافة موارد الطبيعة وثرواتها ومعادنها بدءاً بالذرة التي هي أصغر جزيء محسوس في الوجود وانتهاءً بالمجرة التي تصور مدى رحابة المحيط الذي يقع فيه عالم الدنيا حيث تمكنه من التنقل بين نجومها وسياراتها عبر المركبات الفضائية لاستكشاف أسرارها ومجاهيلها وإلى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾<sup>١</sup>.

وأما بقية الظواهر الأخرى فنكتفي بسردها حسبما أوردها الشيخ القمي في تفسيره فيما رواه عن رسول الله ﷺ عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ﴾<sup>٢</sup>: «يعني القيامة» ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾<sup>٣</sup> قال: ألا أخبركم بأشراط الساعة؟ ثم قال: إنّ من أشراط القيامة إضاءة الصلاة واتباع الشهوات، والميل إلى الأهواء وتعظيم أصحاب المال، وبيع الدين بالدنيا، فعندها يدوب قلب المؤمن في جوفه كما يدوب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيّره.

(١) سورة يونس: ٢٤.

(٢) سورة محمد ﷺ: ١٨.

(٣) تنمة الآية السابقة.

إنَّ عندها تليهم أمراء جوررة ووزراء فسقة، وعرفاء ظلمة، وأمناء خونة، إنَّ عندها يكون المنكر معروفاً والمعروف منكراً، وائتمن الخائن، ويؤخّون الأمين، ويصّدق الكاذب، ويكذّب الصادق.

فعندها إمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب طرفاً والزكاة مغرمأً، والفيء مغنماً، ويجفو الرجل والديه وير صديقه، ويطلع الكوكب المذنب.

وعندها تشارك المرأة زوجها في التجارة، ويكون المطر قيظاً، ويغيض الكرام غيظاً، ويحتقر الرجل المعسر فعندها يقارب الأسواق إذا قال هذا: (لم أبع شيئاً) وقال هذا: (لم أرح شيئاً) فلا ترى إلآ ذاماً لله.

فعندها يليهم أقوام إن تكلموا قتلوهم وإن سكتوا استباحوهم ليستأثروا أنفسهم بفيئهم وليطؤون حرمتهم وليسفكن دمائهم ولتملأن قلوبهم رعباً، فلا تراهم إلآ وجلين خائفين مرعوبين مرهوبين.

إنَّ عندها يؤتى لشيء من المشرق وشيء من المغرب يلون أمتي، فالويل لضعفاء أمتي منهم، والويل لهم من الله، لا يرحمون صغيراً ولا يوقرون كبيراً ولا يتجاوزون عن مسيء جنتهم جنة الأدميين وقلوبهم قلوب الشياطين.

وعندها تكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها ويشبه الرجل بالنساء والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج السروج، فعلمهنّ من أمتي لعنة الله.

إنَّ عندها يزخرف المساجد كما يزخرف البيع والكنائس ويحلى المصاحف، وتطول المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة.

وعندها تحلى ذكور أمتي بالذهب ويلبسون الحرير والديباج ويتخذون جلود السمور صفاقاً.

وعندها تظهر الرّبا ويتعاملون بالعينه والرشا ويوضع الدين ويرفع الدنيا.

وعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حدّ ولن يضرّ الله شيئاً.

عندها يظهر القينات والمعازف ويلمهم أشرار أمتي.

عندها تحجّ أغنياء أمتي للنزهة وتحجّ أوساطها للتجارة، وتحجّ فقراؤهم للرياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلّمون القرآن لغير الله ويتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله ويكثر أولاد الزنا، ويتغنون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا.

إذا انتهكت المحارم، واكتسبت المآثم وسلّط الأشرار على الأخيار، ويفشوا الكذب وتظهر اللجاجة ويفشو الفاقة، ويتباهون في اللباس ويمطرون في غير أوان المطر، ويستحسنون الكوبة والمعازف وينكرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى يكون المؤمن في ذلك الزمان أذلّ من في الأمة، ويظهر قراؤهم وعبادهم فيما بينهم التلاوم، أولئك يدعون في ملكوت السماوات الأرجاس والأنجاس.

فعندها لا تخشى الغني إلاّ الفقر، حتى أن السائل يسأل فيما بين الجمعيتين لا يصيب أحداً يضع في يده شيئاً. قال سلمان: وإنّ هذا لكائن يا رسول الله؟ قال: أي والذي نفسي بيده يا سلمان! عندها يتكلّم الروبيضة.

فقال: وما الروبيضة يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ قال ﷺ: يتكلم في أمر العامة من لم يكن يتكلم فلم يلبثوا إلاّ قليلاً حتى تخور الأرض خورة، فلا يظن كلّ قوم إلاّ أنّها خارت في ناحيتهم فيمكثون ما شاء الله، ثم يمكثون في مكثهم فتلقي لهم الأرض أفلاذ كبدها. قال: ذهب وفضة، ثم أوماً بيده إلى الأساطين فقال: مثل هذا فيومئذ لا ينفع ذهب ولا فضة، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾<sup>(١)</sup>.

## ٧- العالم السابع (عالم الآخرة)

مسألة ١٨٣: بعد انتهاء عالم الدنيا تبدأ ظواهر يوم القيامة والانتقال إلى عالم الآخرة وتسلسل الأحداث فيها يمتد على سبع مراحل:

### ١- فناء الإنسان

مسألة ١٨٤: فناء الإنسان هو المرحلة الأولى من مراحل عالم الآخرة وفيها يتم موت وفناء جميع الأحياء من الأجساد والأرواح ما عدا الله جلّ شأنه وعظم سلطانه ثم تعاد بعد ذلك، قال سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾<sup>١</sup>، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>٢</sup>، ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>٣</sup>، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾<sup>٥</sup> ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون فيموتون كلّهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله ولا يوصي بوصية وذلك قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>٦</sup>.

قال القمي في تفسيره: «ثم ذكر النفخة الثانية فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾<sup>٧</sup>، وفي قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>٨</sup>.

(١) سورة الحديد: ٣.

(٢) سورة القصص: ٨٨.

(٣) سورة الرحمن: ٢٦.

(٤) سورة يس: ٢٩.

(٥) سورة يس: ٤٨-٤٩.

(٦) سورة يس: ٥٠.

(٧) سورة يس: ٥٣.

(٨) سورة الزمر: ٦٨.

سئل الإمام السّجاد عليه السلام عن النفختين كم بينهما؟ قال: «ما شاء الله فقيل له: فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفخ فيه؟ فقال: أمّا النفخة الأولى فإن الله يأمر اسرافيل فهبط إلى الدنيا ومعه صور وللصور رأس واحد وطرفان وبين طرفي كلّ منهما ما بين السّماء والأرض.

قال: فإذا رأت الملائكة اسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السّماء، قال: فهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فإذا رآه أهل الأرض قالوا: قد أذن الله في موت أهل الأرض، فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الّذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلاّ صعق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الّذي يلي أهالي السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلاّ صعق ومات إلاّ اسرافيل قال: فيقول الله لإسرافيل: مت فيموت اسرافيل فيمكثون في ذلك ما شاء الله.

ثمّ يأمر الله السّماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير وهو قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاوُ مَورًا﴾ \* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا<sup>١</sup> يعني تُبَسِّط وتبذل الأرض غير الأرض يعني بأرض لم يكتب عليها الذنوب بارزة ليس عليها الجبال ولا نبات كما دحاها أوّل مرّة ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّة مستقلاً بعظمته وقدرته.

قال: فعند ذلك ينادي الجبّار جلّ جلاله بصوت له جهوريّ يسمع أقطار السّماوات والأرضين لمن الملك؟ فلا يجيبه مجيب فعند ذلك يقول الجبار عزّ وجلّ مجيباً لنفسه: لله الواحد القهار وأنا قهرت الخلائق كلّهم وأمّتهم، إني أنا الله لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير، وأنا خلقت خلقي بيدي وأنا أمّتهم بمشيّتي وأنا أحييهم بقدرتي.

قال: فنفخ الجبّار نفخة في الصور يخرج الصوت من أحد الطرفين الذي يلي السماوات فلا يبقى في السّماوات أحد إلاّ حيّ وقام كما كان ويعود حملة العرش ويحظر الجنة والنار ويحشر الخلائق للحساب».

## الحالة التي ستؤول إليها الأرض بعد فناء الإنسان

مسألة ١٨٥: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>١</sup>، وقال عز اسمه: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾<sup>٢</sup>.

قال الشيخ الطبرسي: «المعنى: يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غيرها وكذلك (السموات) والتبديل: التغيير وقد يكون في الذوات كقولك (بدلت الدراهم دنانير) ومنه: ﴿بَدَلْنَا هُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾<sup>٣</sup> و﴿وَبَدَلْنَا هُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾؛ وقد يكون في الأوصاف كقولك: بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل.

واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل: تبدل أوصافها فتُسَيَّر على الأرض جبالها وتُفَجَّر بحارها وتُسَوَّى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وقيل تخلق أرض وسموات آخر.

و﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي دكاً بعد دك أي كرر عليها دك جبالها وانشازها حتى استوت قاعاً صافياً».

## إحلال عالم آخر بعد فناء عالم الدنيا

مسألة ١٨٦: روى عن جابر بن زيد أنه سأل الإمام الباقر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>٤</sup> فقال: «يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكَّن أهل الجنة والنار أهل النار جَدَّدَ اللهُ عزَّ وجلَّ عالماً غير هذا العالم، وجدد عالماً من غير فحولة ولا إناث يعبدونه

(١) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٢) سورة الفجر: ٢١.

(٣) سورة النساء: ٥٦.

(٤) سورة سبأ: ١٦.

(٥) سورة ق: ١٥.

ويوحّدونه، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم وسماً غير هذه السماء تظلمهم، لعلك ترى أن الله عزّ وجلّ إنّما خلق هذا العالم الواحد، وترى أن الله لم يخلق بشراً غيركم بلى والله خلّق تبارك وتعالى ألف الف عالم وألف ألف آدم وأنت في آخر تلك العوالم وأولئك الأدميين».

## ٢- معاد الإنسان

مسألة ١٨٧: معاد الإنسان هو المرحلة الثانية من مراحل عالم الآخرة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾<sup>١</sup>، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾<sup>٢</sup>، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾<sup>٣</sup>، ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ \* يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ \* إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ \* يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾<sup>٥</sup>.

مسألة ١٨٨: اعتقادنا في البعث بعد الموت أنه حق قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب إن الرائد لا يكذب أهله، والذي بعثني بالحق نبياً لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون، وما بعد الموت دار إلا الجنة والنار».

وخلق جميع الخلق وبعثهم على الله عزّ وجل كخلق نفس واحدة وذلك قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾<sup>٦</sup>.

(١) سورة الروم: ٢٧.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٤.

(٣) سورة ق: ٤٢.

(٤) سورة يس: ٥٣.

(٥) سورة ق: ٤١-٤٥.

(٦) سورة لقمان: ٢٨.

## إعادة أجزاء الإنسان بخصائصها الأولى

مسألة ١٨٩: قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا \* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا \* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾<sup>١</sup>، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾<sup>٢</sup>، ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾<sup>٣</sup>.

تشير هذه الآيات إلى التأكيد على حشر الأجسام البشرية التي طرأ عليها الفناء في عالم الدنيا من خلال بيان مبدئين:

١- مبدأ (إن الله تعالى قادر على كل مقدور).

٢- مبدأ (إن الله تعالى عالم بكل معلوم).

## الخصائص الإضافية للأجساد المعادة بعد البعث

مسألة ١٩٠: ذكرنا أن المعاد إنما يتم بإعادة الأجساد نفسها التي كانت في الدنيا حين مات الإنسان عليها إلا أن الذي نريد أن نشير إليه هنا هو أن أجساد المؤمنين عندما تعاد تُعدّل بعض خصائصها وتحسن صورتها فتكون في أجمل ما يمكن أن تكون عليه في سن منتصف عمر عز الشباب أي في عمر أكمل ما يكون عليه الإنسان ولا تهرم بعد ذلك ولا يمسها نصب في الجنة ولا لغوب لتواكب مرحلتها الجديدة الأبدية السرمدية من التنعيم الدائم ومنتهى القدرة على الالتذاذ به.

وكذلك الأمر في أجساد الكافرين تُركّب تركيباً خاصاً بإضفاء بعض التعديلات التي تحول دون فناء أجسادهم في عذاب جهنم ويستمرّون في تلقي العذاب الدائم الأبدي والإحساس بمنتهى شدته وقسوته وآلامه.

(١) سورة مريم: ٩٣-٩٥.

(٢) سورة يس: ٧٨-٧٩.

(٣) سورة طه: ٥٥.

### ٣- بعث الإنسان

مسألة ١٩١: وهو المرحلة الثالثة من مراحل عالم الآخرة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾<sup>١</sup>، ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾<sup>٣</sup>، ﴿كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ \* وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ \* وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ \* وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ \* قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ \* وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾<sup>٥</sup>.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كما تنامون تموتون وكما تستيقظون

تبعثون».

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «يا عباد الله إنَّ بعد البعث ما هو أشدَّ من القبر يوم

يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، ويسقط فيه الجنين، وتذهل كل مرضعة

(١) سورة الحج: ٧.

(٢) سورة يونس: ٤.

(٣) سورة النور: ٤٢.

(٤) سورة الأنبياء: ٩٣.

(٥) سورة الزمر: ٦٨-٧٤.

عمّا أرضعت، يوم عبوس قمطير، يوم كان شرّه مستطيراً، إنّ فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم، ترعب منه السبع الشداد والجبال الأوتاد والأرض المهاد، وتنشق السماء في يومئذٍ واهية وتتغير فكأنها وردة كالدهان، وتكون الجبال سراباً مهيباً، بعدما كانت صماً صلاباً، وينفخ في الصور، فيفزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، فكيف من عى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن، إن لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم لأنّه يصير إلى غيره إلى نار قعرها بعيد وحرّها شديد وشرابها صديد، وعذابها جديد ومقامها حديد، لا يفتر عذابها ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها الرحمة ولا تسمع لأهلها دعوة».

## ٤- حشر الإنسان

مسألة ١٩٢: حشر الإنسان هي المرحلة الرابعة من مراحل عالم الآخرة قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾<sup>١</sup>، ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ \* كَلَّا لَا وَزَرَ \* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ \* يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾<sup>٢</sup>.

ويخرج الخلق يوم الحشر بعد إحيائهم من قبورهم ويجمعون فيه ويُساقون إلى الموقف في حشود ضخمة للحساب والجزاء.

## بعض مشاهد الحشر العامة

مسألة ١٩٣: من أهم المشاهد العامة التي ستتفق عند الحشر:

١- اضطراب الأرض واهتزازها: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾<sup>٣</sup>، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا \* وَسُتِ الْجِبَالُ بَسًا \* فَكَانَتْ

(١) سورة الأنعام: ٢٢.

(٢) سورة القيامة: ١٠-١٣.

(٣) سورة المزمل: ١٤.

هَبَاءٌ مُنَبِّئًا<sup>١</sup>، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا \* وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾<sup>٢</sup>.

٢- استبدال الأرض والسماء بغيرهما: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ

الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾<sup>٣</sup>.

٣- استيلاء حالة الفزع والهلع والترقب على جميع الخلق: قال سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ \* يَوْمَ تَرَوْهَا تَدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ

ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾<sup>٤</sup>،

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ \* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ \* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ \*

لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾<sup>٥</sup>.

٤- عدم القدرة على الاستعانة والاستقواء بالأهل والعشيرة: قال سبحانه وتعالى:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ \* إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾<sup>٦</sup>، ﴿وَإِخْشَاؤُا يَوْمًا لَا يَجْزِي

وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾<sup>٧</sup>، ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ

أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾<sup>٨</sup>.

٥- حشر الطيور والدواب على حدة: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ

وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ

يُحْشَرُونَ﴾<sup>٩</sup>، ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾<sup>١٠</sup>.

(١) سورة الواقعة: ٤-٦.

(٢) سورة الزلزلة: ١-٢.

(٣) سورة إبراهيم: ٤٨.

(٤) سورة الحج: ١-٢.

(٥) سورة عبس: ٣٣-٤٢.

(٦) سورة الشعراء: ٨٨-٨٩.

(٧) سورة لقمان: ٣٣.

(٨) سورة الممتحنة: ٣.

(٩) سورة الأنعام: ٣٨.

(١٠) سورة التكويد: ٥.

ومعناه أن الحيوانات تحشر في الجملة بعض للقصاص وبعض تدخل الجنة وبعضها لبعض المصالح وأما ما يؤول إليه أمرها بعد الحشر فعلمه عند الله.

## وضع المؤمنين في يوم الحشر

مسألة ١٩٤: غلبة السرور والفرح والابتهاج عليهم بعد فرزهم وتمييزهم عن مستحقي العذاب والعصاة والملاحدة قال سبحانه وتعالى في وصف حالتهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ \* ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾<sup>١</sup>، ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>٢</sup>.

## وضع الكفار والملاحدة في يوم الحشر

مسألة ١٩٥: وضع الملاحدة سيكون بعكس ما عليه المؤمنون كما تقف عليه في هذا السرد:

١- شيوع الرعب وسيطرة الخوف والهلع على نفوسهم: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ \* خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلِيلَةً ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾<sup>٣</sup>، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَٰبِرَةٌ \* تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ﴾<sup>٤</sup>.

٢- هول المطلع وشدة وقعه على نفوسهم: قال سبحانه وتعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾<sup>٥</sup>، ﴿فَذَلِكِ يَوْمٌ عَسِيرٌ \* عَلَى الْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾<sup>٦</sup>.

(١) سورة عبس: ٣٨-٣٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٠.

(٣) سورة المعارج: ٤٢-٤٣.

(٤) سورة عبس: ٤٠-٤٢.

(٥) سورة المزمل: ١٧.

(٦) سورة المدثر: ٩-١٠.

٣- تميّز حشرهم بطريقه خاصّة: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمْتَارُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَٰ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا \* ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَنَذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَلَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى \* قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا \* قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى \* وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾<sup>٣</sup>، ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءً﴾<sup>٤</sup>.

٤- استيلاء اليأس والقنوط من رحمة الله عزّ وجلّ عليهم: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمئِذٍ بِبَنِيهِ \* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ \* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ \* وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾<sup>٥</sup>، ﴿فَيَوْمئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾<sup>٦</sup>، ﴿وَوُجُوهُ يَوْمئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ \* تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاْفِرَةُ الْفَجْرَةُ﴾<sup>٧</sup>.

٥- تمني العودة للدنيا للاستدراك: استيلاء الندم عليهم وتمني العودة للدنيا لاستدراك الإيمان بعد الكفر الذي ماتوا عليه وتسبب في سلهم كل شيء من نعيم الآخرة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ \* يَقُولُ يَا لَيْتَنِي

(١) سورة يس: ٥٩.

(٢) سورة الإسراء: ٩٧-٩٨.

(٣) سورة طه: ١٢٤-١٢٦.

(٤) سورة إبراهيم: ٤٣.

(٥) سورة المعارج: ١١-١٤.

(٦) سورة الروم: ٥٧.

(٧) سورة عبس: ٤٠-٤٢.

قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي»<sup>١</sup>، «وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ»<sup>٢</sup>، «وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ \* بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُمْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»<sup>٣</sup>.

## ٥- محاسبة الإنسان

مسألة ١٩٦: وهي المرحلة الخامسة من مراحل عالم الآخرة

وفيها يتم عرض الناس للحساب على أعمالهم في دار الدنيا لينالوا بعده جزاء أعمالهم وما اقترفوه من آثام ومعاصي وذنوب.

قال سبحانه وتعالى: «وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا»<sup>٤</sup>، «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ \* وَخَسَفَ الْقَمَرُ \* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ \* يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ \* كَلَّا لَا وَزَرَ \* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ \* يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ \* بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ \* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ»<sup>٥</sup>، «وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا»<sup>٦</sup>.

(١) سورة الفجر: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة السجدة: ١٢.

(٣) سورة الأنعام: ٢٧-٢٨.

(٤) سورة الكهف: ٤٩.

(٥) سورة القيامة: ٧-١٥.

(٦) سورة الإسراء: ١٣-١٤.

## محاسبة الأبطال والمجانين والبله

مسألة ١٩٧: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>١</sup>.

يعني بالذرية أولادهم الصغار والكبار لأنّ الكبار يتبعون الآباء بإيمان منهم والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعاً لوالده والمعنى أنا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من أجل الآباء لتقرّ عين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقرّ بهم في الدنيا.

وقال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الآية»، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «أطفال المؤمنين يهدون إلى آباءهم يوم القيامة» ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي لم تنقص الآباء من الثواب حين ألحقنا بهم ذريتهم.

## الحكمة من المحاسبة

مسألة ١٩٨: اعلم أن الغرض من المحاسبة والمساءلة وشهادة الجوارح إنما هو التوصل لفرز أهل الجنة وأهل النار وتمييز كلّ فريق عن الآخر فينعيم المطيع المحسن وينال ما وعد من حسن المجازاة، ويعذب العاصي المسيء على ما اقترف في دنياه. كما أن علم المؤمن بذلك في عالم التكليف في الدنيا يكون وازعاً له ويحثّه على تكثيف الجهد والمجهود لاستحقاق الاستزادة من نعيم الآخرة وما أعدّ له فيها من خيرات.

## نوعية محاسبة المؤمن والكافر

مسألة ١٩٩: محاسبة المؤمن تكون في غاية السهولة واليسر لا فزع ولا تألم ولا استيحاش وأما بالنسبة للكافرين فعسرة شديدة لما فيها من الحجاج والمناقشة والتبكييت.

## الميزان وأداة الحساب

مسألة ٢٠٠: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾<sup>١</sup>، ﴿يَبْأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾<sup>٣</sup>، ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* وَآخِرُونَ مُرْجُونَ لِمَ رَبِّ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>٤</sup>.

## معنى الموازين يوم الحساب

مسألة ٢٠١: الموازين يوم القيامة عبارة عن ضوابط وقوانين العدل والتسوية والقسمة الصحيحة كما يقولون كلام فلان موزون وأفعاله موزونة إذا كانت موافقة لقواعد اللغة وأصول الحكمة العملية.

## دقة الحساب

مسألة ٢٠٢: قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا وَوُتِّتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾<sup>٦</sup>، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>٧</sup>.

(١) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٢) سورة القيامة: ١٣.

(٣) سورة المؤمنون: ١٠٢-١٠٣.

(٤) سورة التوبة: ١٠٥-١٠٦.

(٥) سورة النساء: ٤٠.

(٦) سورة الأنبياء: ٤٧.

(٧) سورة الزلزلة: ٧-٨.

## الشهادة عند الحساب

مسألة ٢٠٣: الشهادة عند الحساب من مظاهر دقة الحساب وذلك لإتمام الحجّة وإقرار موازين الإثبات، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>١</sup> ويمكن سردها بالنحو التالي:

- (الشاهد الأوّل) الله عزّ وجلّ.
- (الشاهد الثاني) صحيفة أعمال الفرد الخاصة.
- (الشاهد الثالث) نبي كل أمة.
- (الشاهد الرابع) عامة الناس من المؤمنين خاصّة.
- (الشاهد الخامس) الملائكة الموكلين بصحيفة أعمال كل فرد.
- (الشاهد السادس) الأرض التي مشى عليها.
- (الشاهد السابع) الحجر الأسود.
- (الشاهد الثامن) الزمان.
- (الشاهد التاسع) فقهاء كل أمة.
- (الشاهد العاشر) أعضاء كل شخص وجوارحه.
- (الشاهد الحادي عشر) كل ما عبد من دون الله عزوجل.

## منجيات الإنسان

مسألة ٢٠٤: المنجيات يوم القيامة حسبما صرّحت به روايات أئمة أهل البيت النبوي هي:

- ١- الإيمان بالله عزّ وجلّ وامتنال أوامره والانتها عن نواهيه وعبادته على نحو ما أمر وندب إليه.

(١) سورة المؤمن: ٥١.

- ٢- التمسك بأئمة الهدى والعروة الوثقى والاعتقاد بالمذهب بالحق.
- ٣- غض النظر عن عورات المؤمنين والمؤمنات وعدم افشاء ما يشينهم إلا في حدود مقتضيات الشرعية.
- ٤- المحافظة على السعي إلى المساجد في أوقات الصلوات اليومية واحترامها وعمارتها وتجنّبها القاذورات والنجاسات وما لا يليق بها من المناهي.
- ٥- عيادة المرضى وصلّتهم لوجه الله تعالى وصلّة الفقراء والمعوزين وذوي الفاقة.
- ٦- المشاركة في تشييع جنازات المسلمين ومراسيم دفنهم وقراءة القرآن وإهداء ثواب قراءته إليهم خصوصاً آية الكرسي.
- ٧- أداء الصلوات الواجبة بحدودها ورسومها وشروطها وفي أوقاتها.
- ٨- قراءة القرآن وحفظه.
- ٩- المواظبة على الإعلان بالأذان مدداً طويلة تربو على العام.
- ١٠- الإكثار من الدعاء للمؤمنين والمؤمنات بالخير والصلاح والدعة والسعة والسلامة.
- ١١- استحضار الرقابة الإلهية في السر والعلن خصوصاً عند المشاهدة على ارتكاب المعاصي للاجتناب عنها.
- ١٢- كثرة الاستغفار والإنابة والتوبة خصوصاً عند اقرار الخطايا والذنوب.
- ١٣- احترام وتوقير المسنين خصوصاً المؤمن منهم.
- ١٤- التحلّي بالأخلاق الفاضلة ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعراف.
- ١٥- العفو عن الظالم والإحسان إلى المسيء وكظم الغيظ.
- ١٦- كف اللسان عن قول الزور والبهتان والإثم والتعدي على الآخرين.
- ١٧- الصبر على الطاعات والصبر على اجتناب المعاصي.
- ١٨- الإكثار من صنائع المعروف وأعمال البر والإحسان.
- ١٩- قول الحق ولو على النفس.
- ٢٠- الإكثار من شكر الله عزّ وجلّ عند حيازة النعم بأنواعها وشكر من تسبب بها من الناس.

- ٢١- إظهار المودة لذرية رسول الله ﷺ وإعانتهم وقضاء حوائجهم والدفاع عنهم باليد واللسان.
- ٢٢- الإشفاق والإرفاق بالوالدين ومودتهما وصلتهما.
- ٢٣- صلة الأرحام.
- ٢٤- أداء الأمانة والتزام العهود والمواثيق ولو لأعداء الدين.
- ٢٥- السعي في قضاء حوائج المؤمنين من تزويج وكسوة ومؤنّة ومعونة ونجدة من ورطةٍ ودفع مظلمةٍ.
- ٢٦- التبرّع ببناء المرافق العامة بمحاذاة طرق المسافرين لإيوائهم وقضاء حوائجهم وحفر الآبار واستصلاح العيون للشرب وغيره.
- ٢٧- صلة اليتيم وكفاية مؤنته وإيوائه والإرفاق به والشفقة عليه ومعاضدته.
- ٢٨- صيام الأيام المندوبة.
- ٢٩- زيارة قبر الرسول الأكرم ﷺ في المدينة المنورة وكذا زيارة فلذة كبده وسبطه وريحانته الإمام الحسين في كربلاء المعلى وكذا زيارة حفيده الإمام الرضا عليه السلام بأرض خراسان.
- ٣٠- الإدمان على قراءة هذه السور: (النصر، العصر، القيامة، الرحمن، التغابن، الغاشية، الفجر، الكوثر، الطلاق، التحريم، المطففين، الطارق، البلد، الملك، يونس، يوسف، طه، الحواميم).
- ٣١- من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضى.
- ٣٢- من جاهد نفسه التي بين جنبيه.
- ٣٣- من كان فعله موافقاً لقوله في الحق.
- ٣٤- من لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحييف على من تحت يديه.
- ٣٥- من مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بالغرر والخيانة.
- ٣٦- من قال الحق فيما عليه وله.

٣٧- وعد الله في الآخرة: من عمل بما يعمل ووعدته الله تعالى على عمل ثواباً فهو منجزه.

٣٨- خلف الله تعالى وعيده: الوفاء بالوعد واجب في حقه جل وعلا وهو من المنجيات كما تقدّم والوعيد من المهلكات كما سيأتي ولكن خلفه يكون من المنجيات بأن يغفر لمن عصاه من المؤمنين من غير توبة وأنه تعالى يقبل التوبة بمقتضى وعده ولا يعد ذلك الخلف قبيحاً بالنسبة إليه عزّ شأنه.

## الشفاعة

مسألة ٢٠٥: الشفاعة عبارة عن سد الخلة والنقص الطارئ على الإنسان لتقصيره وتسويفه عن تدارك ما لحقه من الموبقات في صحيفة أعماله.

قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾<sup>٢</sup>، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾<sup>٣</sup>، والإيمان بها من الضروريات لقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَفَاعَتِي فَلَا أَنَالَهُ اللَّهُ شَفَاعَتِي».

وهي تكون لأهل الكبائر والصغائر من المؤمنين الموحدين فأما التائبون الآيبون المستغفرون فليسوا بحاجة إليها إلا من لم تقبل مغفرته بأن لم يأتها على وجهها المطلوب وبشرائها المقررة.

## الشفاعة يوم الحساب

مسألة ٢٠٦: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِحَوْضِي فَلَا أوردّه الله حَوْضِي وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَفَاعَتِي فَلَا أَنَالَهُ اللَّهُ شَفَاعَتِي»، ثم قال ﷺ: «إِنَّمَا شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي فَأَمَّا الْمُحْسِنُونَ فَمَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ».

(١) سورة الزمر: ٤٤.

(٢) سورة طه: ١٠٩.

(٣) سورة الأنبياء: ٢١.

وقال عليه السلام: «أما أنّ الله عزّ وجلّ كما أمركم أن تحتاطوا لأنفسكم وأديانكم وأموالكم باستشهاد الشهود العدول عليكم، فكذلك قد احتاط على عباده ولكم في استشهاد الشهود عليهم، فلله عزّ وجلّ على كلّ عبد رقباء من خلقه ومعقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ويحفظون عليه ما يكون منه من أعماله وأقواله وألفاظه وألحاظه والبقاع التي تشمل عليه شهود ربّه له أو عليه، فكم يكون يوم القيامة من سعيد بشهادتها له، وكم يكون يوم القيامة من شقي بشهادتها عليه.

إن الله عزّ وجلّ يبعث يوم القيامة عباده أجمعين وإماءه فيجمعهم في صعيد واحد، ينفذهم البصر، ويسمعهم الداعي، ويحشر اللّيالي والأيام، ويستشهد البقاع والشهور على أعمال العباد.

فمن عمل صالحاً شهدت له جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وأيامه وليالي الجمع وساعاتها وأيامها، فيسعد بذلك سعادة الأبد، ومن على سواء شهدت عليه جوارحه وبقاعه وشهوره وأعوامه وساعاته وليالي الجمع وساعاتها وأيامها، فيشقى بذلك شقاء الأبد، فاعملوا ليوم القيامة وأعدوا الزاد ليوم الجمع يوم التّناد، وتجنّبوا المعاصي فبتقوى الله يرجى الخلاص».

## أنواع الشفاعة ومراتبها

مسألة ٢٠٧: أنواع الشفاعة يوم القيامة:

١- شفاعة الأعمال: كقراءة القرآن وأعمال البر والصلاة ونجدة الملهوف.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ست من عمَلٍ بواحدةٍ منهن جادلت عنه يوم القيامة حتى تدخله الجنّة تقول: إي ربّ قد كان يعمل بي في الدنيا: الصلاة والزكاة والحج والصيام وأداء الأمانة وصلة الرحم».

٢- شفاعة التوبة: وهي أنجح شافع وخير واتي يوم الحساب لقول الإمام علي

عليه السلام: «لا شفيع أنجح من التوبة».

٣- شفاعة الولد السقط: لما ورد في الحديث النبوي: «إن السقط ليحيى كالمحنبطى يوم القيامة يقول: لا أدخل الجنة حتى يدخل والداي».

٤- شفاعة المؤمن: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن المؤمن يشفع يوم القيامة لأهل بيته، فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه، فيقول فيرفع سبابتيه: ياربّ خويديمى كان يقيني الحرّ والبرد فيشفع فيه».

وقال الإمام العسكري عليه السلام في تفسيره المعروف: «اللّه رحيم بعباده، ومن رحمته أنّه خلق مائة رحمة واحدة في الخلق كلّهم، فيها تراحم الناس، وترحم الوالدة ولدها، وتحنّ الأمّهات من الحيوانات على أولادها، فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى مائة وتسعين رحمة فيرحم بها أمة محمّد، ثم يُشَفِّعهم فيمن يحبّون له الشفاعة من أهل الملة حتى إنّ الواحد ليحيى إلى مؤمن من الشيعة فيقول: اشفع لي فيقول: وأي حق لك عليّ، فيقول: سقيتك يوماً ماء، فيذكر ذلك فيشفع له فيشفع فيه ويجيئه آخر فيقول: إنّ لي عليك حقاً فاشفع لي: فيقول: وما حقك عليّ؟ فيقول: استظليت بظلّ جداري ساعة في يوم حارّ، فيشفع فيه، ولا يزال يشفع حتى يشفع في جيرانه وخلطائه ومعارفه، فإنّ المؤمن أكرم على الله ممّا تظنون».

٥- شفاعة الوالدين والأرحام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الجنة تحت أقدام الأمّهات».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أول ناطق من الجوارح يوم القيامة الرحم تقول: يا ربّ من وصلني في الدنيا فصل اليوم ما بينك وبينه، ومن قطعني في الدنيا فاقطع اليوم ما بينك وبينه».

٦- شفاعة العلماء الصالحين: قال عزّ من قائل: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾<sup>١</sup>.

٧- شفاعة الأئمة المعصومين عليهم السلام: قال الإمام علي عليه السلام: «اعملوا وأطيعوا ولا

تتكلموا ولا تستصغروا عقوبة الله عزّ وجلّ فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعذاب ثلاثمائة ألف سنة».

وروي عن سماعة قال: «كنت قاعداً مع أبي الحسن الأول -يعني الإمام الكاظم عليه السلام- والناس في الطواف في جوف الليل فقال: يا سماعة إينا إياب هذا الخلق وعلينا حسابهم فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله عزّ وجلّ حتّمنا على الله في تركه لنا فأجابنا إلى ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم وأجابوا إلى ذلك وعوّضهم الله عزّ وجلّ».

٨- شفاعة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>١</sup>، وقال رسول الله ﷺ: «من لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله شفاعتي».

وسئل الإمام الصادق عليه السلام: «هل يحتاج المؤمن إلى شفاعة محمد ﷺ يومئذ؟ قال: نعم إنّ للمؤمنين خطايا وذنوباً وما من أحد إلا يحتاج إلى شفاعة محمد يومئذ».

٩- شفاعة ربّ العالمين: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>٢</sup> وهو معنى آخر لخلف الوعيد كما لا يخفى.

## مهلكات الإنسان

مسألة ٢٠٨: مهلكات الإنسان يوم القيامة حسبما صرحت به الأخبار هي:

- ١- الكفر بالله عزّ وجلّ وبرسله وكتبه وبما جاء به الوحي من عنده.
- ٢- متابعة وموالاتة أئمة الجور والزيغ والضلال.
- ٣- جحود أئمة الحق ومعاداتهم.
- ٤- ارتكاب الرذائل السلوكية والخلقيّة لاسيما اللواط فاعلاً ومفعولاً ومعيناً عليه.

(١) سورة النساء: ٦٤.

(٢) سورة الزمر: ٤٤.

- ٥- ترك الإتيان بالصلوات الخمس اليومية.
- ٦- إيذاء الجار وتضييع حقوقه وعدم نجدته في الملمات.
- ٧- الإعانة على إيذاء المؤمن والتنكيل به.
- ٨- ارتداء الألبسة الصارخة والمثيرة للسخرية والاستهجان (لباس الشهرة).
- ٩- إهانة الفقراء وتحقيرهم والاستخفاف بهم والتطاول عليهم.
- ١٠- اعتياد الإفراط في البطنة والشبع زائداً عن الحد المتعارف.
- ١١- الزهو والخيلاء والكذب.
- ١٢- إثارة الفتن بين المؤمنين والسعي في الوقيعة بينهم.
- ١٣- لؤم الطبع ودناءة النفس وبذاءة اللسان.
- ١٤- اتخاذ الشطرنج واللعب به وصنعه وبيعه وشراؤه.
- ١٥- صناعة التماثيل من ذوات الأرواح.
- ١٦- الجور وفساد شؤون الناس لمن تصدّى للرئاسة والسلطة وعدم السعي لإصلاح أمورهم وعدم القيام بأمر الله تعالى فيهم.
- ١٧- الامتناع من اخراج الحقوق الشرعية من المال الخاص كالخمس والزكاة.
- ١٨- التبدّل في السؤال والإلحاح في الطلب من الناس مع الغنى عنه وعدم الحاجة إليه.
- ١٩- الإفراط في الضحك واللهو واللعب.
- ٢٠- كتمان العلم عن طالبيه وعدم اظهاره عند انتشار البدع والفسق والزندقة.
- ٢١- إعانة الظالمين وتقوية شوكتهم وبسط نفوذهم وسيطرتهم وسلطانهم.
- ٢٢- الغش والخديعة والنصب والاحتيال.
- ٢٣- خيانة المرأة لزوجها وفجورها وإنجابها من غيره.
- ٢٤- اتخاذ المعازف والقيان وآلات اللهو والفساد.
- ٢٥- اقرار الكبائر التي توعدّ الله عزّ وجلّ عليها النار مثل: الإشراف بالله، اليأس من رحمة الله، الأمن من مكره، عقوق الوالدين، قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق،

قذف المحصنة، أكل مال اليتيم، الفرار من الزحف عند قتال الأعداء والغزاة، أكل الربا، الزنا، اليمين الغموس الفاجرة، منع الزكاة المفروضة، شهادة الزور، كتمان الشهادة، شرب الخمر، ترك الصلاة متعمداً، نقض العهد، قطيعة الرحم.

٢٦- إدمان الخمر.

٢٧- الدياثة وهو الديوث الذي يجلب على حليلته الرجال.

٢٨- نبش القبور.

٢٩- قطيعة الرحم وصلة الأقارب.

٣٠- الاعتقاد بالمذاهب الباطلة كالقدرية.

٣١- النميمة.

٣٢- التبجح (تبجح النساء).

٣٣- الاحتكار لما يحتاج الناس إليه أكثر من أربعين يوماً.

٣٤- العقوق للوالدين والأهل والأقارب وقطيعة الرحم.

٣٥- التولد من الزنا.

٣٦- الزنا بأحد المحارم.

٣٧- أكل الأموال عن طريق الحرام.

٣٨- أكل المحرمات.

٣٩- فعل السحر والاعتقاد به.

٤٠- الوعيد: اعتقادنا في الوعيد أن من وعده الله على عمل عقاباً فهو فيه

بالخيار إن عذبه فبعده، وإن عفى عنه فبفضله، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾<sup>١</sup>، وقال

عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾<sup>٢</sup>.

١ سورة فصلت: ٤٦.

٢ سورة النساء: ٤٨.

## ٦- مجازات الإنسان

مسألة ٢٠٩: هي المرحلة السادسة من مراحل عالم الآخرة، وفيها يتم إثابة المطيع ومعاقبة المسيء المخالف قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ \* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾<sup>١</sup>.

وإنما يداق الله سبحانه وتعالى العباد في الحساب يوم القيامة على قدر ما آتاهم من العقول في الدنيا وعلى حسب نياتهم في اقتراف الأعمال فيها فمن عمل لله عزّ وجلّ مخلصاً له الدين حنيفاً كافأه بأحسن الجزاء، ومن عمل لغيره أوكله إلى من عمل له ومن وقع فيما يشين عن سهوٍ لا عمدٍ قابله بإحسانه ولطفه ومغفرته.

وأما المرائي بأعماله فإنّه يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء (يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك فلا خلاص لك اليوم فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له) فلا يغني عنه من الحق شيئاً.

### اختصاص المؤاخذة بمرتكبي الآثام دون سواهم

مسألة ٢١٠: الذي نعتده في ذلك أن الله عزّ وجلّ لا يعذب أحداً من خلقه إلا على فعل محرم قد صدر عنه وكان ممن يستحق العقاب بسبب ارتكابه له لأنه لو ارتكب خلاف ذلك للزم صدور الظلم والجور والعدوان منه على عباده تعالى عن ذلك علواً كبيراً، وكلّ عاقل يحكم بقبح مؤاخذة البريء بسبب مخالفة وعصيان غيره فإذا كان ارتكاب ذلك مما ينزه العقلاء أنفسهم عنه فكيف بالحكيم المبدع المتعال.

(١) سورة الزلزلة: ٧-٨.

## حوض الكوثر ومجازاة المطيعين

مسألة ٢١١: قال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيّه ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾<sup>١</sup>.

قال الشيخ الصدوق: «اعتقادنا في الحوض إنه حق... وهو للنبي ﷺ وأن فيه من الأباريق عدد نجوم السماء، وأن الساقى عليه يوم القيامة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يسقي منه أولياؤه ويزود عنه أعداءه، ومن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً، وقال النبي ﷺ: «ليختلجنّ قوم من أصحابي دوني وأنا على الحوض فيؤخذ بهم ذات الشمال فأنادي: يا ربي أصحابي أصحابي، فيقال لي، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

## الصراط آخر منعطف مصيري في عالم الآخرة

مسألة ٢١٢: الصراط اسم للجسر الذي يعبر عليه جموع الناس إلى بوابة الجنة ويوجد أسفله على امتداده موقع تلقي جهنم للوافدين إليها فهو طريق المؤمنين إلى الجنة وطريق العصاة إلى النار.

ومن هنا جاء في وصفه للمؤمنين المخلصين المطيعين الفائزين بالنجاة والكرامة: أنه جسر يعبرون عليه بكل ثبات ويسر وسهولة إلى الجنة بأمان لينعموا فيها بالنعيم الأبدي ولكنهم يرون ويشاهدون ويشرفون أثناء عبوره على مشاهد أهوال الجحيم والعذاب السقيم فيحمدون الله على ما حباهم وأكرمهم به بالإيمان والفوز بنعيم الجنان.

بينما نجد وصفه للكافرين الملاحدة العصاة أنه:

١- أدقّ من الشعرة.

٢- أحدّ من السيف.

(١) سورة الكوثر: ١.

والمراد بذلك أنه لا تثبت لهم قدم عليه يوم القيامة من شدة ما يلحقهم من أهوال يوم القيامة ومخاوفها، فهم يمشون عليه كالذي يمشي على الشيء الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف وهذا مثلٌ مضروب لما يلحق الكافرين من الشدة في عبوره على الصراط ولا يكملونه إنما يسقطون ويهون منه ويتطايرون تحته في أتون نيران الجحيم المسجرة، ودركات الجحيم المستعرة.

وقد أشار إليهم سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاجِبُونَ﴾<sup>١</sup>، وقد ورد في الخبر بأنه يقف عن يمينه رسول الله ﷺ وعن شماله الإمام عليّ ﷺ ويأتيهما النداء من قبل الله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾<sup>٢</sup>.

## ٧ - خلود الإنسان

مسألة ٢١٣: يمثل خلود الإنسان المرحلة السابعة والأخيرة من مراحل الآخرة، والمراد بالخلود المكث الدائم ودوام البقاء بلا انتهاء ولا انقضاء سواء كان في جنة النعيم أم جهنم السقيم.

## علّة الخلود في الآخرة

مسألة ٢١٤: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وانما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا لو بقوا أن يطيعوا الله أبداً ما بقوا، فالنيات تخلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾<sup>٣</sup> قال: نيّته».

(١) سورة المؤمنون: ٧٤.

(٢) سورة ق: ٢٤.

(٣) سورة الإسراء: ٨٤.

## تكليف المؤمنين في عالم الآخرة

مسألة ٢١٥: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا هَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ رَّبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾<sup>١</sup>.

فلا يوجد تكليف كالذي كان متوجهاً لهم في عالم الدنيا والتي كان فيها العمل الحاضر بالجزاء المؤجل بينما هم اليوم يحصلون فيها على الجزاء الحاضر بلا عمل ويمكن إيجاز طبيعة وصف حالتهم فيها بالنقاط التالية:

١- مؤمنون موحدون.

٢- عالمون بفضل المنعم المتفضل عليهم بالإحسان.

٣- مدعونون باستحقاقه بالعبودية دون سواه.

٤- مأمورون بصلاح عقولهم بالسداد.

٥- مُحَسِّن لهم ما حُسِّن لهم في دار الدنيا من الرشاد.

٦- قلوبهم لا تنقلب عمّا عليه، ولا تتغيّر عن حقيقتها على كلّ حال بفساد.

٧- مأمورون:

أ- بما يؤثرون ويشتهون من لذائد الطعام والشراب.

ب- بما يخف على طباعهم.

ج- بما يميلون إليه من نعيم ورغد العيش.

د- بما لا يثقل عليهم من شكر المنعم سبحانه وتعظيمه وحمده على تفضّله

عليهم، وإحسانه إليهم وما أشبه ذلك من الأفعال.

وليس الأمر لهم بما وصفناه تكليفاً لأنّ التكليف إنّما هو إلزام ما يثقل على

الطباع، ويلحق بفعله المشاق.

## تكليف أهل النار في جهنم

**مسألة ٢١٦:** أهل النار أيضاً غير مكلفين ولا يتوجه إليهم الخطاب على غرار ما كان في الدنيا بل بنحو مخصوص كالأمر لهم بتناول ما فيها من طعام الزقوم وشراب الحميم المحدد وما كان متوجهاً للملائكة الموكلين فيها بأساليب وطرق تعذيبهم وانزال العقوبة بهم على نحو ما سيأتي بيانه فيتلقون العذاب الذي توعدهم الله جلّ جلاله وعزّ شأنه ويتقلبون في أصنافه وكلفه ومشاقه وآلامه على ما لا يحصى على حسب وقدر ما اجترحوه من آثام واقترفوه من ذنوب ومعاصي وسيئات في زمن التكليف في عالم الدنيا، وينقسمون إلى فئتين وقسمين مؤقتين ودائمين:

أما المؤقتون فهم الذين لا يخلدون في جهنم وإنما يعذبون بمقدار ذنوبهم في فترة زمنية مؤقتة تنقص وتزيد بحسب مقدار معاصي كل منهم وفترة استنفاد عقوبتهم وعذابهم ومجازاتهم فإن استوفوها نقلوا ورحلوا إلى الجنة لينعموا فيها شأنهم شأن من سبقهم إليها من المؤمنين الخالص لكنهم يكونون فيها أقل درجة منهم في نيل ما أعدّ فيها من نعيم.

وأما الدائمون فهم الذين كفروا وألحدوا وأنكروا الله عزوجل وعصوه بكل ما يستطيعون فمثل هؤلاء يتلقون العذاب الدائم المؤبد الخاص بهم وفق البرنامج المعدّ لهم.

## الأعراف

**مسألة ٢١٧:** وهو مكان ليس من الجنة ولا من النار، وآته إذا كان يوم القيامة كان به رسول الله وأمير المؤمنين والأئمة من ذريته عليهم السلام وهم الذين عنى الله سبحانه بقوله: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾<sup>١</sup>. وذلك أن الله تعالى يعلمهم أصحاب الجنة وأصحاب النار

بسيما يجعلها عليهم -وهي العلامات- وقد بين ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ كَلِمًا بِسِيمَاهُمْ﴾ و﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ \* وَإِنَّهَا لَبَسِيلٌ مَّقِيمٌ﴾<sup>١</sup> فأخبر أنّ في خلقه طائفة يتوسّمون الخلق فيعرفونهم بسيماهم.

وروي عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه قال في بعض كلامه: «أنا صاحب العصا والميسم. يعني: علمه بمن يعلم حاله بالتوسّم».

## الجنة

مسألة ٢١٨: اعتقادنا فيها انها دار البقاء ودار السلامة لا موت فيها ولا هرم ولا سقم ولا مرض ولا آفة ولا زوال ولا زمانة ولا هم ولا غم ولا حاجة ولا فقر وانها دار الغنى ودار السعادة ودار المقامة ودار الكرامة لا يمس أهلها نصب -أي تعب- ولا يمسهم فيها لغوب -أي إعياء-، لهم فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون.

## لذات الجنة ونعيمها

مسألة ٢١٩: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثُلَّةٌ مِّنَ الْأُولَى \* وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ \* عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ \* مُتَكِنِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ \* يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ \* بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ \* لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْفُونَ \* وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ \* وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ \* وَخُورٍ عَيْنٍ \* كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ \* جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا \* إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا \* وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ \* مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ \* فِي سِدْرٍ

مَخْضُودٍ \* وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ \* وَظِلِّ مَمْدُودٍ \* وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ \* وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ \* لَا مَقْطُوعَةٍ  
وَلَا مَمْنُوعَةٍ \* وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ \* إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً \* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا \* غُرْبًا  
أَنْزَابًا \* لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١﴾.

فكل هذا النعيم والتنعيم إنما هو جزاء لأهل الجنة على أعمالهم وطاعتهم لله عزوجل في عالم الدنيا حيث غمرهم الفضل والكرم الإلهي بها ومكثهم من جميع وجوه الالتذاذ بالمأكل والمشرب والمناظر والمناكح وما تدركه حواسهم مما يطبعون على الميل إليه ويدركون مرادهم بالظفر به.

### الوضع النفسي العام لأهل الجنة

مسألة ٢٢٠: قال سبحانه وتعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾<sup>١</sup>، ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>٢</sup>، ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ \* لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ \* لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾<sup>٣</sup>.

### وصف أهم ملامح ومرافق الحياة في الجنة

مسألة ٢٢١: وقد وردت جملة من الآيات القرآنية في وصف مرافق الحياة في الجنة نستعرضها بالنحو التالي:

١- مساكن أهل الجنة: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

(١) سورة الواقعة: ١٠-٣٨.

(٢) سورة الزخرف: ٦٨-٦٩.

(٣) سورة المائدة: ١١٩.

(٤) سورة الأنبياء: ١٠١-١٠٣.

جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>١</sup>، ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مِّنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ<sup>٢</sup>، ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ<sup>٣</sup>﴾.

٢- حور الجنة: الحور جمع حوراء وهي الفتاة الحسنة الجميلة البيضاء الشديدة سواد العين قال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ<sup>٤</sup>، ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْحِيَامِ<sup>٥</sup>، ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً \* فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا \* غُرُبًا أَتْرَابًا<sup>٦</sup>، ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ<sup>٧</sup>﴾.

٣- ثياب الجنة: قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا \* أُولَئِكَ هُمُ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا<sup>٨</sup>﴾.

٤- أنهار وأشجار وزروع الجنة: قال سبحانه وتعالى: ﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ حَمْرٍ لَّدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ<sup>٩</sup>، ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا

(١) سورة التوبة: ٧٢.

(٢) سورة الزمر: ٢٠.

(٣) سورة يس: ٥٦.

(٤) سورة الدخان: ٥٤.

(٥) سورة الرحمن: ٧٢.

(٦) سورة الواقعة: ٣٥-٣٧.

(٧) سورة ص: ٥٢.

(٨) سورة الكهف: ٣٠-٣١.

(٩) سورة محمد ﷺ: ١٥.

يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ<sup>١</sup>، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ \* وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾<sup>٢</sup>.

٥- مأكولات الجنة وطعامها: قال سبحانه وتعالى: ﴿أَكُلْهَا ذَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾<sup>٣</sup>، ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ \* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾<sup>٤</sup>، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ \* فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ \* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ \* بَيْضَاءَ لَدَّةٍ لِلشَّارِبِينَ \* لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>٦</sup>، ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾<sup>٧</sup>.

٦- الخلود في الجنة: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>٨</sup>، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا \* مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾<sup>٩</sup>، ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا \* خَالِدِينَ فِيهَا لَا

(١) سورة المائدة: ١١٩.

(٢) سورة المرسلات: ٤١-٤٢.

(٣) سورة الرعد: ٣٥.

(٤) سورة الزخرف: ٧٠-٧٣.

(٥) سورة الصافات: ٤١-٤٧.

(٦) سورة البقرة: ٢٥.

(٧) سورة الإنسان: ١٤.

(٨) سورة البقرة: ٨٢.

(٩) سورة الكهف: ٢-٣.

يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا<sup>١</sup>، ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾<sup>٢</sup>.

## جَهَنَّمَ

مسألة ٢٢٢: اعتقادنا في النار أنّها دار الهوان ودار الانتقام من أهل الكفر والعصيان وموضع العذاب الذي توعدّ الله سبحانه وتعالى به في الدنيا للعصاة والمجرمين ومنتهكي الحرمات ومرتكبي المحرمات والمتعدين الحدود والمتكبرين والمكابرين لما جاء به الأنبياء والرسل هداية للعالمين، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>٣</sup>.

طعام أهل جهنم: قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا \* إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾<sup>٤</sup>، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾<sup>٥</sup>، ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ \* طَعَامُ الْأَثِيمِ \* كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ \* كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ \* خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ \* ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ \* ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>٦</sup>.

لباس أهل جهنم: قال سبحانه وتعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ \* يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ \* وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ \* كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾<sup>٧</sup>.

(١) سورة الكهف: ١٠٧-١٠٨.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٢.

(٣) سورة النساء: ٥٦.

(٤) سورة النبأ: ٢٤-٢٥.

(٥) سورة الكهف: ٢٩.

(٦) سورة الدخان: ٤٣-٤٩.

(٧) سورة الحج: ١٩-٢٢.

تخاصم أهل جهنم: قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ \* هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ \* وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ \* هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ \* قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْفَرَارُ \* قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ \* وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ \* أَخَذْنَاَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ رَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ \* إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ \* قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ \* وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْيَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ \* قَالُوا أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ \* إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾<sup>٢</sup>.

## المعذبون في جهنم

مسألة ٢٢٣: ينقسم المعذبون في جهنم إلى قسمين: كفار ومؤمنين مذنبين:

### ١- الكفار:

وهم أولئك الذين يخلدون في العيش فيها ويعذبون العذاب المؤبد الذي لا ينقطع.

قال الشيخ الصدوق: ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر والشرك، وقال الشيخ المفيد: اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة.

(١) سورة ص: ٥٥-٦٤.

(٢) سورة غافر: ٤٧-٥١.

فليس يُخَلَّد فيها إلا الكافرون قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى \* لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى \* الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾<sup>١</sup> يريد بالصلي هاهنا الخلود فيها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾<sup>٢</sup> وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾<sup>٣</sup> الآيتان وكل آية تتضمن ذكر الخلود في النار فإنما هي في الكفار دون أهل المعرفة بالله تعالى.

## ٢- المؤمنون المذنبون:

لا يخلد المذنبون والعصاة من أهل التوحيد في جهنم وإنما يعاقبون في جهنم على وفق ذنوبهم ومقدار آثامهم الدنيوية كما قدمنا الإشارة إليه ولا بد من انقطاع عقابهم بعد ذلك ونقلهم من النار إلى الجنة ليوفيهم الله تبارك وتعالى جزاء أعمالهم الحسنة الصالحة التي اصطحبوها معهم إلى آخرتهم من المعارف والتوحيد والإقرار بالنبوة والأئمة والأعمال الصالحات، لأنه لا يجوز بمقتضى موازين العدل الإلهي أن يأتي العبد بطاعةٍ ومعصيةٍ فيخلد في النار بالمعصية ولا يُعطى الثواب على الطاعة، وقد يخرج أولئك من جهنم بالرحمة التي تدركهم والشفاعة التي تنالهم.

(١) سورة الليل: ١٤-١٦.

(٢) سورة النساء: ٥٦.

(٣) سورة المائدة: ٣٦.

## الملائكة والجن<sup>١</sup>

مسألة ٢٢٤: الملائكة والجن كائنات عاقلة تجاري الإنسان وتشاركه في جملة من صفاته وخصائصه ولكنها تفترق عنه في أمور نوضحها فيما يلي:

### ١- الملائكة

مسألة ٢٢٥: يجب الاعتقاد بوجود الملائكة ويجب القول بعصمتهم مما يوجب لهم العقاب بالنار وطهارتهم ويجب تعظيمهم، ويحرم الاستخفاف بهم وسبهم وقول ما يوجب الازدراء بهم، خلقهم الله تعالى بصفات خاصة ولمهام خاصة فأما الصفات الخاصة فهي:

١- أجسام نورانية لطيفة حيّة ليست جسمانية كثيفة تجيء وتذهب كالناس.

٢- ذوات عقول وأفهام.

٣- قدرة على التصرفات السريعة والأفعال الشاقة.

٤- لبعضهم أجنحة، ولهم صعود ونزول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>١</sup>.

٥- متمحضو الطاعة: قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾<sup>٢</sup>.

٦- مُيسَّرُونَ للطاعات مجبولون مطبوعون على العبادات: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ \* يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ

(١) سورة فاطر: ١.

(٢) سورة الأنبياء: ٢٧.

فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ»<sup>١</sup>، «إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ»<sup>٢</sup>، «وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ \* يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ»<sup>٣</sup>، «وَمَنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ \* فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ»<sup>٤</sup>.

## المهام الخاصة بالملائكة

مسألة ٢٢٦: أهم المهام الخاصة بهم فهي:

- ١- كتابة أعمال العباد من خير وشر.
  - ٢- إيصال الوحي إلى الأنبياء والرسل.
  - ٣- حفظ الإنسان من المكاره ودفع المخاطر عنه.
  - ٤- مساعدة المؤمنين.
  - ٥- تدبير الأرزاق المادية للخلائق وتأمين الأرزاق حسب الاستحقاق.
  - ٦- قبض الأرواح.
  - ٧- الدعاء والاستغفار للمؤمنين.
  - ٨- هداية القلوب بنصب الدلائل والبراهين الموصلة لها.
  - ٩- تولي أعمال التعذيب في الآخرة.
- مسألة ٢٢٧: يجب الاعتقاد أن بعضها أقرب عند الله من البعض وأكمل درجة كما

(١) سورة النحل: ٤٩-٥٠.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠٦.

(٣) سورة الأنبياء: ١٩-٢٠.

(٤) سورة فصلت: ٣٧-٣٨.

قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾<sup>١</sup> وإنكار المشاهير منهم كجبرئيل وعزرائيل وميكائيل وإسرافيل كفر قال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾<sup>٢</sup> فيجب الاعتقاد فيهم أنهم رسل الله تعالى من ملائكته وأنهم أفضل الملائكة وأعظمهم منزلةً ونجمل التعريف بهم بالنحو التالي:

١- جبرائيل هو صاحب الوحي وروح القدس والروح الأمين ينصر أولياء الله ويقهر أعداءه وهو رسول الله إلى جميع أنبيائه ورسله ائتمنه على الرسالة وائتمنه الأنبياء على ما نزل به إليهم.

٢- ميكائيل: صاحب الأرزاق والأغذية.

٣- إسرافيل: وهو صاحب الصور الذي قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾<sup>٣</sup>.

٤- عزرائيل: هو ملك الموت الموكل بقبض الأرواح الذي قال الله تعالى عنه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾<sup>٤</sup> ومن أصناف الملائكة حملة العرش والحافون حوله كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾<sup>٥</sup> وقال سبحانه: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾<sup>٦</sup>.

(١) سورة الصافات: ١٦٤.

(٢) سورة الحج: ٧٥.

(٣) سورة الزمر: ٦٨.

(٤) سورة السجدة: ١١.

(٥) سورة الحاقة: ١٧.

(٦) سورة الزمر: ٧٥.

## ٢- الجنّ

مسألة ٢٢٨: الجن من (الاجتنان) بمعنى الاختفاء سميت به لاستتارهم عن الأبصار، وهي أجسام لطيفة نقّادة حيّة، ذوات نفوس قويّة غالبية على أجسادها قادرة على التمدّد والانقباض وعلى تشكيل أنفسها بأشكال مختلفة بعضها ممّا يوجب لها سهولة النفوذ في المنافذ وعلى الأعمال الشاقّة.

قال الله عزّ وجلّ في قصة سليمان على نبينا وعليه السّلام: ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ...﴾ إلى أن قال: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَّحَارِبٍ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾<sup>١</sup>.

ولها علوم وإدراكات من جنس علومنا وإدراكاتنا الوهميّة وأوائل العقليات قال الله جلّ جلاله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾<sup>٢</sup>.

فمنهم مؤمن صالح، ومنهم كافر مارد، قال الله تعالى حكاية عنهم:

﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾<sup>٣</sup>، وقال أيضاً عنهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾<sup>٤</sup>.

وقال الإمام الصّادق عليه السّلام: «الجن على ثلاثة أجزاء: فجزء مع الملائكة وجزء يطيرون في الهواء وجزء كلاب وحيات».

(١) سورة سبأ: ١٢-١٣.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٩.

(٣) سورة الجن: ١٤.

(٤) سورة الجن: ١-٢.

## إبليس اللعين

مسألة ٢٢٩: إبليس اسم خاص للشيطان المعروف من الجن روي أن اسمه كان حارث (حَرَث)، ثم سمي عزازيل أي عزيز الله؛ لطول عبادته وسجدياته، وبعد أن استكبر وامتنع من السجود لآدم عليه السلام عندما خلقه الله تعالى وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا كلهم إلا هو سمي إبليس.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ \* فَاذًا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ \* فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَسْمَعُونَ \* إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ \* قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ \* وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>١</sup>، ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾<sup>٢</sup>، ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ \* قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَّكِبَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾<sup>٣</sup>، وبعد إباطه عن السجود وطرده من رحمة الله دُعي بالشيطان، وسمي رجيماً لأن النبي إبراهيم عليه السلام رجمه في منى.

وبسبب ما ارتكبه من التمرد والعصيان أخرجته الله تعالى من مقامه الذي حباه به بين أشرف وصفوة الملائكة وأكرمهم عنده، وأبعده عن رحمته وطرده من محيطهم بعد أن كان خازناً على الجنان، وله سلطان سماء الدنيا، وسلطان الأرض وأنزله إلى عالم دنيا الإنسان ليعيش بين البشر حتى أجله المؤجل والمقدر له.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «أمر إبليس بالسُّجودِ لِآدَمَ، فَقَالَ يَا رَبِّ وَعَزَّيْتُكَ، إِنَّ

(١) سورة ص: ٧١-٧٨.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) سورة الأعراف: ١٢-١٧.

أَعْفَيْتَنِي مِنَ السُّجُودِ لِأَدَمَ لِأَعْبَدْتَنِكَ عِبَادَةً مَا عَبَدَكَ أَحَدٌ قَطُّ مِثْلَهَا، قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَطَاعَ مِنْ حَيْثُ أُرِيدُ».

وحينئذ التمس من الله الإمهال والإنظار إلى يوم البعث، فأمهله إلى الوقت المعلوم، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ \* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ \* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾<sup>١</sup>، ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ \* قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾<sup>٢</sup>، ورجح بعض علمائنا كما هو المستفاد من سياق الآيات أن يراد باليوم المعلوم هو يوم النفخ في الصور وبداية أشراط وفصول عالم القيامة التي تقدم ذكرها.

### مصير إبليس يوم القيامة

مسألة ٢٣٠: قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾<sup>٣</sup>، ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْذُومًا مَّدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾<sup>٤</sup>.

وهناك آيات تدل على أن إبليس بعد حكم الله وقضائه فيه يوم القيامة وادخاله في جهنم مع من تبعه وانساق لدسائسه ووساوسه واغراءاته يتبرأ من أتباعه في الدنيا ويحملهم مسئولية سيئاتهم وما اقترفته أيديهم ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>٥</sup>، ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ \* وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ \* مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ \*

(١) سورة ص: ٧٩-٨٣.

(٢) سورة الأعراف: ١٢-١٧.

(٣) سورة الإسراء: ٦٣.

(٤) سورة الأعراف: ١٢-١٧.

(٥) سورة إبراهيم: ٢٢.

فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ \* وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ \* قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ \*  
تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾.

## الحكمة من إمهال إبليس

مسألة ٢٣١: لا شك أن إرجاء إبليس وإمهاله إلى يوم الوقت المعلوم له حكم وغايات مختلفة ومتعددة لا يعلم حقيقتها سوى الله تعالى والذي نستفيده من مجمع ماورد فيه أن ابقاءه على الرغم من استيلاء حالة التمرد والعصيان عليه سيكون له أهمية كبيرة ضمن منظومة التكليف التي تعبد الله جل شأنه بها خلقه في عالم الدنيا وأن ما سيصدر منه من وساوس للإنسان وترغيبه له بارتكاب المعاصي واقتراف الرذائل هو في حد ذاته له بعدان: (إيجابي وسلبي) فأما الإيجابي فيكون من خلال امتحان الإنسان المؤمن الملتزم لتعلو منزلته وينال حظه من رفيع الدرجات والتنعم في تلك العرصات عندما يبرز حقيقة العبودية والتبعية والانضباط بما بلغه من أحكام شرع ربّه ودينه القويم والتزام بصراطه المستقيم ورفض إملاءات الوسواس الشيطانية.

وأما البعد السلبي فيكون عندما يقع المكلف الضعيف الإرادة أو المتطبع بالعصيان والمتصف بالتمرد في شباك وساوسه وتسويلاته فينكشف بسببه زيف معدنه ورداءة جوهره ويظهر جلياً بمظهر المفسد الملازم للفساد المجانب للرشاد وطرق السداد فينال بحجم ما يصدر منه من مخالفات ما يستحق من العذاب والجزاء الأخروي.

## استعانتة بشياطين الجنّ والإنس

مسألة ٢٣٢: من المعروف أن إبليس اللعين ليس وحيداً في قيادة جبهة الباطل والجحود والإضلال في معركة الحق والباطل والهداية والضلال والاستقامة والانحراف في عالم الدنيا بل له القيادة العليا ويستعين بجنود وأعوان من شياطين الجن وذريته

وشياطين الإنس والجن لإغواء البشر بالمعاصي وإغرائهم بالمحرمات وترغيبهم في اقتراف أنواع الرذائل والخطايا والموبقات وتزيينها في أعينهم.

قال جلَّ شأنه عن لسان إبليس: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ \* قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا \* وَاسْتَفْرَزَ مِنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِحِيلِكَ<sup>١</sup> وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدْتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا<sup>٢</sup>، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا<sup>٣</sup>﴾.

### استمرار اغواء إبليس من أول يوم إلى نهاية الدنيا

مسألة ٢٣٣: قال سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ \* ثُمَّ لَا تَجِدُنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ<sup>٤</sup>، ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ<sup>٥</sup>.  
 فبعد أن حظي إبليس بالإمهال الذي طلبه والإرجاء الذي رغبه أقسم أن يغوي جميع عباد الله إلا المخلصين منهم، فتوعده الله في المقابل أن يدخله ويحشره مع من اتبعه في جهنم.

وتبدأ قصة صدام إبليس مع آدم منذ اليوم الذي خلق فيه وأول دسائس مكره التي ارتكبتها في حقه كانت معه ومع زوجته أمنا حواء عليهما السلام كما أشار إليه سبحانه وتعالى في قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

(١) المعنى: وأجمع عليهم من ركبان جندك ومشاتهم من يجلب عليها بالدعاء إلى طاعتك، والصرف عن طاعتي.

(٢) سورة الإسراء: ٦٢-٦٤.

(٣) سورة الكهف: ٥٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٢-١٧.

(٥) سورة ص: ٧٩-٨٣.

لِبَعْضِ عَدُوِّكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ ۝<sup>١</sup>.

ثم مع قابيل حيث وسوس له وأغراه بقتل أخيه هابيل وتستمر مؤامراته منذ ذلك الحين وتستمر ما قدر لحياة الإنسان من بقاء في عالم الدنيا. ويمكن النجاة من وساوسه ومكائده ودسائسه بالاستعاذة اللفظية مضافاً للعلمية والعملية وهي تعني الالتجاء بحصن الله الحصين من شره وشر جنوده من الجن والإنس.

فمن الآيات:

١- ﴿وَأَمَّا يَنْزِعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝<sup>٢</sup>.

٢- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ \* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ۝<sup>٣</sup>.

ومن المأثور في الروايات:

١- «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم».

٢- «أستعيد بالله من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله أن يحضرون، إن الله هو

السميع العليم».

٣- «أعوذ بالله السميع العليم، من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن

يحضرون، إن الله هو السميع العليم».

(١) سورة البقرة: ٣٦.

(٢) سورة فصلت: ٣٦.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٧-٩٨.



# القسم الخامس

في فقه القيادة الإلهية



## القيادة الإلهية

مسألة ٢٣٤: القيادة الإلهية بمفهومها الواسع هي قمة رأس الهرم الإداري والتوجيهي لتسيير دفة حياة الإنسان وفق شريعة الله عزوجل لضمان سعادته الدنيوية والأخروية.

## أقسام القيادة

مسألة ٢٣٥: في كتاب الله عزوجل القيادة التي تقود العالم إمامان: إمام هدى وإمام ضلالة قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾<sup>١</sup> وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ \* وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾<sup>٢</sup>.

والقيادة التي نحن بصدد الحديث عنها تنقسم إلى قسمين:

١- قيادة وضعية ومنشؤها توافق وتوافق بشري ودواعي خاصة أو نوازع وطنية وقومية وهي التي يشير إليها الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة بقوله: «لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في أمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفياء ويُقاتل به العدو وتأمين به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر».

٢- قيادة إلهية منشؤها الحكمة الإلهية وفق ما تتطلبه من دواعي وأهداف سامية نبيلة وهي التي يشير إليها الإمام الرضا عليه السلام عند كلام له في ذكر علل جعل أولي الأمر والأمر بطاعتهم بقوله: منها أن الخلق لما وقفوا على حدّ محدود وأمروا أن لا

(١) سورة الأنبياء: ٧٣.

(٢) سورة القصص: ٤١-٤٢.

يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيماً يمنعهم من الفساد ويقيم فيهم الحدود والأحكام.

ومنها أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس، ولما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا، فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بد له منه، ولا قوام لهم إلا به فيقاتلون به عدوهم ويقسمون فيهم ويقيم لهم جمعيتهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم.

ومنها أنه لو لم يجعل لهم اماماً قيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدين وغيّرت السنن والأحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك على المسلمين، لانا وجدنا الخلق منقوصين محتاجين غير كاملين مع اختلافهم واختلاف أهوائهم وتشتت أنحاءهم فلو لم يجعل لهم قيماً حافظاً لما جاء به الرسول ﷺ لفسدوا على نحو ما بينا وغيّرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان؛ وكان في ذلك فساد الخلق أجمعين.

## مصطلحات القيادة الإلهية

مسألة ٢٣٦: وهي القيادة التي تعتمد على اصطفاء الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام وتستمد شرعيتها من الاختيار والتعيين والتسديد والارشاد الإلهي لتسيير شؤون الخلق وفق مقتضيات ومقاصد شريعة الخالق وأهم اصطلاحاتها الخاصة ثلاثة: (رسول، نبي، إمام) وتفصيل الحديث عنها نوره كما يلي:

## مصطلح النبوة

مسألة ٢٣٧: النبوة في اللغة مطلق الإنباء والإخبار وشرعاً خصوص الإخبار والإنباء عن الله تعالى.

فهي وظيفة وسفارة ربانية يتوسط فيها النبي بين الله تعالى وآلؤه والناس من

أجل ابلاغهم الإرشادات والأوامر الإلهية مما فيه هدايتهم إلى الحق وانتظام شؤونهم في الدنيا وسعادتهم في الآخرة وتنبئهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم العامة والخاصة وتنزيههم وتزكيتهم من مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات وتعليمهم الحكمة والمعرفة وبيان طرق السعادة والخير وما تتجلى به إنسانية الإنسان من خلال الالتزام بما فيه كمالها اللائق بها.

ومن أجل تحقيق ذلك حسب الحكمة الإلهية ونجاح مهامه الموكلة إليه:

- ١- لم يجعل الله تعالى الحق في تعيين القوائم بمهام النبوة وترشيحه وانتخابه موكولاً إلى الناس بل أمر كل ذلك بيده تعالى لأنه أعلم حيث يجعل رسالته.
- ٢- لا يحق للناس أن يتحكموا في توجهات وسيرة من يرسله سبحانه وتعالى إليهم هادياً ومبشراً ونذيراً.
- ٣- لا يحق للناس أن يتحكموا ويتشبهوا في العمل بما جاء به من أحكام وسنن وشرعية.

## أصل النبوات السماوية ومبدؤها

مسألة ٢٣٨: المصدر الأول لتشريع الشرائع ووضع النظم والأحكام التكليفية الخاصة ببني الإنسان وسن السنن التكليفية لهم هو الله عزوجل فقط دون سواه، وإنما يقتصر دور الأنبياء والأئمة والفقهاء على كونهم وسائط مؤتمنين لتبليغها بحسب مراتب الأداء وخصوصيات المسؤولية الملقاة على عاتقهم وقد أشار القرآن الكريم لمقام الاختصاص هذا في عدة مواضع يمكن ايجازها من خلال هذه النقاط الثلاث:

- ١- علمه وكماله المطلقين: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>١</sup>.
- ٢- اختصاصه سبحانه وتعالى بالتشريع وسن الأحكام ووجوب الامتثال والانصياع إليه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ

(١) سورة العنكبوت: ٦٢.

(٢) سورة يوسف: ٤٠.

الْكَافِرُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَمَنْ لَّمْ يُحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾<sup>٣</sup>.

٣- إحاطته بتكوين ونشأة الإنسان وحاجاته ومتطلباته: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾<sup>٤</sup>، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾<sup>٥</sup>، ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾<sup>٦</sup>.

## النبوة عامة وخاصة

مسألة ٢٣٩: تنقسم مباحث النبوة إلى مباحث النبوة العامة وإلى مباحث النبوة الخاصة أما الأولى فيذكر في ضمنها المشتركات العامة والمؤهلات والشروط الواجبة الشاملة لجميع الأنبياء بلا استثناء ويلقى فيها الضوء على أصل ضرورة وجود النبي ومدى حاجة وافتقار الإنسان والمجتمع والحياة البشرية إليه وما يرتبط بذلك المفهوم من جزئيات ومفاهيم أخرى.

وأما الثانية فيذكر فيها ما يختص به كل نبي وما تختص به دعوته من ظروف وملابسات خاصة وستناولها بالذكر فيما يلي.

## الحاجة إلى بعثة الأنبياء

مسألة ٢٤٠: يمكن الاستدلال على أهمية بعثة الأنبياء وضرورتها بعدة أدلة:

١- اقتضاء الحكمة الإلهية: ترغيب الناس في الطاعة والهداية والصالح ومعرفة ما يجب عليهم وما نهوا عنه وترهيبهم من المعصية وابعادهم عن كل مظاهر

(١) سورة المائدة: ٤٤.

(٢) سورة المائدة: ٤٥.

(٣) سورة المائدة: ٤٧.

(٤) سورة ق: ١٦.

(٥) سورة الملك: ١٤.

(٦) سورة الزمر: ٧.

الانحراف والضلال.

٢- ضرورة تصحيح المعتقدات البشرية الخاصة بعالم الغيب، وما لا طريق لمعرفة إلا بتوسط الأنبياء.

٣- حاجة البشرية إلى الإرشاد والتعليم والتوعية لنيل السعادة الحقيقية وإدراك مصالحة الواقعية.

٤- افتقار البشرية إلى شريعة متكاملة تنظم حياتها وتحافظ عليها من أجل استقرارها وضمان استمرار بقائها في الحياة.

## مراتب النبوة

مسألة ٢٤١: المستفاد من النصوص الواردة في هذا المقام أن للنبوة ثلاث مراتب دنيا ووسطى وعليها.

والمرتبة الدنيا هي المرتبة الدارجة بين سائر الأنبياء والقاسم المشترك الذي يصدق معه عنوان النبوة والمصحح للاتصاف بها لكل واحد منهم.

وأما المرتبة الوسطى فهي مرتبة الرسالة وفُرق بين النبي وبين الرسول بأمر ثلاثة:

١- أن الرسول هو المخبر عن الله بغير واسطة أحد من البشر وله شريعة مبتدأة كآدم عليه السلام أو ناسخة كشريعة الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- أن النبي هو الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك والرسول هو الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك.

٣- أن الرسول قد يكون من الملائكة بخلاف النبي فإنه لا بد أن يكون إنساناً.

وأما المرتبة العليا فهي مرتبة أولو العزم، وهم خمسة أنبياء: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام الرضا عليه السلام في سبب تسميتهم بذلك: «إنما سمي أولوا العزم أولي العزم لأنهم كانوا أصحاب الشرائع، والعزائم وذلك أن كل نبي بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام وكل نبي كان في أيام

إبراهيم وبعده على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى عليه السلام، وكل نبي كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيام عيسى عليه السلام وكل نبي كان في أيام عيسى عليه السلام وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وآله فهؤلاء الخمسة أولو العزم فهم أفضل الأنبياء والرسل عليهم السلام وشريعة محمد صلى الله عليه وآله لا تنسخ إلى يوم القيامة ولا نبي بعده إلى يوم القيامة فمن ادعى بعد نبوة أو أتى بعد القرآن بكتاب قدمه مباح لكل من سمع ذلك منه».

## النبوة لطف رباني

مسألة ٢٤٢: سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام السؤال التالي: من أين أثبتت الأنبياء والرسل؟ فأجابته الإمام بقوله: «إنّا لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنا، وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشروهم ويباشرونه ويحاجّهم ويحاجّونه، ثبت أن له سفراء في خلقه، يعبرون عنه إلى خلقه وعباده، ويدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم، وما به بقاؤهم، وفي تركه فناؤهم، فثبت الأمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه، والمعبرون عنه - عزّ وجلّ - وهم الأنبياء».

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام في بيان وجوب معرفة الرسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة على العباد أنّه قال: «لأنّه لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملون لمصالحهم، وكان الصانع متعالياً عن أن يرى، وكان ضعفهم عن إدراكه ظاهراً فلم يكن بداً من رسول بينهم وبينه معصوم يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويوقفهم على ما يكون به من احراز منافعهم، ودفع مضارهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون به من منافعهم ومضارهم، فلو لم يكن لهم في مجيء الرسول منفعة ولا سد حاجز ولكان إتيانه عبثاً بغير منفعة ولا صلاح».

## عصمة الأنبياء

مسألة ٢٤٣: الذي نعتقه في شأن أفعالهم أنهم معصومون منذ ولادتهم إلى حين وفاتهم وارتحالهم عن هذه الحياة وهذا العالم، فلا يرتكبون ذنباً مطلقاً صغيراً كان أو كبيراً لاعتدوا على عمده ولا عن سهو، منزّهون عن الكفر والضلال فيها قبل النبوة وبعدها، وأنه يجب تعظيمهم على الإطلاق ويكفر المستخف بهم والمنكر لهم أو بواحد منهم.

## طبقات الأنبياء والمرسلين

مسألة ٢٤٤: قال الإمام الصادق عليه السلام: «الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات فنبى منبأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة ولم يُبعث إلى أحدٍ وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلوباً أو كثروا كيونس قال الله تعالى ليونس: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾<sup>١</sup> قال: يزيدون ثلاثين ألفاً وعليه إمام.

والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم نبياً وليس بإمام حتى قال الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾<sup>٢</sup> قال: ومن ذريتي؟ فقال الله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾<sup>٣</sup> من عبد صنماً أو وثناً لا يكون إماماً.

## عدد الأنبياء

مسألة ٢٤٥: روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: «قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: مائة وأربعة وعشرون ألف نبي. قلت: كم المرسلون منهم؟ قال:

(١) سورة الصافات: ١٤٧.

(٢) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣) تنمة الآية السابقة.

ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيراً، قلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياء مرسلًا؟ قال: نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم قال: يا أبا ذر أربعة من الأنبياء سريانيون آدم وشيث واخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بالقلم ونوح، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد، وأول نبي من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى وستمائة نبي، قلت: يا رسول الله: كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله تعالى على شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

## رسول الإسلام

مسألة ٢٤٦: قال تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>١</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾<sup>٢</sup>، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>٣</sup>، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>٤</sup>، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>٥</sup>.

روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خلق الله عز وجل مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي أنا أكرمهم على الله ولا فخر وخلق الله عز وجل مائة ألف وصي وأربعة وعشرين ألف وصي فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم».

(١) سورة الصف: ٩.

(٢) سورة الأنفال: ٢٤.

(٣) سورة التوبة: ١٢٨.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٥) سورة الأحزاب: ٢١.

فالذي نعتقد به أن خاتم النبيين وسيد المرسلين من الأولين والآخرين هو نبينا أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ﷺ، وأنه أفضل المرسلين وخيرة النبيين وسيد البشر جميعاً لا يوازيه فاضل في فضل ولا يدانيه كريم في مكرمة، ولا يماثله عاقل في عقل، ولا يجاريه متخلق في خلق، وأنه لعل خلق عظيم من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة.

وأن شريعته ناسخة لما تقدمها من الشرائع المخالفة لها، وأنه لا نبي بعده ولا شريعة بعد شريعته، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كاذب على الله تعالى، ومن يغير شريعته فهو ضال كافر من أهل النار إلا أن يتوب ويرجع إلى الحق بالإسلام فيكفر الله تعالى حينئذٍ عنه بالتوبة ما كان مقترفاً من الآثام.

### في إثبات نبوته ﷺ

مسألة ٢٤٧: الدليل على صحة نبوته ﷺ هو أنه ادعى النبوة وظهر المعجزة على يده وجاء بشريعة متكاملة لا يمكن أن تصدر من بشر، وكل من كان كذلك كان نبياً حقاً، فيحتاج إلى بيان أمور ثلاثة:

الأول: أنه ادعى النبوة، بحيث لم ينكر أحد ممن عاصره وشافهه أنه لم يدعها.

الثاني: أنه ظهر المعجزة على يده، والمعجز هو الأمر الخارق للعادة المطابق للدعوى المقرون بالتحدي المتعذر على الخلق الإتيان بمثله.

الثالث: أنه جاء بما يثبت صدق ادعائه بشريعة متكاملة لا يتصور أن تصدر من بشر.

### نبذة عن حياته ﷺ

مسألة ٢٤٨: نسبه الشريف الطاهر المبارك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وقد روى عنه عليه السلام أنه قال: «إذا بلغ نسبي عدنان فامسكوا».

**مسألة ٢٤٩:** ولد عليه السلام يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت من ملك كسرى أنوشيروان بن قباد وهو قاتل مزدك والزنادقة ومببرهم وهو الذي عنى رسول الله عليه السلام على ما يروى: «ولدت في زمان الملك العادل الصالح»، ولثمان سنين وثمانية أشهر: من ملك عمرو بن هند ملك العرب، وكنيته أبو القاسم.

**مسألة ٢٥٠:** أمه الشريفة الجليلة أمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأرضعته حتى شبّ حليلة بنت عبد الله بن الحارث بن شجنة السعدية من بني سعد بن هوازن، وأما جدته أم أبيه عبد الله فهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرة من بني النجار وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال من بني سليم، وأم قصي فاطمة بنت سعد من أزد السراة.

**مسألة ٢٥١:** صدع عليه السلام بالرسالة يوم السابع والعشرين من شهر رجب وله يومئذ أربعون سنة وتزوج بخديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتوفي عمه أبو طالب وهو ابن ست وأربعين سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يوماً، وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام، وسمى رسول الله عليه السلام ذلك العام عام الحزن، وقام بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، ثم هاجر منها إلى المدينة بعد أن استتر في غار حراء ثلاثة أيام ودخل المدينة يوم الاثنين الحادي عشر من ربيع الأول وبقي بها عشر سنين.

**مسألة ٢٥٢:** توفي عليه السلام يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر صفر سنة إحدى عشر من الهجرة وله من العمر ثلاث وستون سنة، قضى منها مع أبيه سنتين وأربعة أشهر ومع جدّه عبد المطلب ثمان سنين، ثم كفله عمه أبو طالب عليه السلام بعد وفاة جدّه عبد المطلب فكان يكرمه ويحميه وينصره أيام حياته،

واختلف أهل بيته وأصحابه في أي موضع يدفن فقال لهم الإمام علي عليه السلام: «إن الله تعالى لم يقبض روح نبيه إلا في أطهر بقاع فينبغي أن يدفن هناك، وأخذوا بقوله

فدفنوه في حجرته التي مات فيها».

## زوجاته عليها السلام

مسألة ٢٥٣: تزوج عليها السلام طيلة حياته الشريفة بعشرين زوجة<sup>١</sup>:

١- خَدِجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بن أسد بن عبد العزى بن قصي وله ابنان هما عبد الله وهو الطيب الطاهر والقاسم وقيل: ان القاسم أكبر وهو يكبره وبه كان يكنى عليها السلام وانجبت له بنت واحدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأنجبت ثلاث أخريات زينب ورقية وأم كلثوم من اقتران بزوجين آخرين سابقين كانت قد تزوجت بهما على التوالي وقد توفيا قبل الإسلام، وقيل اشتغاله عليها السلام في تجارتها.

ولم يتزوج عليها السلام عليها حتى ماتت وعاشت مع رسول الله عليه السلام أربعاً وعشرين سنة وشهراً، وكان مهرها وصداقها اثنتا عشرة اوقية ونش وكذلك كان مهر سائر نسائه.

٢- سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ الأَسَدِيَّة، ٣- عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ التَّمِيمِيَّة، ٤- أم شريك غزية بنت دودان بن عوف بن عامر، ٥- حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ بن الخطَّاب، ٦- أُمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، ٧- أُمُّ سَلَمَةَ واسمها هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، ٨- زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشِ الأَسَدِيَّة ابنة عمته، ٩- زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ بِنِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمَسَاكِينِ، ١٠- مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّة، ١١- جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ بن ضرار من بني المصطلق، ١٢- صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَّيِّ بْنِ أَخْطَبِ النَّضْرِيِّ، ١٣- عالية بنت ظبيان، ١٤- قتيلة بنت قيس، ١٥- فاطمة بنت الضحاك، ١٦- سني بنت الصلت، ١٧- أسماء بنت النعمان بن شراحيل، ١٨- مليكة الليثية، ١٩- عمرة بنت يزيد، ٢٠- ليلى بنت الخطيم الأنصارية.

(١) يروى أنه كان لرسول الله عليه السلام أربع إماء: مارية، وربحانة، وجارية وهبتها له زينب بنت جحش، وجارية أخرى أصابها في بعض السبي، وكانت مارية بنت شمعون القبطية أفضلهم وأعلامهم شأنًا ومنزلة، وكان أبوها عظيمًا من عظماء القبط، بعث بها الملك المقوقس حاكم مصر آنذاك لرسول الله عليه السلام سنة ٧ هـ ضمن ما أهداه من هدايا إثر الرسالة التي بعث بها إليه يدعوه فيها للإسلام والإيمان بنبوته، وهي الوحيدة التي أنجبت له بعد السيدة خديجة (رضوان الله عليها) ثالث أبنائه إبراهيم الذي توفي وهو طفل صغير لم يبلغ السنة الثانية من عمره، وتوفيت في السنة السادسة عشر من الهجرة النبوية، أي بعد خمس سنوات من ارتحال خاتم المرسلين إلى الرفيق الأعلى ودُفنت في مقبرة البقيع.

فهذه عشرون امرأة ومات رسول الله ﷺ عن عشر:

١- أُمُّ سَلَمَةَ.

٢- عَائِشَةُ.

٣- حَفْصَةُ.

٤- صَفِيَّةُ.

٥- زَيْنَبُ.

٦- أُمُّ حَبِيبَةَ.

٧- مَيْمُونَةُ.

٨- جُوَيْرِيَةُ.

٩- سَوْدَةُ وكانت قد وهبت ليلتها لعائشة حين أراد طلاقها وقالت: «لا رغبة لي في

الرجال وإنما أريد أن أحشر في أزواجك».

١٠- زينب بنت جحش.

### شبهة تعدد وكثرة زوجاته ﷺ

مسألة ٢٥٤: يثير بعض المستشرقين المغرضين شبهة تعدد زوجات رسول الله ﷺ

للإساءة إلى مقامه الشامخ ومنزلته الرفيعة ويمكن دحضها بنقطتين:

١- أنه ﷺ لم يعدد زوجاته إلا بعد مضي ٢٤ سنة على زواجه الأول ووفاته زوجته

الأولى السيدة خديجة بنت خويلد وبعد تجاوزه لسن الخمسين.

٢- أن جميع زوجاته الطاهرات كن أرامل ما عدا السيدة عائشة فكانت صبية

بكرًا.

لقد كان تعدد الزوجات في حياته ﷺ لأهداف سامية وحكم جليلة وغايات نبيلة

تعليمية وتشريعية واجتماعية وسياسية يقف ويطلع عليها كل من قرأ قصة كل زواج.

ولو كان غرضه ﷺ الاستمتاع بالنساء لتزوج في سن الشباب لا في سن

الشيخوخة، ولتزوج الأبقار الشابات الجميلات لا الأرامل المسنات كما يفعل الملوك

ورؤساء الدول بعد أن تربع على عرش أكبر دولة في شبه جزيرة العرب.

## أعمامه وعماته ﷺ

مسألة ٢٥٥: كان لرسول الله ﷺ تسعة أعمام: الحارث، والزبير، وأبو طالب، وحمزة، والغيداق، وضرار، والمقوم، وأبو لهب واسمه عبد العزى والعباس ولم يعقب منهم إلا أربعة الحارث وأبو طالب والعباس وأبو لهب.

١- فأما الحارث فهو أكبرهم وله خمسة أبناء: أبو سفيان والمغيرة ونوفل وربيعة وعبد شمس.

٢- وأما أبو طالب فاسمه عبد مناف تزوج بفاطمة بنت أسد وله منها أربعة أولاد: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي، وبتان أم هاني واسمها فاخنة وجمانة.

٣- وأما العباس فكان يكنى أبا الفضل وكانت له السقاية وزمزم وأسلم يوم بدر وله تسعة أولاد: عبد الله وعبيد الله والفضل وقثم ومعبد وعبد الرحمن وتمام، وكثير، والحارث، وثلاث بنات: أمينة، وصفية وأم حبيب.

٤- وأما أبو لهب فقد تزوج بأم جميل بنت حرب أخت أبي سفيان حمالة الحطب وله منها أربعة أولاد: عتيبة وعتبة وعقبة ومعتب.

وأما عمّاته ﷺ فله ﷺ ست عمات وهن: أميمة، وأم حكيم، وبرة، وعاتكة وصفية، وأروى.

تزوج أميمة جحش بن رئاب الأسدي، وتزوج أم حكيم كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، وتزوج برة عبد الأسد بن هلال المخزومي وتزوج عاتكة أبو أمية ابن المغيرة المخزومي، وتزوج صفية الحارث بن حرب بن أمية، وتزوج أروى عمير بن عبد العزى بن قصي، وأسلم منهن ثلاث: صفية وأروى وعاتكة.

## غزواته ﷺ

مسألة ٢٥٦: قال أهل السير والمفسرون: إن جميع ما غزاه رسول الله ﷺ بنفسه ست وعشرون غزوة وان جميع سراياه التي بعثها لم يخرج معها ست وثلاثون سرية وقاتل من غزواته في تسع غزوات وهي: بدر، وأحد، والخندق، وبني قريظة،

والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف.

## مراحل الدعوة النبوية

مسألة ٢٥٧: مرت الدعوة الإسلامية في حياة النبي ﷺ منذ بعثته إلى وفاته بثلاث

مراحل:

المرحلة الأولى: اتسمت الدعوة النبوية فيها السرية التامة والحيطة والحدرو البالغين لم يفتح فيها أحداً إلا من ظن انه سيسمع لها أو يؤمن بها. وبعد أن بلغ عدد المعتنقين لها الثلاثين ما بين رجل وامرأة اختار لهم دار الأرقم بن أبي الأرقم ليتعاهدهم بين الفينة والأخرى بالوعظ والإرشاد والتعليم والتثقيف، والعمل السري الذي اتبعه الرسول الأكرم ﷺ في دعوته أراد به ضمان أمرين:

- ١- عدم تعريض الطليعة المؤمنة، لأي تصفية جسدية تئدهم في مهدهم وتشل حركتهم وتفكك جمعهم وجماعتهم وتدفع من يتبقى منهم إلى التشرذم والضياع.
- ٢- توفير العدد الكافي من الطلائع الرسالية المؤمنة بالرسالة لكي تتحمل مسؤولياتها في أحداث التغيير الجذري والإصلاحي في المجتمع الجاهلي بجدارة وحنكة. وقد استمرت هذه المرحلة ثلاث سنوات إلى أن أمره الله عزوجل بإظهار دينه وإعلان الدعوة العامة بقوله: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾<sup>٢</sup>، ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾<sup>٣</sup>.

المرحلة الثانية: وأول الخطوات التي قام بتنفيذها في هذا السبيل توجيه الدعوة لأهل قرابته وعشيرته باعتراف الإسلام ففشأ أمره وذاع خبره في قريش وما كان جوابهم له إلا أن قابلوه بصنوف الإيذاء والتنكيل حتى قال ﷺ عن نفسه الشريفة: «ما أوزي نبي مثلما أوزيت» وهكذا كان شأن أصحابه فقد تجرع كل واحد منهم ألواناً مختلفة من العذاب.

(١) سورة الحجر: ٩٥.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٤.

(٣) سورة الحجر: ٨٩.

وقد دفعه هذا الموقف من قريش إلى محاولة الانتقال بالدعوة إلى الطائف طلباً للنصرة من أخواله في قبيلة ثقيف لكنه لم يجد في زعمائها اذناً صاغية ولا صدراً رحباً ولم يقابلوه بغير الغلظة والسماجة.

ولم تثنِ هذه المواقف عزمه بل زادته ثباتاً واصراراً على المضي في الدعوة إلى رسالته فعاود الكرة في العام نفسه في موسم الحج وأخذ يتنقل بين وفود القبائل وكان ممن اجتمع بهم ستة نفر من أهل يثرب (المدينة) فأوضح لهم معالم دينه وأسس ومبادئه وأهدافه وقيمه بقدر ما تحتمله عقولهم وتوسع صدرهم فأمنوا به وعاهدوه على أن ينشروا دعوته في قبيلتهم بعد عودتهم إليها، وعندما حلَّ موسم الحج الثاني التقى ﷺ مع اثني عشر رجلاً من اليثريين أيضاً واجتمع بهم سراً في وادٍ ضيقٍ بالعقبة وهي العقبة الأولى فأعلنوا فيها إيمانهم بالإسلام وتفانيهم في الذود عنه وعن دعوته بما يملكون من غالٍ ورخيص فلما أرادوا الانصراف بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير وكان من أوائل الذين أسلموا بمكة فعاد إلى مكة في موسم العام التالي ومعه ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نسائهم ممن أسلم من أهل المدينة خرجوا مستخفين مع حجاج قومهم المشركين فاجتمع بهم رسول الله ﷺ ومعه عمّه العباس بن أبي طالب في الشعب وأخذ منهم البيعة أيضاً على نصرته.

**المرحلة الثالثة:** كان اليثريون الأرضية الأكثر خصوبة لاعتناق الدعوة الإسلامية والتفاني في نصرتها ونشرها وهذا ما جعل النبي ﷺ يقرر أن تكون أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، فهاجر إليها واستقرَّ فيها وأقبل على إقامة أول مجتمع إسلامي راسخ متلاحم واستلم فيه زمام الحكم كأول قائد يتصدى لكل ما يرتبط بإدارته من شؤون السياسة والاقتصاد والإدارة والقضاء وما يرجع إلى ذلك، وتوجت هذه المرحلة تاريخها الحافل بالأحداث والانتصارات بفتح مكة وتطهير المسجد الحرام من دنس الأوثان ورجس الأوثان والأصنام.

## في مختصاته ﷺ

مسألة ٢٥٨: في التعريف بمختصاته التي اختصه الله عز وجل دون أمته وهي كثيرة نذكر أهمها:

فمن الواجبات:

- ١- يجب عليه التهجيد والوتر والأضحية.
- ٢- يجب عليه المشاورة مع أصحابه كما قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾<sup>١</sup>.
- ٣- يجب عليه إنكار كل منكر.
- ٤- يجب عليه قضاء دين كل من يموت فقيراً.
- ٥- يجب عليه أن يأكل متكئاً على جنبه.

ومن المحرمات:

- ١- تحرم الزكاة عليه وعلى ذريته.
- ٢- يحرم عليه وعلى ذريته الأكل من الصدقات.
- ٣- يحرم عليه نكاح الإمام.
- ٤- يحرم على غيره الزواج من زوجاته بعد مماته دخل بهن أم لا، ومن يطلقها في حال حياته.

٥- يحرم على غيره نداؤه باسمه، ولم يناده الله تعالى باسمه في القرآن تعظيماً له بل قال: (يا أيها النبي) و(يا أيها المزمل)، (يا أيها المدثر)، (أيها الرسول)، (طه)، (ياسين) ونحو ذلك.

٦- يحرم على الناس أن يرفعوا أصواتهم فوق صوته.

٧- يحرم على الناس نداؤه من وراء الحجرات.

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

ومن المباحات:

- ١- يباح له صوم الوصال وهو وصل صيام يومين من غير افطار بينهما أو جعل افطار بينهما أو جعل افطار اليوم سحور الثاني.
  - ٢- يباح له الزواج بأكثر من أربع نساء بالعقد الدائم.
  - ٣- يباح له تخيير نسائه في المبيت معه.
  - ٤- يباح له المرأة التي تهب له نفسها.
  - ٥- يباح له الشهادة والحكم لنفسه.
- ومن موارد تشريفه وعلو شأنه ورفع مكانه:
- ١- جعل الله له سيادة ولد آدم (سيد الأولين والآخرين).
  - ٢- جعل الله أمته خير الأمم.
  - ٣- جعل الله له القدرة على رؤية ما وراء ظهره كما يرى أمامه.
  - ٤- عدم وقوع ظله على الأرض.
  - ٥- ابتلاع الأرض برازه.
  - ٦- تظليل الغمام له إذا سار في النهار.
- ونحو ذلك.

### علمه ﷺ بالقراءة والكتابة

مسألة ٢٥٩: ذهب جمع من علمائنا رحمهم الله إلى أنه ﷺ كان أمياً قبل نبوته كما تشعر بذلك آية: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ومعنى الأمي أنه لا يكتب ولا يقرأ المكتوب وذلك لحكمة إلهية مخصوصة به وبمحيطه وبالنظر إلى معارضي شريعته من بعده.

وأما بعد نبوته فقد علمها وعلم لغات البشر وحكى هذا الرأي عن شيخ الطائفة

الشيخ محمد بن الحسن الطوسي في كتاب المبسوط، وعن الشيخ محمد بن إدريس الحلي في (السرائر) ويستدل على هذا الرأي:

أولاً: بالروايات التي تنص على معرفة نبينا ﷺ كلية اللغات والخطوط بعد نبوته وتنص أيضاً على أن الأمي معناه النسبة إلى أم القرى أي مكة.

وثانياً: بآية ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾<sup>١</sup>.

وثالثاً: بما صححت روايته عند جميع المذاهب الإسلامية عنه ﷺ في رزية يوم الخميس انه قال عند وفاته: آتوني بدواة وبياض لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً.. الخ.

### اعتقادنا في آباءه ﷺ

مسألة ٢٦٠: اعتقادنا فيهم أنهم مسلمون من آدم ﷺ إلى أبيه عبد الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾<sup>٢</sup> يريد به تنقله في أصلاب الموحدين وأن أمه آمنة بنت وهب كانت مسلمة موحدة عارفة.

قال رسول الله ﷺ: «ما زلت انتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني الله تعالى في عالمكم هذا».

وقال ﷺ: «أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم ﷺ».

وقد روى أن عبد المطلب كان حجة من حجج الله وأوليائه المقربين وأن أبا طالب ﷺ كان وصيه عارفاً موحداً.

ولم يزل رسول الله ﷺ ممنوعاً من الأذى بمكة موفى حتى توفي أبو طالب ﷺ فلم يستقر له بمكة دعوة حتى جاءه جبرئيل فقال: «إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: اخرج من مكة فقد مات ناصرك».

(١) سورة الجمعة: ٢.

(٢) سورة الشعراء: ٢١٨-٢١٩.

ولما قبض أبو طالب أتى عليّ عليه السلام رسول الله ﷺ فاعلمه بموته، فقال له: «امضي يا علي فتولّ غسله وتكفينه وتحنيطه فإذا رفعته على سريريه فأعلمني، ففعل ذلك فلما رفعه على السرير اعترضه النبي وقال: وصلتكم رحم وجزيت خيراً يا عم، فلقد ربيت وكفلت صغيراً ووازرت ونصرت كبيراً، ثم أقبل على الناس وقال: أمّا والله لأشفعن لعبي شفاعة يعجب لها أهل الثقلين».

### الصلاة عليه ﷺ

مسألة ٢٦١: قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾!

قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

مسألة ٢٦٢: يجب الصلاة على النبي ﷺ في تشهدي الصلاة وكلما ذكر أو ذكره ذاكر عندك، سواء كان بأحد أسمائه أو أوصافه أو ألقابه وكناه المعروفة والمختصة به.

مسألة ٢٦٣: يجب الصلاة على النبي ﷺ عند العطاس مضافاً للتحميد من العاطس والمسمت (العلامة).

مسألة ٢٦٤: يجب الصلاة على النبي ﷺ عند ذبح الذبائح مضافاً للتسمية (العلامة).

مسألة ٢٦٥: يجب إلحاق الال بالنبي ﷺ عند الصلاة عليه بقولك: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد» وعلى ذلك إجماع نقلة الآثار ورواة الأخبار من الفريقين.

مسألة ٢٦٦: الصلاة على النبي ﷺ في غير الموارد المتقدمة مستحبة غير واجبة.

## رسول الإسلام في نظر علماء ومفكري غير المسلمين

مسألة ٢٦٧: صرح الكثير من مناصفي فلاسفة ومفكري العالم في القرنين التاسع عشر والعشرين بتصريحات هامة حول عظمة شخصية نبي الإسلام ودورها البارز في الإسهام في تحقيق الازدهار الحضاري للبشرية، ودورها المحوري في إحياء القيم والمبادئ المثالية الأخلاقية السامية وإنقاذ الشعوب التي آمنت برسالته من كل مظاهر السقوط الأخلاقي والاجتماعي والارتقاء بها إلى مصاف أرقى الأمم في بناء الحضارات، وما تضمنته سيرته ومسيرته العطرة من إحياء لقيم الفضيلة وقيم الخير وقيم الإنسانية الراقية، كما تضمنت الإشارة إلى إضاءات وإشراقات من حياته المباركة وألقت الضوء على الفضاءات الرحبة من جوانب العظمة وأسرار الخلود في رسالته العالمية التي جاء بها للبشرية جمعاء، نتناول مجموعة من أهمها بالنحو التالي:

### من مفكري وعلماء اليابان

البروفيسور يوشيو يوشيو كوزان: مدير مرصد طوكيو قال في كتابه (إنه الحق): «أعظم حدث في حياتي هو أنني درست حياة رسول الله محمد دراسة وافية، وأدركت ما فيها من عظمة وخلود... لا أجد صعوبة في قبول أنّ القرآن كلام الله، فإن أوصاف الجنين في القرآن لا يمكن بناؤها على المعرفة العلمية للقرن السابع، والاستنتاج الوحيد المعقول هو أنّ هذه الأوصاف قد أوحيت إلى محمد من عند الله».

### من مفكري وفلاسفة الهند

١- مهاتما غاندي: الزعيم الهندي المشهور عاش في الفترة (١٨٦٩-١٩٤٨ م) جاء في مقال له في جريدة (يونغ إنديا): «أتمنى لو أعرف رجلاً في تاريخنا الحاضر يستطيع

التأثير بلا منازع على قلوب ملايين البشر... لقد أصبحت الآن أكثر قناعة بأن السيف لم يكن الوسيلة التي حقق بها الإسلام مكانة مرموقة في تلك الأيام، بل إنها البساطة الشديدة، والعفو والحلم الواسع لدى الرسول، والاحترام والوفاء الدقيق بعهوده، وإخلاصه وتفانيه لأصحابه وأتباعه، وشجاعته، وبسالته، وثقته المطلقة في الله عز وجل وإيمانه برسالته، هذه هي الأمور التي حققت الكثير وذللت كل الصعاب، وليس السيف. عندما أنهيت المجلد الثاني (من سيرة الرسول) شعرت بالأسف الشديد لعدم وجود المزيد لقراءته حول حياته العظيمة... لا نعرف إلا شذرات عن حياة المسيح، أما في سيرة محمد فنعرف الشيء الكثير ونجد التاريخ بدد الظلال والغموض».

وبسبب دعواته للأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة، اعتبرت بها بعض الفئات الهندوسية المتعصبة خيانة عظمى فقررت التخلص منه واختارت أحد أعضائها ويدعى ناثورم جوتسى ليقوم بعملية اغتياله حيث كمن له بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٤٨ م وأطلق عليه ثلاث رصاصات قاتلة سقط على إثرها صريعاً عن عمر يناهز ٧٨ عاماً.

٢- جواهر لال نهرو: وهو أول رئيس وزراء للهند بعد استقلالها عاش في الفترة (١٨٨٩-١٩٦٤م) وكان هندوسي المعتقد لكنه لم يكن متطرفاً بل كان منفتحاً على سائر الأديان والثقافات ومحامداً له كتاب (لمحات من تاريخ العالم) جاء فيه: «فاقت أخلاق نبي الإسلام كل الحدود ونحن نعتبره قدوة لكل مصلح يود أن يسير بالعالم إلى سلام حقيقي... إن العرب أبا العلم الحديث وإن بغداد تفوقت على كل العواصم الأوروبية فيما عدا قرطبة عاصمة أسبانيا العربية (الأندلس) وإنه كان لا بد من وجود ابن الهيثم والخازن والكندي وابن سينا والخوارزمي والبيروني لكي يظهر عند الغرب (جاليلو وكبلر وكوبرنيك ونيوتن)».

٣- راما كرشنا راو: فيلسوف هندوكي عاش في الفترة (١٨٣٦ . ١٨٨٦م) قال في كتابه (محمد النبي): «حينما ظهر محمد، لم تكن الجزيرة العربية شيئاً مذكوراً، ومن هذه الصحراء التي لم تكن شيئاً مذكوراً، استطاع محمد بروحه العظيمة، أن ينشئ

منها عالماً جديداً، وحياءً جديدة، وثقافة جديدة، وحضارة جديدة، ومملكة جديدة امتدت من مراكش إلى شبه القارة الهندية، واستطاع أن يؤثر في فكر وحياء ثلاث قارات هي: آسيا، وأفريقية، وأوروبا... لا يمكن معرفة شخصية محمد بكل جوانبها. ولكن كل ما في استطاعتي أن أقدمه هو نبذة عن حياته من صور متتابعة جميلة، فهناك محمد النبي، ومحمد المحارب، ومحمد رجل الأعمال، ومحمد رجل السياسة، ومحمد الخطيب، ومحمد المصلح، ومحمد ملاذ اليتامى، وحامي العبيد، ومحمد محرر النساء، ومحمد القاضي، كل هذه الأدوار الرائعة في كل دروب الحياة الإنسانية تؤهله لأن يكون بطلاً».

وقال في كتابه (البحث عن الله) ص ٦٧: «مع أن محمداً كان سيد الجزيرة العربية فإنه لم يفكر في الألقاب، ولم يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفياً بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظف بيته بنفسه ويصلح حذاءه بيده، كريماً باراً كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحيان قليلاً لا يكاد يكفي».

٤- ساروجيني نايدو: الشاعرة الهندية المشهورة عاشت في الفترة (١٨٧٩-١٩٤٩م) لها كتاب (القيم المثالية في الإسلام، كلمات وكتابات، ومدراس) طبع في مدينة مدراس سنة ١٩١٨ م جاء في صفحة ١٦٩ قولها: «لقد كان الإسلام هو الدين الأول الذي علّم وطبق الديمقراطية، ففي المسجد، عندما يرفع الأذان للصلاة ويجتمع المصلون معاً، يمكنك حينها أن ترى ديمقراطية الإسلام عياناً، ولخمس مرات يومياً، حيث يصطف الفلاح والملك والغني والفقير جنباً إلى جنب، وقدماً إلى قدم وكتفا إلى كتف، ثم يفتتحون صلاتهم بكلمة: (الله أكبر)... لقد كنت مغرمة مرة تلو الأخرى في مشاهدة هذه الوحدة والتماسك في الإسلام التي جعلت من جميع الناس أخوة بالفطرة».

## من مفكري وفلاسفة روسيا

ليف تولستوي: الأديب الروسي العالمي المشهور، عاش في الفترة (١٨٢٨-١٩١٠م) له كتاب أسماه (حِكْم النبي محمد) ومما جاء فيه: «هو مؤسس دين، ونبي الإسلام الذي يدين به أكثر من مئتي مليون إنسان، قام بعمل عظيم بهدأيته وثنيتين قضوا حياتهم في الحروب وسفك الدماء، فأثار أبصارهم بنور الإيمان وأعلن أن جميع الناس متساوون أمام الله... لقد تحمل في سنوات دعوته الأولى كثيرا من اضطهاد أصحاب الديانة الوثنية القديمة وغيرها شأن كل نبي قبله دعا أمته إلى الحق ولكن هذه المحن لم تثن عزمه بل ثابر على دعوة أمته مع أن محمدا لم يقل إنه نبي الله الوحيد بل آمن أيضا بنبوة موسى والمسيح ودعا قومه إلى هذا الاعتقاد أيضاً، وقال إن اليهود والنصارى لا ينبغي أن يكرهوا على ترك دينهم بل يجب عليهم أن يتبعوا وصايا أنبيائهم... وقد امتاز المؤمنون عن العرب بتواضعهم، وزهدهم في الدنيا، وحب العمل، والقناعة، وبذلوا جهدهم لمساعدة إخوانهم في الإيمان لدى حلول المصائب بهم... ومما لا ريب فيه أن النبي محمد كان من عظماء الرجال المصلحين الذين خدموا المجتمع الإنساني خدمة جلييلة، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة بأكملها إلى نور الحق وجعلها تنجح إلى السكينة والسلام وتؤثر عيشة الزهد ومنعها من سفك الدماء وتقديم الضحايا البشرية وفتح لها طريق الرقي والمدنية، وهذا عمل عظيم لا يقوم به شخص مهما أوتي من قوة، ورجل مثل هذا جدير بالاحترام والإجلال».

## من مفكري وفلاسفة هولندا

البروفيسور كريستيان سنوك هيرجرونجي: مستشرق هولندي عمل أستاذا في جامعة ليدن وعاش في الفترة (١٨٥٧-١٩٣٦ م) وقد أتيت له أن يقضي عاما كاملاً في إقليم الحجاز، ستة أشهر في مكة ومثلها في جدة عام ١٨٨٤ م، بعد اعتنق الإسلام وأصدر كتابين أولهما عن (تاريخ مكة منذ البعثة النبوية حتى عام ١٨٨٥م) والثاني

(مكة في أواخر القرن التاسع عشر) ومما ورد في الأول قوله: «لقد تم تأسيس عصبة الأمم بواسطة نبي الإسلام ﷺ الذي أرسى مبادئ الوحدة العالمية والأخوة الإنسانية على قواعد عالمية راسخة فكان جذوة مضيئة وشعلة منيرة تهتدي بها الأمم الأخرى... في الحقيقة لا يمكن لأي أمة في العالم أن تداني أو تماثل ما فعله الإسلام في تطبيق فكرة عصبة الأمم».

### من مفكري وفلاسفة أسبانيا

جان ليك هينيج: مستشرق إسباني من مواليد ١٩٤٥ م ولا زال على قيد الحياة في كتابه (العرب): في الصفحة ٤٣: «لقد هدم الرسول المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخالق والمخلوق... ما أجمل ما قاله المعلم العظيم (محمد): الخلق كلهم عيال الله وأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله... أليس من المعجزات الباهرات، أن محمداً بالقوة الأدبية، وبلطف واحد جعل الصادقين من أتباعه في حرز من شر المسكرات جيلاً بعد جيل، فسلم من هذا الشر مئات الملايين من البشر، حياة محمد التاريخية لا يمكن أن توصف بأحسن مما وصفها الله نفسه بألفاظ قليلة، بين بها سبب بعثة النبي محمد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾... وقد برهن بنفسه على أن لديه أعظم الرحمات لكل ضعيف، ولكل محتاج إلى المساعدة، كان محمد رحمة حقيقية لليتامي والفقراء وابن السبيل والمنكوبين والضعفاء والعمال وأصحاب الكد والعناء، وإني بلهفة أصلي عليه وعلى أتباعه».

### من مفكري وفلاسفة سويسرا

القس الدكتور هانس كونج: عاش في الفترة (١٩٢٨-١٩٩٦ م) وكان من أكبر علماء اللاهوت المسيحيين السويسريين انشق عن الآباء الكاثوليك له كتاب (تتبع طريق الأبعاد الروحية لديانات العالم) جاء فيه عن نبي الإسلام قوله: «من الخطأ نبذ

الإسلام على أساس أنه دين الجحيم والسيف بدون أن نعرف مادته الدينية، فإنه بلا شك أن العرب من خلال النبي محمد قد ارتقوا لمرتبة عالية من الأخلاق والدين مبني على الإيمان بآله واحد وأخلاقيات إنسانية أساسية... لقد كان محمد نبي أصيل بلا شك، في أمور كثيرة لا يختلف عن أنبياء إسرائيل. ولكن المسلمين يولون أهمية كبرى لحقيقة هامة وهي أن محمداً لا يقف في وسط الإسلام مثلما وقف يسوع المسيح في وسط المسيحية، حيث إن في الإسلام لم تتجسد كلمة الرب في شكل إنسان ولكن ظهرت ككتاب، والقرآن في نسخته الأصلية يقف مع الرب في وسط الإسلام... بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان، فوجدته في النبي العربي محمد... محمد نبي حقيقي بكل ما للكلمة من معنى، ولا يمكننا بعد انكار أن محمداً هو المرشد القائد إلى طريق النجاة».

### من أقول مضكري وفلاسفة ألمانيا

١- يوهان فولفغانغ غوته: شاعر ألمانيا الشهير، عاش في الفترة (١٧٤٩-١٨٣٢ م) له عدة مؤلفات أدبية نقل عنه هذه المقولة: «إن أسلوب القرآن محكم سام مثير للدهشة، فالقرآن كتاب الكتب، وإني أعتقد هذا كما يعتقد كل مسلم، وأنا كلما قرأت القرآن شعرت أن روعي تهتز داخل جسمي، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسه، وظني أن التشريع في الغرب ناقص بالنسبة للتعاليم الإسلامية، وإننا أهل أوروبا بجميع مفاهيمنا لم نصل بعد إلى ما وصل إليه محمد، وسوف لا يتقدم عليه أحد، وقد بحثت في التاريخ عن مثل أعلى لهذا الإنسان فوجدته في النبي العربي محمد».

٢- برتلي سانت هيلر: مستشرق ألماني عاش في الفترة (١٧٩٣-١٨٨٤ م) قال في كتابه (الشرقيون وعقائدهم): «كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحرية، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجترحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً

إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة».

٣- القس ميشون: وهو مستشرق ألماني له عدة مؤلفات منها كتاب (سياحة دينية في الشرق) قال فيه (ص ٣١): «إنه لمن المحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التعامل وفضائل حسن المعاملة، وهما أقدم قواعد الرحمة والإحسان عند الشعوب والأمم، كل ذلك بفضل تعاليم نبيهم محمد».

وقال في كتابه (تاريخ الحروب الصليبية): «إن الإسلام الذي أمر بالجهاد متسامح نحو أتباع الأديان الأخرى، وهو الذي أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب وحرّم قتل الرهبان على الخصوص لعكوفهم على العبادات، وقد ذبح الصليبيون المسلمين وحرقوا اليهود عندما دخلوها».

٤- الدكتورة زيجرد هونكة: مستشركة ألمانية شغفت بالإسلام وحضارته عاشت في الفترة (١٩١٣-١٩٩٩ م) لها كتاب (شمس الله تسطع على الغرب) مما جاء فيه قولها: «إن محمداً والإسلام شمس الله على الغرب».

## من مفكري وفلاسفة بريطانيا ومصادر العلميّة

١- دائرة المعارف البريطانية: حيث جاء فيها تحت مادة (محمد): «محمد بن عبد الله مؤسس الدين الإسلامي ولد في مكة، وقليلون هم الرجال الذين أحدثوا في البشرية الأثر العميق الدائم الذي أحدثه محمد لقد أحدث أثراً دينياً عميقاً لا يزال منذ دعا إليه حتى الآن هو الإيمان الحي والشريعة المتبعة لأكثر من ٧/١ سكان العالم على أن أثره التاريخي يكتب الأكثر، عندما نذكر أنه في أقل من عشرين سنة، منذ بدء دعوته، قوض دعائم إمبراطوريتين وهما الإمبراطورية البيزنطية والإمبراطورية الفارسية مؤسساً على أنقاضهما حضارة جديدة، ولقد أرسى منذ جاء بدعوته التي هي عقيدة وشريعة قواعد بناء المجتمع الاجتماعية والسياسية، وقد أعقب موته أن سجل

خلفاؤه الأحاديث التي رويت عنه وأدق التصرفات والأفعال التي قام بها فاتخذ المؤمنون من هذه الأحاديث نبزاً ومثلاً أعلى يحتذونه في حياتهم اليومية جيلاً بعد جيل».

٢- جورج برنارد شو: من أشهر أدباء بريطانيا، عاش في الفترة (١٨٥٦-١٩٥٠) كتب عام ١٩٣٦ م مقالاً له بعنوان (الإسلام الحقيقي)، قال فيه: «إذا كان لديانة معينة أن تنتشر في أوروبا خلال مئات السنوات المقبلة فيجب أن تكون الإسلام... إنني درست تاريخ حياة محمد، ذلك الرجل العظيم، وفي رأبي يجب أن يطلق عليه لقب منقذ البشرية، إنني أعتقد أنه إذا قدر له أن يتولى مسؤولية قيادة العالم، فلا شك أنه سيستطيع حل مشكلاته وإقرار السلام والسعادة، لقد تنبأت بأن عقيدة محمد ستكون مقبولة لأوروبا غداً».

وعن الإسلام قال: «هو دين الديمقراطية وحرية الفكر، وهو دين العقلاء، وليس فيما أعرف من الأديان نظام اجتماعي صالح كالنظام الذي يقوم على القوانين والتعاليم الإسلامية، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يبدو لي أن له طاقة هائلة لملائمة أوجه الحياة المتغيرة، وهو صالح لكل العصور».

وله مؤلف أسماه (محمد)، وقد أحرقته السلطة البريطانية، قال فيه: «إن العالم أحوج ما يكون إلى رجلٍ في تفكير محمد، هذا النبي الذي وضع دينه دائماً موضع الاحترام والإجلال فإنه أقوى دين على هضم جميع المذنبات، خالداً خلود الأبد، وإنني أرى كثيراً من بني قومي قد دخلوا هذا الدين على بينة، وسيجد هذا الدين مجاله الفسيح في هذه القارة (يعني أوروبا)... إن رجال الدين في القرون الوسطى، ونتيجةً للجهد أو التعصب، قد رسموا لدين محمدٍ صورةً قاتمةً، لقد كانوا يعتبرونه عدواً للمسيحية، لكنني اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبةً خارقةً، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدواً للمسيحية، بل يجب أن يسمّى منقذ البشرية، وفي رأبي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفّق في حلّ مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها... لقد كان دين محمد موضع تقدير سامي لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة...»

حيوية يعني دائم النشاط،... وإنه الدين الوحيد الذي له ملكة الهضم لأطوار الحياة المختلفة... وأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية، وإن رجلاً كشاكلته إذا تولى زعامة العالم الحديث فسوف ينجح في حل مشكلاته... لقد عمد رجال الكليروس في العصور الوسطى إلى تصوير الإسلام في أحلك الألوان، وذلك بسبب الجهل وبسبب التعصب الذميمة، والواقع أنهم كانوا يسرفون في كراهية محمد وكراهية دينه ويعدونّه خصماً للمسيح، أما أنا فأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية وأعتقد أن رجلاً مثله إذا تولى زعامة العالم الحديث نجح في حل مشكلاته وأحل في العالم السلام والسعادة وما أشد حاجة العالم اليوم إليها».

٣- البان ج ويدجري: في كتابه (المذاهب الكبرى في التاريخ): «أما محمد فقد كان آخر الأنبياء وأهمهم جميعاً كذلك تجد الإنسانية في القرآن قواعد سلوكها، وفي الصلاة الاتصال بالله وبالتالي فإن تنزيل القرآن يشكل نقطة انعطاف في التاريخ».

٤- الدكتور بيتر اند راسل: وهو أحد أكبر فلاسفة بريطانيا في القرن العشرين عاش في الفترة (١٨٧٢-١٩٧٠ م) حصل على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٥٠ م وعدة أوسمة مهمة أخرى وعرف بميوله الإلحادية إلا أنه نقل عنه أنه قال في حق نبي الإسلام: «لقد قرأت عن الإسلام ونبي الإسلام فوجدت أنه دين جاء ليصبح دين العالم والإنسانية، فالتعاليم التي جاء بها محمد والتي حفل بها كتابه مازلنا نبحث ونتعلق بذرات منها وننال أعلى الجوائز من أجلها... أخلاق (محمد) تمنح معنى للوجود».

٥- توماس كارليل: فيلسوف ومصالح إنجليزي عاش في الفترة (١٧٩٥-١٨٨١ م) حاز على جائزة نوبل كان مولعاً بالشخصيات التي غيرت مجرى التاريخ، وأفرد في كتابه (الأبطال وعبادة الأبطال) فصلاً كاملاً للحديث عن الرسول الكريم ﷺ واستعرض فيه نواحي العظمة في حياته ورد على افتراءات الكارهين له ولرسالته العظيمة حتى انه اتهم بالتحيز للإسلام ومما قاله: «قوم يضربون في الصحراء عدة قرون لا يؤبه بهم

ولهم فلما جاءهم النبي العربي، أصبحوا قبلة الأنظار في العلوم والمعارف وكثروا بعد قلة، وعزوا بعد ذلة، ولم يمض قرن حتى استضاءت أطراف الأرض بعقولهم وعلومهم... الرسول لم يكن من محبي الشهرة... إنما محمد شهاب أضاء العالم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء... من العار أن يصغي الإنسان المتمدن من أبناء هذا الجيل إلي وهم القائلين أن دين الإسلام دين كذب، وأن محمداً لم يكن علي حق، لقد آن لنا أن نحارب هذه الادعاءات السخيفة المخجلة؛ فالرسالة التي دعا إليها هذا النبي ظلت سراجاً منيراً أربعة عشر قرناً من الزمن لملايين كثيرة من الناس، فهل من المعقول أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها هذه الملايين وماتت أكذوبة كاذب أو خديعة مخادع؟! ولو أن الكذب والتضليل يروجان عند الخلق هذا الرواج الكبير لأصبحت الحياة سخفاً وعبثاً، وكان الأجدر بها أن لا توجد... إن الرجل الكاذب لا يستطيع أن يبني بيتاً من الطوب لجهله بخصائص البناء، وإذا بناه فما ذلك الذي يبنيه إلا كومة من أخلاط هذه المواد، فما بالك بالذي يبني بيتاً دعائمه هذه القرون العديدة وتسكنه مئات الملايين من الناس، وعلي ذلك فمن الخطأ أن نعد محمداً كاذباً متصنعاً متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع، فما الرسالة التي أداها إلا الصدق والحق وما كلمته إلا صوت حق صادر من العالم المجهول وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع... ذلك أمر الله وإن طبيعة محمد الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه المقصد بما يتجلى فيها من شدة الإخلاص، فقد كان محمد مصلحاً دينياً ذا عقيدة راسخة... وقد رأينا طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيداً، كريماً بَرّاً، رؤوفاً، تقياً، فاضلاً، حراً، رجلاً، شديد الجد، مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب، لئِن العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة، حلو الإيناس، بل ربما مازح وداعب، كان عادلاً، صادق النية، ذكي اللب، شهم الفؤاد، لودعياً، كأنما بين جنبه مصابيح كل ليل بهيم، ممتلئاً نوراً، رجلاً عظيماً بفطرته، لم تثقفه مدرسة، ولا هذبه معلم، وهو غني عن ذلك».

وختم حديثه بهذه الكلمات: «هكذا تكون العظمة، هكذا تكون البطولة، هكذا

تكون العبقريّة».

٦- أرنولد جوزيف توينبي: وهو من مشاهير المؤرخين البريطانيين عاش في الفترة (١٨٨٩-١٩٧٥ م) له عدة مؤلفات منها كتاب (الإسلام والغرب والمستقبل) جاء فيه: «كان لعبقرية النبي محمد أثر كبير في نقل رسالة ربه إلى قومه، وكان تاريخ شبه الجزيرة العربية مرتبطاً بذلك، وفي سنة ٦٢٢ تبدل الوضع تماماً لصالح محمد ورسالته، فقد جاءت مجموعة من يثرب تطلب إليه أن ينتقل إليها ويتولى أمورها، ما اعتبر عاملاً لانتشار الإسلام في العالم... إن الحضارة الإسلامية هي إحدى الحضارات المتميزة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ البشرية، بعدما هضمت وتمثلت المنجزات الفكرية والمادية للحضارات السابقة عليها، وعملت على صقلها وبلورتها وإغنائها، فطورتها وزادت عليها، وقدمت إلى الحضارة الإنسانية مادة غنية عملت على دفع عملية التطور الفكري والمادي خطوات واسعة نحو التقدم الحضاري... الذين يريدون أن يدرسوا السيرة النبوية سيجدون أمامهم من الأسفار ما لا يتوافر مثله للباحثين في حياة أي نبي من أنبياء الله الكرام... إنني أدعو العالم إلى الأخذ بمبدأ الإخاء والمساواة الإسلامي، فعقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام هي أروع الأمثلة علي فكرة توحيد العالم، وأن في بقاء الإسلام أملاً للعالم كله».

٧- السير توماس أرنولد: وهو مستشرق بريطاني عاش في الفترة (١٨٦٤-١٩٣٩ م) له كتاب (الدعوة إلى الإسلام) وهو عبارة عن بحث يتناول تاريخ نشر العقيدة الإسلامية قال فيه: «لقد باشر محمد سلطة زمنية كالتي كان يمكن أن يباشرها أيّ زعيم آخر مستقلّ، مع فارق واحد هو أن الرِّباط الدِّينيّ بين المسلمين كان يقوم مقام رابطة الدّم. وعلى هذه الصّورة أصبح الإسلام، ولو من الوجهة النّظرية على الأقلّ، نظاماً سياسياً بقدر ما هو نظام دينيّ. كانت رغبة محمد ترمي إلى تأسيس دين جديد. وقد نجح في هذا السّبيل، ولكنّه في الوقت نفسه أقام نظاماً سياسياً له صفة جديدة متميّزة تميّزاً تامّاً».

٨- السير ويليام موير: مؤرخ ومستشرق اسكتلندي عاش في الفترة (١٨١٩-١٩٠٥ م) تولى إدارة جامعة إدنبرة فترة طويلة، له دراسات متعددة في التاريخ الاسلامي منها (سيرة النبي والتاريخ الإسلامي) ومما جاء عنه فيه قوله: «لقد امتاز محمد بوضوح كلامه، ويسر دينه، وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلاً أيقظ النفوس وأحيى الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل نبي الإسلام محمد... لم يكن الإصلاح أعسر ولا أبعد مناً منه وقت ظهور محمد، ولا نعلم نجاحاً واصلاحاً تم كالذي تركه عند وفاته».

٩- كولونيل رونالد فيكتور كورتيناوي بودلي: الضابط في صفوف الجيش البريطاني عاش في الفترة (١٨٩٢-١٩٧٠ م) كاتب وصحفي ومستشرق كتب مقالاً في (جريدة الرسول) جاء فيه: «من حسن الحظ إنه لأمر فريد على الإطلاق في التاريخ أن محمداً مؤسس لثلاثة أشياء: الأمة والإمبراطورية والدين».

وله عدة كتب من أشهرها كتاب (حياة محمد الرسول) ومما جاء فيه ص ٢٢٥-٣٣١: «القرآن هو العمل الوحيد الذي عاش أكثر من اثني عشر قرناً دون أن يُبدل فيه، ولا يوجد شيء يمكن أن يُقارَن بهذا أدنى مقارنة، لا في الديانة اليهودية ولا في الديانة المسيحية... ولهذا الكتاب سحر خفي، له تأثير عجيب في العرب؛ فقد حول الرعاة والتجار والبدو والبسطاء إلى مقاتلين وبناء إمبراطورية، ومؤسسي مدن كبغداد وقرطبة ودلهي، وإلى علماء وحكماء ورياضيين، وإن هذا الكتاب -ولا شك- لهو الذي عاون هؤلاء الرجال على أن يغزوا عالماً أوسع من العالم الذي سيطر عليه الفرس والروم، وقد فعلوا ذلك في عشرات السنين، واستغرق ذلك ممن سبقوهم قروناً».

### من مذكرى وفلاسفة فرنسا

١- جوستاف لوبون: طبيب ومؤرخ فرنسي عاش في الفترة (١٨٤١-١٩٣١ م) قال في كتابه (حضارة العرب) المطبوع سنة ١٨٨٤ م في باريس: «إذا ما قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ، وقد أخذ علماء الغرب

ينصفون محمداً مع أن التعصّب أعمى بصائر مؤرخين كثيرين عن الاعتراف بفضله... إن ما لا ريب فيه أن محمداً أصاب في بلاد العرب نتائج لم تصب مثلها جميع الأديان التي ظهرت قبل الإسلام، ومنها اليهودية والنصرانية، ولذلك لا نرى حداً لفضل محمد على العرب».

٢- إميل درمنغم: مستشرق فرنسي مشهور ولد سنة ١٨٩٢ م له عدة مؤلفات منها (حياة محمد) الذي صدر سنة ١٩٢٩ م قال فيه: «سماحة الإسلام جعلت منه ديناً مقبولاً وديناً عالمياً، فالمسلمون لم يقابلوا الإساءة بالإساءة، وإنما قابلوها بالصفح والتسامح... تم النصر للإسلام لأنه عنوان رسالة كان الشرق كثير الاحتياج إليها، واحتمل المسلمون ضروب العذاب قبل الهجرة ولم يستطيعوا لها رداً، فلما كانت الهجرة وكان ما أبدوه من المقاومة والنصر، اتخذوا التسامح الواسع دستوراً لهم، أجل لم يبق للمشركين مقام في دار الإسلام، ولكنه أصبح لأهل الكتاب من اليهود والنصارى فيها حق الحماية وحرية العبادة وما إليهما، وصاروا من عناصر المجتمع الإسلامي، وقال نبي الإسلام: «من أذى ذمياً فأنا خصمه»، وما أكثر ما في القرآن الكريم والحديث النبوي من الأمر بالتسامح، وما أكثر عمل فاتحي الإسلام بذلك، ولم يرو التاريخ أن المسلمين قتلوا شعباً، وما دخول الناس أفواجاً في الإسلام إلا عن رغبة فيه... كان للدعوة الإسلامية في جزيرة العرب أثر عظيم ثابت في تقدم الأسرة والمجتمع، وفي تقدم الصحة أيضاً، فقد حسن بها مصير المرأة، ومنحها كل حقوقها، وحرّم بها الزنا وحياة الغرام، ومنع بها إكراه الفتيات على البغاء لإثراء سادتهن، والإسلام، قضى على الرق، وعدّ فك الرقاب من الحسنات ومكفراً لبعض السيئات... كان محمد أنموذجاً للحياة الإنسانية بسيرته وصدق إيمانه ورسوخ عقيدته القويمة، بل مثلاً كاملاً للأمانة والاستقامة وإن تضحياته في سبيل بث رسالته الإلهية خير دليل على سمو ذاته ونبيل مقصده وعظمة شخصيته وقدسيتها نبوته».

٣- كليمان هوارت: مستشرق فرنسي عاش في الفترة (١٨٥٤-١٩٢٧ م) كان عضواً في المجمع العلمي العربي، والمجمع العلمي الفرنسي، والجمعية الآسيوية له عدة

مؤلفات نسب إليه في كتاب (محمد في الآداب العالمية المنصفة) ص ١٤٢ أنه قال: «لم يكن محمداً نبياً عادياً، بل استحق بجدارة أن يكون خاتم الأنبياء لأنه قابل كل الصعاب التي قابلت كل الأنبياء الذين سبقوه مضاعفة من بني قومه، نبي ليس عادياً من يقسم أنه «لو سرقت فاطمة ابنته لقطع يدها» ولو أن المسلمين اتخذوا رسولهم قدوة في نشر الدعوة لأصبح العالم مسلماً».

٤- ألفونس دولامارتين: شاعر وسياسي فرنسي عاش في الفترة (١٧٩٠-١٨٦٣ م) له عدة مؤلفات منها كتاب (عظماء الشرق) صدر سنة ١٨٥٦ م وضع في مقدمته ثلاث مقاييس موضوعية للقائد العظيم: (عظمة الغاية - قلة الوسائل - نتائج رائعة) ويستنتج بعده التالي: «فيلسوف، خطيب، رسول، مشرع، محارب، هادم الأفكار الباطلة، مُحيي المعتقدات العقلانية وعبادة بلا أصنام ولا صور، مؤسس ٢٠ إمبراطورية دنيوية وإمبراطورية واحدة روحية ذلك هو محمد، والنظر إلى كل المقاييس التي يمكن أن تقاس بها عظمة البشر يحق لنا أن نسأل هل يوجد أي إنسان أعظم منه؟».

٥- إدوار مونته: فيلسوف ومستشرق فرنسي عاش في الفترة (١٨١٧-١٨٩٤ م) له كتاب (العرب) جاء فيه: «عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق، وبالجملة كان محمد أذكى وأدين وأرحم عرب عصره، وأشدهم حفاظاً على الزمام فقد وجههم إلى حياة لم يحلموا بها من قبل، وأسس لهم دولة زمنية ودينية لا تزال إلى اليوم».

٦- موريس بوكاي: طبيب ومفكر عاش في الفترة (١٩٢٠-١٩٩٨ م) ألف كتاب (الإنجيل والتوراة والقرآن) طبع سنة ١٩٧٦ م جاء فيه: «القرآن فوق المستوى العلمي للعرب، وفوق المستوى العلمي للعالم، وفوق المستوى العلمي للعلماء في العصور اللاحقة، وفوق مستوانا العلمي المتقدم في عصر العلم والمعرفة في القرن العشرين، ولا يمكن أن يصدر هذا عن أمي، وهذا يدل على ثبوت نبوة محمد، وأنه نبي يوحى إليه... يجب على الغربيين أن يعطوا القرآن حقه ويضعوه في مكانة خاصة بين

الكتب المقدسة».

٧- سانت هيلار: فيلسوف ومستشرق فرنسي عاش في الفترة (١٨٠٥-١٨٩٥ م) له عدة كتب منها كتاب (محمد والقرآن الكريم) جاء فيه: «كان محمد رئيساً للدولة وساهراً على حياة الشعب وحرته، وكان يعاقب الأشخاص الذين يجتروحون الجنايات حسب أحوال زمانه وأحوال تلك الجماعات الوحشية التي كان يعيش النبي بين ظهرانيها، فكان النبي داعياً إلى ديانة الإله الواحد وكان في دعوته هذه لطيفاً ورحيماً حتى مع أعدائه، وإن في شخصيته صفتين هما من أجل الصفات التي تحملها النفس البشرية وهما العدالة والرحمة».

### من مذكرى وفلاسفة أمريكا

١- الدكتور مايكل هارت: وهو فيزيائي فلكي يهودي أمريكي ولد سنة ١٩٣٢ م ولا زال حياً وقد بلغ من العمر ٨٩ سنة، شغل منصب مسؤول علمي عن التطبيقات العلمية لعلوم الفضاء في الولايات المتحدة في ثمانينات القرن الماضي، وصدر له في عام ١٩٧٨ م كتاب اسمه (المائة) ضمنه نتيجة بحثه في التاريخ عن الرجال الذين كان لهم أعظم تأثير على البشرية، يذكر فيه أكثر مائة رجل تأثيراً على البشرية وذكر منهم: المسيح - موسى - أرسطو - بوذا - كونفوشيوس - هتلر - أفلاطون - زرادشت - وغيرهم، وأعتمد في تقييمه على درجة التأثير، ويصفهم بترتيب تفوقهم في هذا التأثير من رقم واحد وحتى رقم مائة، ووضع النبي محمد ﷺ في المرتبة الأولى، ويقول مايكل هارت معللاً: «إن اختياري لمحمد ليأتي في المرتبة الأولى من قائمة أكثر أشخاص العالم تأثيراً في البشرية قد يدهش بعض القراء وقد يعترض عليه البعض ولكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي حقق نجاحاً بارزاً على كل من المستوى الديني والدينيوي... فهناك رسل وحكماء بدأوا رسالات عظيمة ولكنهم ماتوا دون إتمامها كالمسيح في المسيحية... أو شاركهم فيها غيرهم أو سبقهم فيها غيرهم أو سبقهم اليها سواهم كموسى في اليهودية، ولكن محمداً هو الوحيد الذي كانت رسالته الدينية كاملة،

وتحددت كل أحكامها وأمنت بها الشعوب بأسرها في حياته، لأنه أقام إلى جانب الدين دولة جديدة، ووحد القبائل المختلفة في شعب متقدم، والشعوب في أمة متحضرة ووضع لها كل أسس حياتها، ورسم أمور دنياها ووضعها في موضع الانطلاق إلى العالم... أيضاً في حياته».

ثم يضيف إلى ذلك بقوله: «إن معظم الذين غيروا التاريخ ظهروا في قلب أحد المراكز الحضارية في العالم... ولكن محمداً هو الوحيد الذي نشأ في بقعة من صحراء جرداء مجردة تماماً من كل مقومات الحضارة والتقدم، ولكنه جعل من البدو البسطاء المتحاربين قوة معنوية هائلة قهرت بعد ذلك إمبراطوريات فارس وبيزنطية وروما المتقدمة بما لا يقاس. وفي تاريخ الغزو في كل زمان البلاد التي فتحها خلفاؤه عرباً تماماً وتغيرت لغةً وديناً وقوميةً... وثبت ذلك واستقر بما ليس له مثيل في تاريخ الفتح في العالم... كذلك لا يوجد نص في تاريخ الرسالات نقل عن رجل واحد وبقي بحروفه كاملاً دون تحريف سوى القرآن الذي نقله محمد، الأمر الذي لا ينطبق على التوراة مثلاً أو الإنجيل... ومن أجل ذلك وجدت أن محمد هو صاحب الحق الوحيد في أن اعتبره صاحب أعظم تأثير على الإطلاق في التاريخ الإنساني».

٢- الدكتور صمويل مارينوس زويمر: وهو مستشرق عاش في الفترة (١٨٦٧-١٩٥٢م) بدأ نشاطه التبشيري في البصرة والبحرين بين سنتي ١٨٩١ و١٩٠٥م قال في كتابه (الشرق وعاداته): «إن محمداً كان ولا شك من أعظم القادة المسلمين الدينيين، ويصدق عليه القول أيضاً بأنه كان مصححاً قديراً وبلغياً فصيحاً وجريئاً مغواراً، ومفكراً عظيماً، ولا يجوز أن ننسب إليه ما ينافي هذه الصفات، وهذا قرآنه الذي جاء به وتاريخه يشهدان بصحة هذا الادعاء».

٣- ويل جيمس ديورانت: فيلسوف ومؤرخ وكاتب أمريكي عاش في الفترة (١٨٨٥-١٩٨١م) من أشهر مؤلفاته كتاب (قصة الحضارة الإنسانية) فقد جاء فيه: «وإذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا أنّ محمداً كان أعظم عظماء التاريخ فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب أُلقت

به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجذب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانه فيه أي مصطلح آخر في التاريخ».

٤- إدورد بيريز: وهو أمريكي من أصول نمساوية عاش في الفترة (١٨٩١-١٩٩٥ م)، له كتاب عن (الحضارة الغربية) طبع دار مورتون للطباعة والنشر في نيويورك سنة ١٩٧٣ م قال فيه: «إن عظمة الحضارة الإسلامية وأهميتها لا ترجع إلى أنها فقط بدين جديد آمن به الملايين من الناس في أماكن متعددة ومتفرقة - وإنما فيما أحدثته أيضاً من تغيرات اجتماعية وسياسية كثيرة، نتج عنها ثراء فكري وتراث حضاري لم يسبق له مثيل. وقد تضمنت الحضارة الإسلامية الآداب والخلق والفلسفة والمنطق كما كانت ذات تأثير خاص في الحياة السياسية والاجتماعية والعلاقات الدولية».

٥- واشنطن إيرفينغ: وهو مستشرق أمريكي عاش في الفترة (١٧٨٣-١٨٥٩ م) له كتاب (محمد وخلفاؤه) ترجمه للغة العربية الدكتور هاني يحيى نصري ومما جاء فيه: «كان محمد خاتم النبيين وأعظم الرسل الذين بعثهم الله تعالى ليدعوا الناس إلى عبادة الله».

٦- الدكتور جون وليام دريبر: فيلسوف وعالم كيميائي أمريكي الجنسية إنجليزي المولد عاش في الفترة (١٨١١-١٨٨٢ م)، وكان أستاذاً بجامعة نيويورك من مؤلفاته كتاب تاريخ التطور الفكري في أوروبا (٣٢٩/١) قال فيه: «بعد موت جوستنيان (إمبراطور بيزنطي) بأربع سنوات، في عام ٥٦٩ ميلادي ولد في مكة ببلاد العرب، الرجل الذي كان له التأثير الأكبر على الجنس البشري (محمد) وليكون الرأس الديني لإمبراطوريات كثيرة، تقود الحياة اليوم لثلث الجنس البشري، ربما يستحق فعلاً لقب رسول الله محمد الذي سماه الأوروبيون المحتال، رفع أمته من عبادة الأصنام إلى التوحيد الذي انتشر بسرعة بين المتخاصمين الكاثوليك والأريوسيين، منتزعاً من المسيحية وإلى الأبد أكثر من النصف، وأيضاً نصف أراضيها الأقدس التي تشمل ميلاد محل ميلاد إيماننا (المسيح)، وإفريقيا».

٧- بوسورث سميث: مفكر وفيلسوف امريكي عاش في الفترة (١٧٩٤-١٨٨٤م) له

كتاب (محمد والاسلام) طبع لندن سنة ١٨٧٤ ، صفحة ٩٢ جاء فيه: «لقد كان محمداً قائداً سياسياً وزعيماً دينياً في آن واحد. لكن لم تكن لديه عجرفة رجال الدين، كما لم تكن لديه فيالق مثل القياصرة. ولم يكن لديه جيوش مجيشة أو حرس خاص أو قصر مشيد أو عائد ثابت. إذا كان لأحد أن يقول إنه حكم بالقدرة الإلهية فإنه محمد، لأنه استطاع الإمساك بزمام السلطة دون أن يملك أدواتها ودون أن يسانده أهلها... إنَّ محمداً بلا منازع أعظم المصلحين على الإطلاق».

٨- مجلة التايم الأمريكية: قامت مجلة التايم في عددها الصادر بتاريخ ١٥ يوليو

١٩٧٤ بنشر مقال تحت عنوان (من هم قادة التاريخ العظماء) ووضعت آراء متعددة لشخصيات علمية بارزة، وذكرت منها:

١- وليام مكنيل مؤرخ أمريكي بجامعة شيكاغو يقول في المقال الذي نشرته مجلة

التايم: ولو أنك قست الزعامة بمدى تأثيرها فإنك يجب أن تذكر المسيح وبوذا ومحمد وكونفوشيوس على أنهم أنبياء العالم العظماء.

٢- جولز ماسيرمان محلل نفسي أمريكي وأستاذ في جامعة شيكاغو ووضع ثلاثة

شروط لاختياره وهي:

أ- يجب أن يتوفر في القائد التكوين السليم للقيادة.

ب- يجب على القائد أن يوفر لشعبه مجموعة واحدة من المعتقدات.

ج- يجب أن يوفر القائد أو من يكون قائدا نظام اجتماعي يشعر فيه الناس نسبياً بالأمن والطمأنينة.

وبعد أن يقوم بالتحليل والتمحيص لأكثر من شخصية: لويس باستير - غاندي -

كونفوشيوس - الإسكندر الأكبر - قيصر - هتلر - بوذا - المسيح - إلى آخر الباقي حتى

وصل أخيراً إلى النتيجة التالية: لعلَّ أعظم قائد كان على مر العصور هو محمد الذي

جمع الأعمال الثلاثة.

## إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام

مسألة ٢٦٨: إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام رئاسة عامة لأشخاص متميزين كفوئين ينوبون عن النبي صلى الله عليه وآله في تأدية رسالته الإلهية الخاتمة علماً وعملاً ومنهاجاً يجب طاعتهم فيما يوجهون به عموم الناس في كيفية حفظ مصالحهم الدنيوية والدنيوية السياسية والمدنية، ويجب الإمثال لأوامرهم والالتزام بنواهيهم.

وإمامنا هو الزعيم الديني المتوسط بيننا وبين نبينا خاتم الرسل صلى الله عليه وآله المقتدى بقوله وفعله المتصدّر للبيان والإنذار والهداية والإرشاد.

والغرض من نصبه ما فيه من اللطف لعامة المكلفين في تكاليفهم الشرعية فيرشدهم إلى فعل الطاعة والصواب والحكمة وبلوغ الكمالات وينهاهم عما يبعدهم عن الصراط المستقيم ويفوت عليهم سعادة الدنيا والآخرة.

## الإمامة والخلافة

مسألة ٢٦٩: إمامتنا خلافة ربانية ووظيفة إلهية تحمّل أعباءها أمناء مخلصون وعظماء أفاض نذروا أنفسهم لانتشار البشرية من مستنقع الرذيلة وحياة الضعة والحضيض والتهيه إلى سعادة الحياة ونعيم الأبد.

## إمامتنا في مبدئها ومهداها

مسألة ٢٧٠: سئل الإمام الرضا عليه السلام عن الإمامة فقال: «إن الله لم يقبض نبيّه حتى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء حيث قال عزّ من قائل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>١</sup> وأنزل في حجة الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا<sup>(١)</sup> والإمامة من إكمال الدين وتمام النعمة، وقد أقام لهم علياً عالماً وإماماً.

إنَّ الإمامة لا يعرف قدرها إلا الله فهي أجل قدراً، وأعظم شأنًا، وأعلى مكاناً من أن يبلغ حقيقتها الناس بعقولهم أو ينالوها بأرائهم، إن الإمامة خلافة الله والرسول وزمام الدين ونظام المسلمين والإمام يحل ما أحل الله ويحرّم ما حرّم الله ويقيم الحدود ويذب عن الدين، والإمام أمين الله في أرضه، وحجته على عباده وخليفته في بلاده، وهو مُطَهَّر من الذنوب مُبْرَأ من العيوب لا يدانيه أحد في خلقه ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بديل ولا له مثيل فأين للناس أن تستطيع اختيار مثله هذا؟!

### إمامتنا أصل من أصول ديننا

مسألة ٢٧١: إمامتنا أصل من أصول ديننا لا يتم الإيمان على حقيقته إلا بالاعتقاد بها والتسليم لأصحابها الشرعيين لأنها لطف إلهي يستهدف تقريب العباد من الطاعات وابعادهم عن المعاصي والآثام ولا تقبل الأعمال بدونها ولا تؤتى العبادات على وجهها إذا استقيت من غيرهم، وهي استمرار لرسالة النبوة الخاتمة والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول، ولذلك لا يصح أن يخلو عصر من العصور من ذلك الإمام ليخلف النبي ﷺ في وظائفه التي كانت منوطة إليه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين، وله ما للنبي ﷺ من الولاية العامة على الناس لتدبير شؤونهم ومصالحهم وإقامة العدل بينهم ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «كل ما كان لرسول الله ﷺ فلنا مثله إلا النبوة والأزواج».

## إمامتنا إلهية وليست وضعيّة

مسألة ٢٧٢: قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾<sup>١</sup>، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾<sup>٢</sup>.

وإمامتنا إلهية ربانية لا تكون إلا بالنص من الله سبحانه وتعالى على لسان النبي ﷺ أو لسان الإمام الذي جاء قبله وأن طاعته مفترضة على كافة العباد سواء شاءوا أم أبوا سواء ناصروه أم خذلوه أطاعوه أو عصوه، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس.

وليست وضعيّة بشرية تابعة لاختيار الناس وانتخابهم فليس لهم إذا شاءوا أن ينصبوا أحداً نصّبوه، وإذا شاءوا أن يعيّنوا إماماً لهم على وفق مشتمهاياتهم عيّنوه، وليس لهم متى شاءوا أن يتركوا تعيينه وتنصيبه تركوه.

قال رسول الله ﷺ: «من دان بديني وسلك منهاجي واتبع سنتي فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي على جميع أمتي فإن مثلهم في هذه الأمة مثل باب حطة في بني إسرائيل».

## إمامتنا قيادة حكيمة مثالية

مسألة ٢٧٣: تعرف مدى أبعادها المثالية وعمق جذورها السامية من خلال استعراض الشروط الواجبة في حق المتصدي لأدائها والقائم بمهامها وهي كالآتي:

١- أن يكون أفضل أفراد عصره ذاتاً وزكاءً ونقاءً واستعداداً لتحمل أعباء مهمة الإمامة وتسلم مقاليدها.

٢- أن يكون رباني الذات والسيرة والسلوك.

٣- أن يكون عالماً بجميع أحكام الشريعة المحمدية الغراء.

٤- أن يكون زاهداً فيما بيد خلق الله راغباً فيما عند الله تعالى.

(١) سورة الرعد: ٧.

(٢) سورة فاطر: ٢٤.

٥- أن يكون معصوماً من الزيغ والزلل والخطأ في القول والعمل ليؤمن منه على تبليغ الدين ويأمن من يأخذ عنه الأحكام والسنن.

## أئمة أهل البيت عليهم السلام

**مسألة ٢٧٤:** نعتقد فيهم أنهم بشر مثلنا لهم مالنا وعليهم ما علينا لا ننسبهم إلى الربوبية ولا نزعهم ما يزعمه الغلاة والحلولية ولا ندعي فيهم ما ليس فيهم مما لم يرد به الأثر ويصدق به الخبر ومالم يؤكد النص اللائح والبرهان الواضح، وإنّما هم هداة مهديون وأمناء مرضييون انقطعوا لله عزوجل بكلهم فاصطفاهم لسدانة شرعه واستأمنهم على أسرار علمه وحكمه، واستودعهم شريعة خاتم رسله واستحفظهم تبليغها ونشرها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿مُّمُّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾<sup>١</sup>. ونعتقد أنهم خصوص ما ثبت به النص مستفيضاً ودلّ عليه الأثر متواتراً لا مطلق من زعم الإمامة وأنهم من نسل ابنة خاتم النبيين والمرسلين سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء زوجها أمير المؤمنين ويعسوب الدين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أشرف نسل وأطهر أرومة وأزكى ذرية.

ونعتقد فيهم عليهم السلام: أنّ حبهم إيمان وبغضهم كفر وأنّ أمرهم أمر الله ونهيمهم نهى الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، ولهم وليّ الله وعدوهم عدو الله. ونعتقد: أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله على خلقه، إمّا ظاهراً أو خائفاً مغموراً.

## عدد أئمة أهل البيت عليهم السلام

**مسألة ٢٧٥:** نعتقد بإمامة اثني عشر إماماً بعد نبينا خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وآله وصحبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وآله وصحبه: «والأئمة من بعدي اثنا عشر أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآخرهم المهدي القائم طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي ومن أنكر واحداً

منم فقد أنكرني».

أولهم وسيدهم وأبوهم وأشرفهم وأفضلهم ابن عمّه وربيبه وصهره ومستودع علمه وفصل خطابه أمير المؤمنين ويعسوب الدين خاتم الوصيين الإمام علي بن أبي طالب والأحد عشر إماماً البقيّة من ولده وولد ابنة رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين فاطمة الأنسية الحوراء الزهراء عليها السلام أولهم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن علي الجواد ثم علي بن محمد الهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم محمد بن الحسن الحجة القائم بأمر الله صاحب الزمان وخليفة الرحمن في أرضه في زماننا هذا وهو الذي أخبر به النبي ﷺ عن الله عزّ وجلّ باسمه ونسبه، وأنّه هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

وأنّه هو الذي يظهر الله به دينه ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>١</sup> وأنّه عليه السلام هو الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها حتى لا يبقى في الأرض مكان إلاّ نودي فيه بالأذان ويكون الدّين كلّهُ لله تعالى، وأنّه هو المهديّ الذي أخبر به النبي وأنّه إذا نزل عيسى بن مريم صلّى خلفه ويكون المصلّي إذا صلّى خلفه كمن كان مصلياً خلف رسول الله ﷺ لأنّه خليفته.

ونعتقد: أنّه لا يجوز أن يكون القائم غيره بقي في غيبته ما بقي ولو بقي في غيبته عمر الدنيا لم يكن القائم غيره لأنّ النبي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين قد دلّوا عليه باسمه ونسبه وبه نصوا وبه بشّروا.

## علّة انحصار أئمتنا في أهل بيت النبوة

مسألة ٢٧٦: روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «فإن قال قائل: فلم لا يجوز أن يكون الإمام من غير جنس الرسول ﷺ؟ قيل: لعل.

منها أنه لما كان الإمام مفترض الطاعة لم يكن بد من دلالة تدل عليه ويتميّز بها

من غيره وهي القرابة المشهورة والوصية الظاهرة ليعرف من غيره ويهتدي إليه بعينه. ومنها أنه لو جاز في غير جنس الرسول لكان قد فضل من ليس برسول على الرسل، إذ جعل أولاد الرسول اتباعاً لأولاد أعدائه كأبي جهل وابن أبي معيط، لأنه قد يجوز بزعمهم أن ينتقل ذلك في أولادهم إذا كانوا مؤمنين فيصير أولاد الرسول تابعين وأولاد أعداء الله وأعداء رسوله متبوعين، فكان الرسول أولى بهذه الفضيلة من غيره وأحق.

ومنها أن الخلق إذا اقرّوا للرسول بالرسالة وأذعنوا له بالطاعة لم يتكبر أحد منهم عن أن يتبع ولده ويطيع ذريته ولم يتعاضم ذلك في أنفس الناس؛ وإذا كان ذلك في غير جنس الرسول كان كل واحد منهم في نفسه انهم أولى به من غيره ودخلهم من ذلك الكبر ولم تسنح أنفسهم بالطاعة لمن هو عندهم دونهم، فكان لكون ذلك داعيةً لهم إلى الفساد والنفاق والاختلاف».

### علم أئمة أهل البيت عليهم السلام

مسألة ٢٧٧: نعتقد أن أئمتنا متفوقون في مداركهم وأفهامهم على كل من عاصرهم من أبناء البشرية وأنهم محيطون بالأحكام الإلهية والمعارف الربانية والعلوم البشرية وأنهم امتداد لخط النبوة ورسالة السماء الخاتمة وأمناء التنزيل وأركان التأويل وسدنة الوحي وتراجمة القرآن.

ونعتقد أن مصادر علومهم عليهم السلام خمسة:

(المصدر الأول) القرآن الكريم: إذ لا يعرف تفسيره ولا تأويله ولا معناه ولا أحكامه ولا ما فيه من الاسرار والمعارف والامثال والقصص والغرائب والحكم بعد الصادع به ﷺ إلاهم لأنهم أعدل القرآن وحملته ووعاته والمخصوصين بمعارفه وعلومه بالوصية من النبي ﷺ جدهم لأنهم فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أودعه ذلك وأوصاه باستئمانه إلى الأئمة المعصومين من ذريته عليهم السلام.

(المصدر الثاني) الرسول الكريم ﷺ: قال الشيخ الطوسي: «الإمام لا يكون عالماً بشيءٍ من الأحكام إلا من جهة الرسول وأخذ ذلك من جهته».

(المصدر الثالث) الإمام المعصوم الذي كان قبله: فكل واحد منهم يروي عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ.

(المصدر الرابع) الإلهام الرباني والتسديد الإلهي: ونعني به أنه إذا استجدَّ أمر ولم يصله عن الطرق الثلاث المتقدمة (القرآن - الرسول - الإمام السابق له) لابدَّ أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوَّة القدسيَّة التي أودعها الله تعالى فيه فإنَّ توجَّه إلى شيءٍ واران أن يعلمه على وجه الحقيقي مما هو في دائرة صلاحياته نجده لا يخطأ فيه ولا يشتبه ولا يعجز ولا يحتاج في تحصيله إلى البراهين العقلية ولا تلقينات المعلمين وإن كان علمه قابلاً للزيادة والنقصان.

وأنَّ قوَّة الإلهام عند الإمام التي تسمى بعبارة أخرى بالملكة القدسيَّة تبلغ الكمال النسبي في أعلى درجاته فيكون في صفاء نفسه القدسيَّة على استعداد لتلقي المعارف والعلوم في كل وقت فمتى توجَّه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع تحصيل علمه بتلك القوَّة القدسيَّة الإلهاميَّة بلا توقف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلم وتنجلي في نفسه المعلومات كما تنجلي المرئيات في المرآة الصافية لا التواء فيها ولا إبهام.

(المصدر الخامس) التجربة والاكْتساب والخبرة والممارسة وشأنهم فيها كشأن سائر أفراد الإنسان بحكم الضرورة واقتضاء الفطرة واستدعاء الجبلة والطبيعة المشتركة بين أفراد بني نوع الإنسان.

### مناقِبُ أئمتنا ﷺ

مسألة ٢٧٨: إنَّ المتصفح لكتب الآثار والسير والتاريخ الشيعة تصف على ذكر مناقب لكل إمام من أئمة أهل البيت ﷺ بالخصوص تختلف عمَّا ذكر من مناقبٍ للآخر فما هو الوجه في ذلك؟ وفي الجواب عن ذلك يقول العلامة السيد محسن الأمين

ما لفظه: «ليس معنى هذا أن المنقبة التي يتّصف بها أحد الأئمة لا يتصف بها الآخر، فكلمهم مشتركون في جميع المناقب والفضائل، وهم نور واحد، وطينة واحدة، وهم أكمل أهل زمانهم في كل صفة فاضلة، ولكن لما كانت مقتضيات الزمان متفاوتة كان ظهور تلك الصفات متفاوتة أيضاً -مثلاً- ظهور الشجاعة من أمير المؤمنين وولده الحسين ليس كظهورها من بقية الأئمة، ذلك أن شجاعة عليّ عليه السلام ظهرت بجهاده بين يدي الرسول الأعظم ﷺ، وبمحاربتة الناكثين والمارقين والقاسطين أيام خلافته، والحسين ظهرت شجاعته في وقعة كربلاء، حيث أمر بمقاومة الظالمين، ولم تظهر آثار الشجاعة من الأئمة الباقين، لأنهم أمروا بالصبر والمداراة، والكل مشتركون في أنهم أشجع أهل زمانهم، والباقر والصادق ظهرت منهما آثار العلم أكثر من بقية الأئمة الأطهار، لعدم الخوف، حيث وجدا في آخر دولة ضعيفة وأول دولة جديدة، والكل مشتركون في أنهم أعلم أهل زمانهم، وقد تكون آثار الكرم والسخاء، وكثرة الصدقات والعق أظهر منها في الباقي، لسعة ذات يده، أو لكثرة الفقراء في بلده دون الباقي، والكل مشتركون في أنهم أكرم أهل زمانهم، وقد تكون العبادة أظهر منها في غيره، لبعض الموجبات والمقتضيات، لقلّة إطلاع الناس على حاله، أو قصر مدته في هذه الحياة، أو غير ذلك، وكلمهم أعبد أهل زمانه، وقد تكون آثار الحلم في بعضهم أظهر منها في غيره، لكثرة ما ابتلي به من أنواع الأذى التي تظهر حلم الحليم، وكلمهم أحلم أهل زمانهم، إلى غير ذلك من مقتضيات الأحوال».

## محطات من سيرة أئمتنا

مسألة ٢٧٩: اعلم أنّ لأئمتنا من السجايا والفضائل والكمالات ما يعجز القلم عن الإحاطة بها، وعند النظر في حياة كل واحد منهم ندرك كيف أنهم كانوا يكملون بعضهم بعضاً ويقدمون نموذجاً من الحلقات المتكاملة والأدوار المتنوعة التي تصب في النهاية في هدف واحد وهو رسم الصورة الحقيقية للإسلام الذي جاء به جدهم رسول الله خاتم المرسلين ﷺ وكيف أنهم حاولوا أن يوصلونه لأجيال أزمنة كل واحد منهم

ويزيدونه تحصيناً وحيوية وخلوداً لتتكمّل صورته وتتحصن في وجه الانحراف الذي عصف بالأمة الإسلامية واستحكم جذوره في واقعهم رغم كل ما عانوه من تنكيل واضطهاد ومضايقات ونكتفي هنا بتناول كل واحد منهم بنبذة موجزة للغاية بالنحو التالي:

## الإمام الأوّل للفترة ( ١١ هـ - ٤٠ هـ )

### الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

مسألة ٢٨٠: أول أئمة أهل البيت النبوي هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم الرسول ﷺ وزوج ابنته سيد نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام وربيّه. ولد بمكة في داخل البيت الحرام يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة.

وأمه الشريفة الجليلة فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف وكانت من رسول الله ﷺ بمنزلة الأم وربّي في حجرها، وكانت من سابقات المؤمنات إلى الإيمان وهاجرت مع رسول الله ﷺ إلى المدينة وكفّنها عند موتها بقميصه ليدرأ به عنها هوام الأرض، وتوسّد في قبرها لتأمن بذلك من ضغطة القبر، ولقّنها الإقرار بولاية ابنها كما اشتهر في الرواية، فكان الإمام علي عليه السلام هاشمياً من هاشميين.

مسألة ٢٨١: كنيته المشهورة أبو الحسن، وقد كني أيضاً بأبي الحسين وأبو السبطين وأبو الريحانيتين وكناه رسول الله ﷺ بأبي تراب لما رآه ساجداً معضراً في التراب، ولقبه أمير المؤمنين، وخصّه النبي ﷺ به لما قال: «سلموا على عليّ بإمرة المؤمنين، ولم يجوز علمائنا أن يطلق هذا اللقب لغيره من الأئمة عليهم السلام ولا غيرهم، فقالوا: إنه انفرد بهذا التلقب فلا يجوز أن يشاركه في ذلك غيره».

مسألة ٢٨٢: كان له عليه السلام من الأولاد ثمانية وعشرون ولداً ذكراً وأنثى

وترتيبهم كالاتي:

١- الحسن، ٢- الحسين، ٣- زينب الكبرى، ٤- زينب الصغرى المكناة بأم كلثوم  
 أمهم فاطمة البتول سيّدة نساء العالمين بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين ولها ابن  
 خامس سماه النبي ﷺ محسناً، أسقط وهو حمل فمات، ٥- محمد المكنى بأبي  
 القاسم أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية، ٦- عمر، ٧- رقية كانا توأمين أمهما  
 أم حبيب بنت ربيعة، ٨- العباس، ٩- جعفر، ١٠- عثمان، ١١- عبد الله الشهداء مع  
 أخيهما الحسين عليهما السلام بطف كربلاء أمهم أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم،  
 ١٢- محمد الأصغر المكنى بأبي بكر، ١٣- عبيد الله الشهيدان أيضاً مع أخيهما  
 الحسين عليهما السلام بالطف أمهما ليلى بنت مسعود الدارميّة، ١٤- يحيى أمه أسماء بنت  
 عميس الخثميّة، ١٥- أم الحسن، ١٦- رملة أمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود  
 الثقفي، ١٧- نفيسة، ١٨- زينب الصغرى، ١٩- رقية الصغرى، ٢٠- أم هاني، ٢١- أم  
 الكرام، ٢٢- جمانة المكناة أم جعفر، ٢٣- أمامة، ٢٤- أم سلمة، ٢٥- ميمونة،  
 ٢٦- خديجة، ٢٧- فاطمة. رحمة الله عليهم لأمهات شتى.

**مسألة ٢٨٢:** عاش مع رسول الله ﷺ بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة منها ثلاث  
 عشرة سنة بمكة قبل الهجرة وعشر سنين بعد الهجرة بالمدينة إلى رحيله ﷺ إلى  
 الرفيق الأعلى، وكان له من العمر يومئذٍ ثلاث وثلاثون سنة، وعاش بعد ذلك ثلاثين  
 سنة منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر المدة التي تولى فيها الحكم الخلفاء الثلاثة  
 ومنها خمس سنين وستة أشهر الفترة التي تسلم فيها الحكم بعدهم إلى أن تعرض  
 للاغتيال الغادر.

## أول محطات حياته الشريفة

**مسألة ٢٨٤:** أول محطات حياته هي مجموع الامتيازات والمختصات التي اختصها  
 الله بها وهي:

١- ولادته في جوف الكعبة وهي مكرمة ومنقبة لم تحصل لأحد قبله ولا تكون لأحد  
 بعده خصّه الله تعالى بها إجلالاً لمحلّه ومنزلته وإعلاءً لقدره.

- ٢- كان أول من أسلم وكان أعلم الصحابة وأشجعهم والمقدم في جميع الصفات والخصال عليهم بإجماعهم وإذعانهم واحتياجهم إليه واستغناؤه عنهم.
- ٣- زواجه من فاطمة الزهراء عليها السلام بنت النبي الأكرم ﷺ وكان ذلك بأمر الله تعالى، فقد ورد عن رسول الله ﷺ قوله: هبط عليّ جبرئيل، فقال: يا محمد! إن الله تعالى يقول: لو لم أخلق عليّاً ما كان لفاطمة كفو من ولد آدم ومن ذريّته.
- ٤- لقب أمير المؤمنين: يعتقد الشيعة أن هذا اللقب يختص بالإمام علي عليه السلام دون غيره، وقد أطلقه رسول الله ﷺ عليه في حياته.
- ٥- سد الأبواب: أمر رسول الله ﷺ بإغلاق أبواب بيوت المسلمين التي كانت تفتح على مسجده ما عدا بيت الإمام علي عليه السلام، وكان ذلك بأمر من الله تعالى.
- ٦- مؤاخاته مع النبي ﷺ عندما قام بعد الهجرة إلى المدينة بعقد المؤاخاة بين المهاجرين وعرفت بعقد الأخوة، كما عقدها ثانية بين المهاجرين والأنصار، وفي كلا المرتين اختار الإمام علي عليه السلام أخاً له في المؤاخاة، فقال: علي أخي.
- ٧- تبليغ آية البراءة: عندما نزلت سورة التوبة أو الآيات الأولى منها ألغى رسول الله ﷺ عهده مع حلفائه المشركين وبعث الإمام علي عليه السلام لتبليغها في موسم الحج على مسامح أهل مكة.
- ٨- التصدق بالخاتم: المقصود منه تصدقه عليه السلام بخاتمه للفقير وهو في حال الركوع حين جاء إليه يسأله ويطلب عونه وهو متلبس في صلاته وقد نزلت في شأنه هذه الآية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾<sup>١</sup>.

## محطّة فضائله

مسألة ٢٨٥: هناك مجموعة من الفضائل التي وردت عن رسول الله ﷺ في حقه وبيان منزلته من أهمها:

١- حديث الغدير: ورد هذا الحديث في خطبة النبي الأكرم ﷺ في غدير خم

والتي نصب فيها علي عليه السلام مولى للمسلمين.

٢- حديث المنزلة: حديث يبين أن مكانة الإمام علي عليه السلام من النبي ﷺ، كمكانة هارون من النبي موسى.

٣- حديث مدينة العلم: في قول النبي ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأتها من بابها».

٤- حديث يوم الدار: ورد في هذا الحديث أن النبي ﷺ طلب من أقاربه أن يقبلوا الدعوة، ومن ضمنها قبول خلافة علي بن أبي طالب بعده.

٥- حديث الوصاية: في هذا الحديث يعرف النبي ﷺ أن الإمام علي عليه السلام وصيه وخليفته.

٦- حديث الولاية: هو حديث عن النبي ﷺ يبين فيه أن الإمام علي عليه السلام هو ولي المؤمنين.

٧- حديث الطير: يتكلم هذا الحديث عن فضيلة للإمام علي عليه السلام وأن النبي ﷺ أراد أن يأكل الطعام، وكان عبارة عن طير مشوي، فدعا الله أن يشركه في طعامه أفضل خلقه، فأتى علي عليه السلام، وأكل معه.

٨- حديث الراية: حديث معروف عن النبي ﷺ حول الإمام علي عليه السلام في غزوة خيبر، وأنه سيعطي الراية غدا لرجل يفتح الله على يده يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله فكان ذلك الرجل هو الإمام علي عليه السلام.

٩- حديث الثقلين: من أشهر الأحاديث النبوية التي تتحدث عن مكانة القرآن وأهل البيت، والذي جاء فيه: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسككم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

١٠- حديث الكساء: وهو أن النبي ﷺ دعا بكساء، وجمع علي وفاطمة والحسن

والحسين تحته وقال: «اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحماتي لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك

وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعلمهم وذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

١١- حديث السفينة: حديث معروف عن النبي ﷺ والذي شبّه فيه أهل بيته بسفينة نوح، وأن النجاة لمن ركبها والهلاك والغرق لمن تخلف عنها.

١٢- حديث الشجرة: وفيه ورد أنه ﷺ وعلي ﷺ من شجرة واحدة وسائر الناس من شجر شتى.

١٣- حديث اللوح: من الأحاديث المروية عن النبي ﷺ في إثبات إمامة الأئمة الاثني عشر، وذكر فيه أسماءهم من الإمام الأول الإمام علي ﷺ إلى الإمام الثاني عشر الإمام المهدي ﷺ.

١٤- حديث الحق: من الأحاديث المعروفة للنبي ﷺ: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة».

وهناك روايات أخرى وردت عن النبي ﷺ تتضمن النص الصريح على المزيد من فضائله ﷺ، منها:

١- «ضربة علي يوم الخندق أفضل عبادة الثقلين».

٢- «من سب علي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله».

٣- «من أذى علياً فقد آذاني».

٤- «حب علي هو الذي يميز بين المؤمن والمنافق».

٥- «ذُكر علي عبادة».

٦- «النظر إلى عليّ عبادة».

٧- «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء بعدي أفضل من عليّ ﷺ، وإنه إمام أمّتي وأميرها وهو وصي وخليفتي عليها، من اقتدى به بعدي اهتدى، ومن اقتدى بغيره ضلّ وغوى».

٨- «إني أنا النبي المصطفى، ما أنطق بفضل عليّ عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، إليّ نزل به الروح المجتبي، عن الذي ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾<sup>١</sup>».

٩- «ولاية عليّ مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله نبياً إلا بنبوة محمّد وولاية وصيّته عليّ».

١٠- «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب».

١١- «إن الله عز وجل باهى بكم فغفر لكم عامة وغفر لعلي خاصة وأني رسول الله إليكم غير هائب لقومي ولا محابٍ لقرايتي هذا جبرائيل يخبرني: إن السعيد، كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياتي وبعد وفاتي، والذي بعثني بالحق لا يقبل الله من عبده حسنة، حتى يسأله عن حبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام».

١٢- «يا عليّ، أنت أمير المؤمنين، وإمام المتقين، يا عليّ أنت سيّد الوصيّين، ووارث علم النبيّين، وخير الصديقين، وأفضل السابقين، يا عليّ أنت زوج سيّدة نساء العالمين، وخليفة خير المرسلين، يا عليّ أنت مولى المؤمنين، يا عليّ أنت الحجة بعدي على الخلق أجمعين، استوجب الجنّة من تولاك واستحق النار من عاداك».

١٣- «عنوان صحيفة المؤمن يوم القيامة حبّ عليّ بن أبي طالب».

١٤- «إنّ علياً راية الهدى بعدي، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني».

وغيرها.

## محطته مع معاوية ابن ابي سفيان

مسألة ٢٨٦: من أشد الأمور التي ابتلي بها في فترة خلافته انشقاق وتمرد والي الشام معاوية ابن أبي سفيان (حكم الشام من سنة ٤١ إلى ٦٠ هـ). وتشبثه بولايته عليها ورفضه التنجى على الرغم من صدور مرسوم من قبله بعزله عنها واضطراره إلى الدخول معه في معارك ووقائع حربية امتدت لسنوات.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٢٨٧: وآخر محطات حياته هو الحادثة الأليمة التي أودت إلى استشهاده في مسجد الكوفة قبل الفجر ليلة الجمعة احدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة قتيلاً بالسيف قتله ابن ملجم المرادي لعنه الله في مسجد الكوفة، وكان قد خرج عليه السلام يوقظ الناس لصلاة الصبح ليلة تسع عشر من شهر رمضان وقد ارتصده من أول الليل لذلك فلما مرّ به في المسجد وهو مستخفٍ بأمره مماكر بإظهار النوم في جملة النيام ثار إليه فضربه على رأسه بالسيف وكان مسموماً فمكث يوم تسعة عشر وليلة عشرين ويومها وليلة احدى وعشرين إلى نحو الثلث الأول من الليل ثم قضى نحبه عليه السلام شهيداً عن عمر يناهز الثلاث والستين سنة، وتولى غسله وتكفينه ابنه الحسن والحسين عليهما السلام بأمره وحمله إلى منطقة الغري من نجف الكوفة فدفناه هناك وعفيا موضع قبره بوصية كانت منه إليهما في ذلك فلم يزل قبره عليه السلام مجهول الموضع مخفياً حتى دلّ عليه الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام في أيام الدولة العباسية عندما زاره حين وروده إلى أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي آنذاك وكان قصره بالحيرة فعرفته الشيعة وبدأوا منذ ذلك الحين بزيارته عليه السلام والاهتمام بعمارة مشهده.

## الإمام الثاني للفترة (٤٠ هـ - ٥٠ هـ)

### الإمام الحسن بن علي عليه السلام

مسألة ٢٨٨: هو رابع أصحاب الكساء وأحد ريحانتي النبي ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة، وكنيته أبو محمد وألقابه: الزكي، المجتبي، التقي.

مسألة ٢٨٩: أول محطات حياته الشريفة ولادته بالمدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو أول مولود يولد للإمام علي وفاطمة الزهراء عليهما السلام والسبط الأوّل لرسول الله ﷺ وقد جاءت به أمّه الزهراء إلى أبيها ﷺ في اليوم السابع من مولده فسمّاه حسناً وعقّ عنه كبشاً.

مسألة ٢٩٠: عاش عليه السلام في كنف جدّه الرسول الأعظم ﷺ ورعاية أمه الزهراء عليها السلام سبع سنوات وعاش مع أبيه الإمام علي عليه السلام ٣٧ سنة حتى استشهاده سنة (٤٠ هـ) ثم بقي بعده عشر سنين.

مسألة ٢٩١: له من الأبناء اربعة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم: زيد والحسن المثني وعمر والقاسم وعبد الله والحسين الملقّب بالأثرم وطلحة وعبد الرحمن وأم الحسن وأم الحسين، وفاطمة وأم عبد الله وأم سلمة ورقية، ولم يعقب منهم غير الحسن وزيد.

مسألة ٢٩٢: المحطة الثانية من حياته علاقته الوثيقة بجده رسول الله ﷺ وما اشتهر من حبه واهتمامه به منذ طفولته الأولى، وكان يحمله على عاتقه، ويقول: «اللهم إني أحبه؛ فأحبه، وأحياناً عندما كان يسجد في صلاة الجماعة يصعد الحسن على كتفه، فلا يرفع رأسه من السجود حتى ينزل من على كتفه، وعندما يسأله أصحابه عن طول سجوده؟ يجيبهم: أردت أن ينزل هو بنفسه من على كتفي».

وقال عليه السلام في شأنه:

- ١- «من سرّه أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنّة فلينظر إلى الحسن».
  - ٢- «هو سيّد شباب أهل الجنّة، وحجّة الله على الأمة».
  - ٣- «اللهم آتي أحبّه فأحبهه وأحبّ من يحبّه».
  - ٤- «حجة الله على الأمة».
  - ٥- «من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني».
  - ٦- «أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني، ومن عصاه فإنه ليس مني».
- مسألة ٢٩٣: المحطة الثالثة أنه عليه السلام كان من ضمن أهل البيت الذين نزلت في حقهم عدة آيات أهمها:
- ١- آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾<sup>١</sup> ويستدل بها لإثبات عصمة أئمة أهل البيت عليهم السلام.
  - ٢- وآية الإطعام: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾<sup>٢</sup>.
  - ٣- آية المودة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>٣</sup> التي تعتبر مودتهم هي أجر رسول الله صلى الله عليه وآله عوضاً عن رسالته لأُمَّته.
  - ٤- آية المباهلة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾<sup>٤</sup> حيث كان وأخاه الحسين عليهما السلام مصداق كلمة «أبناءنا» فيها عندما باهل رسول الله صلى الله عليه وآله نصارى نجران.

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) سورة الإنسان: ٨.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) سورة آل عمران: ٦١.

## أهم محطات فترة إمامته

**مسألة ٢٩٤:** بوع بالخلافة سنة ٤١ هـ بعد استشهاد أبيه الإمام علي عليه السلام وله من العمر ٣٧ سنة وأقام في خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام حيث انتهت بالصّح بينه وبين معاوية بن أبي سفيان لظروف وملابسات عصبية قاهرة ابتدأت منذ محاولته عليه السلام بإنفاذ الجيش الذي أعدّه أبوه الإمام علي عليه السلام في آخر حياته لمحاربة معاوية لتمردّه على مركز الخلافة بالكوفة وعصيانه أمر الإمام علي عليه السلام بالتنحي عن ولاية الشام إلا أنّه فوجئ بانتكاسات خطيرة على رأسها:

١- مكاتبة جماعة من رؤوس أصحابه سراً إلى معاوية لقاء الحصول على مبالغ مالية مغرية وتعهدهم بأسر وتسليم الإمام عند دنو العسكرين من القتال إذا وفي معاوية لهم بما شرطوا.

٢- عدم موافقة الإمام عليه السلام على المطالب والعروض التي تقدّم بها كثير من الوجوه والأعيان المطالبة بمنحهم المناصب والجاه والسلطان إن هم انتصروا على خصومه والتزام الإمام عليه السلام بمبدأ الكفاءات والأمانة والإخلاص في التعيين في المناصب المختلفة ومبدأ المساواة في توزيع الأموال الخراجيّة إقراراً لمبادئ العدالة الإسلاميّة.

٣- نفوذ الكثير من الخوارج بين صفوف الجيش ودأبهم على إثارة الشكوك والشبهات حول الإمام الحسن عليه السلام ودعوتهم للتمرد والعصيان، ولهذه الأمور وغيرها لم يجد الإمام عليه السلام بداً من الرضوخ لمطالب معاوية القاضية بالصّح حقناً لدماء المسلمين وللمحافظة على كيان الأمة الإسلاميّة من المزيد من التمزق والانفلات حتى يتم اصلاح الأوضاع وإرجاعها إلى نصابها الصحيح بالحكمة.

وإلى هذا يشير عليه السلام بقوله: «إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض فأردت أن يكون للدين ناع».

وقال عليه السلام في موضع آخر: «وإن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه فنظرت لصلاح

الأمة وقطع الفتنة فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه وقد رأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ولم أرَ إلا صلاحكم وبقاءكم وإن أدري لعله فتنه لكم ومتاع إلى حين».

فاشترط عليه السلام شروطاً تحد من نوايا معاوية وتذهب بأحلامه أدراج الرياح ومن أهمها:

١- يسلم الإمام الحسن عليه السلام الحكم لمعاوية شريطة أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وبسيرة الخلفاء الصالحين.

٢- أن يترك سب أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام من على المنابر.

٣- أن يضمن الأمان للناس بما فهم شيعته ولا يتعرض لأحد منهم بسوء.

٤- أن لا يُعيّن خلفاً لنفسه ولا يعهد بالحكم إلى أحد ويعود الحكم إلى الإمام الحسن عليه السلام بعد موت معاوية إن كان الإمام حياً وإن كان ميتاً تسلّم مقاليد الحكم إلى أخيه الحسين عليه السلام.

٥- أن لا يُسَمي نفسه بأمير المؤمنين.

٦- أن لا يحق له في أن يتصرف في بيت مال المسلمين كيفما يشاء ويحلوه له.

إلا أن معاوية حينما تمت له السيطرة على الحكم لم يفِ بواحدٍ من الشروط التي أخذ على نفسه الوفاء بها وغدر بالإمام الحسن عليه السلام وروي أنه قدم الكوفة، وخطب في الناس قائلاً: «كل شرط شرطته فهو مردود، وكل وعد وعدته فهو تحت قدمي هاتين، وقال لهم أيضاً: ما قاتلتكم لتصوموا ولا لتصلوا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم».

ولما بلغ الإمام ذلك رد عليه بقوله: «إن معاوية بن صخر زعم أنني رأيت للخلافة أهلاً، ولم أرَ نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية وأيم الله لأنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان رسول الله، غير أنا لم نزل أهل البيت مخيفين مظلومين مضطهدين منذ قبض رسول الله، فالله بيننا وبين من ظلمنا حقنا».

وعلى الرغم من أنه عليه السلام تنحى عن سدة الحكم بسبب صلحه مع معاوية ظاهرياً

إلا أنه رجع من الكوفة إلى المدينة المنورة وبقي فيها عشر سنين إماماً وزعيماً لبني هاشم وشيعته وجهد نفسه على حفظ الخط الأصيل الحقيقي للإسلام، ومواجهة صدمة الانحراف، وكان يحظى بمكانة مرموقة في المجتمع واحترام كبير من عامة الناس، ومارس دوره الريادي في تربية وتوجيه المجتمع نحو الفضائل السلوكية والأخلاقية ونشر قيم الدين والتصدي لبيان الأحكام واشتهر بالكرم والسخاء ونجدة الفقراء واسعاف المحتاجين حتى عرف ولقب بكريم أهل البيت.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٢٩٥: كانت آخر المحطات في حياته هي واقعة استشهاده التي تمت بتدبير من معاوية بعد أن أراد أن يأخذ البيعة لابنه يزيد ويستتب الأمر له فعمد إلى التخلص منه عليه السلام، وأرسل إلى زوجته جعدة بنت الأشعث مائة ألف درهم، ووعداها بالزواج من ابنه يزيد إذا بادرت إلى دس السم إلى زوجها الحسن عليه السلام فأجابته لما طلب منها ومرض الإمام على أثر ذلك السم أربعين يوماً وانتقل بعدها إلى جوار ربّه مظلوماً شهيداً في السابع من شهر صفر وقيل في يوم الثامن والعشرين منه سنة خمسين للهجرة، وكان عمره الشريف حين استشهد ٤٧ سنة.

وكان قد أوصى أخاه الإمام الحسين عليه السلام أن يدفنه إلى جنب جده الرسول صلوات الله وسلامه عليه وعندما حمل بنو هاشم النعش بمشاركة جموع غفيرة من أهل المدينة، وشيعوه نحوه جاء مروان بن الحكم مع جماعة من بني أمية، وهم يحملون السلاح، فسدّوا عليهم الطريق ورموا النعش بسبعين سهماً، وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أمية، لكن الإمام الحسين عليه السلام حقناً للدماء اضطر لتغيير مسار التشييع باتجاه البقيع ودفنه عليه السلام عند قبر جدته فاطمة بنت الأسد.

وضجّ عموم أهل المدينة بالبكاء والنحيب على فقده في ذلك اليوم وعطلت الأسواق وأقيم الحداد عليه سبعة أيام.

وقد وفي معاوية لجعدة بالمال ولم يزوجها من يزيد وقال لها: أخشى أن تصنعي بابني ما صنعت بابن رسول الله.

## الإمام الثالث للفترة (٥٠ هـ - ٦١ هـ)

### الإمام الحسين بن علي عليه السلام

**مسألة ٢٩٦:** هو خامس أصحاب الكساء وأحد ریحانتي النبي ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة كأخيه الإمام الحسن عليه السلام، وكنيته أبو عبد الله وألقابه: الشهيد، الطيب، الوفي، الزكي، السيد.

**مسألة ٢٩٧:** المحطة الأولى من حياته الشريفة هي ولادته بالمدينة المنورة لثلاث أيام مضين من شعبان سنة أربع من الهجرة، وهو ثاني مولود للإمام علي وفاطمة الزهراء عليها السلام ولم يكن بينه وبين أخيه الإمام الحسن عليه السلام إلا مدة الحمل وكان الحمل ستة أشهر.

**مسألة ٢٩٨:** كان له من الأولاد ستة ذكور وأربع بنات: علي الأكبر شهيد كربلاء وأمه ليلى بنت أبي مرّه بن عروة بن مسعود الثقفي، وعلي الأوسط، وعلي الأصغر زين العابدين وأمه شاه زنان بنت كسرى، ومحمد وجعفر مات في حياة أبيه، وعبد الله الرضيع ذبح في حجر أبيه، وأمه الرباب بنت امرئ القيس، وفاطمة، وزينب وسكينة ورقية ولم يكن للحسين عليه السلام نسل إلا من الإمام زين العابدين عليه السلام.

**مسألة ٢٩٩:** المحطة الثانية مشاركته لأخيه الإمام الحسن عليه السلام في جميع ما نزل فيه من الآيات القرآنية التي تقدم الإشارة إليها.

**مسألة ٣٠٠:** عاش سبعاً وخمسين سنة وخمسة أشهر كان منها مع رسول الله ﷺ سبع سنين ومع والده الإمام علي عليه السلام سبعاً وثلاثين سنة ومع أخيه الإمام الحسن عليه السلام سبعاً وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته عشر سنين وأشهرًا، وقتل صلوات الله وسلامه عليه في يوم العاشر من المحرم واتفق يوم الإثنين سنة (٦١ هـ) مع اثنين وسبعين من خيرة أهل بيته وخيار صحابته.

## أهم محطات حياته الشريفة

مسألة ٣٠١: من أبرز محطات حياته عليه السلام محطته الأولى مع جده المصطفى عليه السلام وبدأت عندما جاءت به أمه فاطمة الزهراء عليها السلام إلى أبيها عليه السلام فسمّاه حسيناً وعقّ عنه كبشاً واشتهر حب رسول الله عليه السلام له منذ طفولته الأولى كما كان منه لأخيه الحسن عليه السلام وكان يكثر قول:

١- «الحسن والحسين سيदा شباب أهل الجنة».

٢- «الحسن والحسين سبطان من الأسباط».

٣- «الحسن والحسين ابناي، مَنْ أَحَبَّهُمَا أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ أَدَخَلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي أَبْغَضَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ أَدَخَلَهُ النَّارَ».

٤- «من أحبهما أحبته، ومن أحبته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله عذاب جهنم وله عذاب مقيم».

٥- «أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي، وأما الحسين فإن له شجاعتي وجودي»<sup>(١)</sup>.

٦- «الحسن والحسين صفوة الله».

٧- «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

٨- «إنّ الحسين بن علي في السماء أكبر منه في الأرض، وانه لمكتوب عن يمين عرش الله عزّ وجلّ: مصباح هدى وسفينة نجاة وامام خير ويمن وعز وفخر وعلم وذخر».

٩- «حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا».

(١) بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٦٣، ومناقب آل أبي طالب: ٢ / ٤٦٥، ونظم درر السمطين: ص ٢١٢.

وكانت الفترة القصيرة التي عاشها الحسين عليه السلام مع جدّه عليه السلام من أهمّ الفترات في تاريخ الإسلام، فقد وطّد الرسول عليه السلام فيها أركان دولته المباركة، وأقامها على أساس العلم والإيمان، وهزم جيوش الشرك، وهدم قواعد الإلحاد، وأخذت الانتصارات الكبرى تتوالى وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً.

كما أنه عاش مع أبيه عليه السلام في فترة إمامته سنداً له وحينما تولّى الخلافة، وشارك معه في جميع مشاهد وأحداث ووقائع تلك الحقبة المتأزمة الحرجة.

وكذلك الحال كان مع أخيه فكان له السند والعضد والمعين في كل ما واجهه من محن وايداعات وابتلاءات وحروب وفتن.

### محطّة تقلده مهام الإمامة

مسألة ٣٠٢: ثاني محطات حياته عليه السلام هي التي بدأها مع تقلد مهام الإمامة بعد استشهاد أخيه الإمام الحسن عليه السلام والتي أمضاها في المدينة المنورة زعيماً دينياً وموجهاً ومرتبياً للأمة واستمرت لعشر سنوات وتواصل فيها مع شيعته للحفاظ على الخط الأصيل الحقيقي للإسلام وتأسيس مجتمع المدنية الفاضلة والعمل على التمهيد لمرحلة امامة ابنه الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام الذي سيلي دوره.

### محطته مع والي المدينة

مسألة ٣٠٣: ثالث محطات حياته عليه السلام المهمة كانت مع والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بعد تقلد يزيد بن معاوية زمام الخلافة بعد وفاة أبيه معاوية في شهر رجب سنة ستين للهجرة حيث لم يكن ليزيد همة حين ولي الأمر إلا بيعة النفر الذين أبوا على أبيه معاوية الإجابة إلى بيعته حين دعا الناس إليها وانه ولي عهده بعده والفرغ من أمرهم، فكتب إلى الوليد يخبره بموت معاوية وكتب إليه في صحيفة: «أما بعد... فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة حتى يبايعوا والسلام».

فأشار عليه مروان أن يبعث إليهم في تلك الساعة ويدعوهم إلى البيعة والدخول في الطاعة فان فعلوا قبل منهم وكف عنهم وان أبوا قدمهم فضرب أعناقهم فإنهم ان علموا بموت معاوية وثب كل منهم في جانب وأظهر الخلاف والمنازعة ودعا إلى نفسه عدا ابن عمر فإنه لا يرى القتال الا أن يدفع الامر إليه عفواً.

فأرسل عبد الله بن عمرو بن عثمان إلى الحسين وابن الزبير يدعوهم فوجدهما في المسجد فدعاهما في ساعة لم يكن الوليد يجلس فيها للناس فقالا: انصرف الان نأتيه.

فقال حسين لابن الزبير: أرى طاغيتهم قد هلك فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفسو في الناس الخبر.  
فقال: وأنا ما أضن غيره.

فقام الحسين وجمع إليه مواليه وأهل بيته وسار إلى باب الوليد وقال لهم: اني داخل فإن دعوتكم أو سمعتم صوته قد علا فافتحموا عليّ وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم، فدخل على الوليد ومروان جالس عنده فقرأه الوليد الكتاب ودعاه إلى البيعة فاسترجع الحسين وقال: ان مثلي لا يعطى بيعته سراً ولا أراك تجتزئ بها مني سراً دون أن تظهرها على رؤوس الناس علانية، قال: أجل؟ قال: فإذا خرجت إلى الناس فدعوتهم إلى البيعة دعوتنا مع الناس فكان أمراً واحداً فقال له الوليد، وكان يحب العافية: انصرف على اسم الله.

فقال له مروان: والله لئن فارقت الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فغضب الحسين وقال: «ويلي عليك يا بن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي؟ كذبت ولؤمت نحن أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ويزيد فاسق شارب الخمر وقاتل النفس ومثلي لا يبايع مثله».

## آخر محطات حياته الشريفة (شهادته)

مسألة ٣٠٤: كانت آخر محطات حياته الشريفة عليه السلام في كربلاء العراق التي سطر فيها أروع ملاحم البطولة والشجاعة ونال وساماً ودرجة لا يبلغها إلا بالشهادة، وروى عن عبد الله بن منصور أنه سال الإمام جعفر الصادق عليه السلام، عن مقتله عليه السلام يوم العاشر من المحرم في كربلاء، فقال: حدثني أبي عن أبيه، قال: لما حضرت معاوية الوفاة دعا ابنه يزيد.. فأجلسه بين يديه، فقال له: يا بني إني قد ذلت لك الرقاب الصعاب ووطدت لك البلاد وجعلت الملك وما فيه لك طعمةً وإني أخشى عليك من ثلاثة نفر يخالفون عليك بجهدهم وهم عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد الله بن الزبير، والحسين بن علي، فأما عبد الله بن عمر فهو معك فالزمه ولا تدعه، وأما عبد الله بن الزبير فقطعه إن ظفرت به إرباً إرباً، فإنه يجثو لك كما يجثو الأسد لفريسته ويؤاربك مؤاربة الثعلب للكلب، وأما الحسين فقد عرفت حظّه من رسول الله وهو من لحم رسول الله ودمه، وقد علمت لا محالة ان أهل العراق سيخرجونه إليهم ثم يخذلونه ويضيعونه، فإن ظفرت به فاعرف حقه ومنزلته من رسول الله ﷺ ولا تؤاخذ به فاعله، ومع ذلك فإن لنا به خلطة ورحماً وإياك أن تناله بسوء ويرى منك مكروهاً، قال: فلما هلك معاوية وتولّى الأمر بعده يزيد بعث عامله على مدينة رسول الله ﷺ، وهو عمّه عتبة بن أبي سفيان فقدم المدينة وعليها مروان بن الحكم وكان عامل معاوية فأقامه عتبة من مكانه وجلس فيه لينقذ فيه أمر يزيد فهرب مروان فلم يقدر عليه وبعث عتبة إلى الحسين بن علي عليه السلام، فقال: إن أمير المؤمنين أمرك أن تباع له، فقال الحسين عليه السلام: يا عتبة قد علمت إنا أهل بيت الكرامة ومعدن الرسالة وأعلام الحق الذين أودعه الله عزّوجلّ قلوبنا وأنطق به ألسنتنا فنطقت بإذن الله عزّوجلّ، ولقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: إن الخلافة محرمة على ولد أبي سفيان، وكيف أباع أهل بيت قد قال فيهم رسول الله ﷺ هذا؟! فلما سمع عتبة ذلك دعا الكاتب وكتب بسم الله الرحمن الرحيم إلى عبد الله يزيد أمير المؤمنين من

عتبة بن أبي سفيان أما بعد: فإن الحسين بن علي ليس يرى لك خلافة ولا بيعة فأريك في أمره والسلام.

فلما ورد الكتاب على يزيد كتب الجواب: «إلى عتبة أما بعد: فإذا أتاك كتابي هذا فعجل عليّ بجوابه ويّين لي في كتابك كل من في طاعتي أو خرج عنها وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي» فبلغ ذلك الحسين عليه السلام، فهمم بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق، فلما أقبل الليل راح إلى مسجد النبي ﷺ ليودع القبر فلما وصل إلى القبر سطع له نور من القبر فعاد إلى موضعه، فلما كانت الليلة الثانية راح ليودع القبر فقام يصلي فأطال فنعس وهو ساجد فجاءه النبي ﷺ وهو في منامه فأخذ الحسين عليه السلام وضّمه إلى صدره وجعل يقبل عينيه ويقول: «بأبي أنت كأني أراك مرملاً بدمك بين عصابة من هذه الأمة يرجون شفاعتي ما لهم عند الله من خلاق، يا بني إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك وهم مشتاقون إليك وأن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة» فانتبه الحسين من نومه باكياً فأتى أهل بيته فأخبرهم بالرؤيا وودّعهم وحمل إخوانه على المحامل وابنته وابن أخيه القاسم بن الحسن بن علي عليه السلام ثم سار في أحد وعشرين رجلاً من أصحابه وأهل بيته منهم أبو بكر بن علي ومحمّد بن علي وعثمان بن علي والعباس بن علي وعبد الله بن مسلم بن عقيل وعلي بن الحسين الأكبر وعلي بن الحسين الأصغر، وسمع عبد الله بن عمر بخروجه فقدّم راحلته وخرج خلفه مسرعاً فأدركه في بعض المنازل، فقال: أين تريد يا بن رسول الله؟ قال: العراق، قال: مهلاً أرجع إلى حرم جدك، فأبى الحسين عليه السلام عليه فلما رأى ابن عمر إباءه قال: يا أبا عبد الله اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله ﷺ يقبله منك فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته فقبلها ابن عمر ثلاثاً وبكى وقال: استودعك الله يا أبا عبد الله فإتاك مقتول في وجهك هذا.

فسار الحسين عليه السلام وأصحابه فلما نزلوا ثعلبية ورد عليه رجل يقال له بشر بن غالب، فقال يا بن رسول الله: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ

بِإِمَامِهِمْ<sup>١</sup> قال: إمام دعا إلى هدى فأجابوه إليه وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار، وهو قوله عز وجل: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾<sup>٢</sup> ثم سار حتى نزل العذيب، فقال فيها قائلة الظهيرة ثم انتبه من نومه باكياً، فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبه، فقال: يا بني إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها وأنه عرض لي في منامي عارض، فقال: «تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنة».

ثم سار حتى نزل الرهيمة فورد عليه رجل من أهل الكوفة يكنى أبا هرم، فقال: يا ابن النبي ما الذي أخرجك من المدينة؟ فقال: ويحك يا أبا هرم شتموا عرضي فصبرت وطلبوا مالي فصبرت وطلبوا دمي فهربت وأيم الله ليقتلنني ثم ليلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيافاً قاطعاً وليسلطن عليهم من يذلهم.

قال: وبلغ عبيد الله بن زياد لعنه الله الخبر وأن الحسين عليه السلام قد نزل الرهيمة فأنزل إليه الحر بن يزيد في ألف فارس، قال الحر: فلما خرجت من منزلي متوجهاً نحو الحسين عليه السلام نوديت ثلاثاً يا حر أبشر بالجنة فالتفت فلم أر أحداً، فقلت: ثكلت الحر أمه يخرج إلى قتال ابن رسول الله ﷺ ويبشّر بالجنة فرهقه عند صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام ابنه فأذن وأقام وقام الحسين فصلى بالفريقين جميعاً فلما سلم وثب الحر بن يزيد فقال: السلام عليك يا بن رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال الحسين عليه السلام: وعليك السلام من أنت يا عبد الله، فقال: أنا الحر بن يزيد، فقال: يا حرّ أعلينا أم لنا، فقال الحر: والله يا بن رسول الله لقد بعثت لقتالك وأعوذ بالله أن أحشر من قبري وناصيتي مشدودة إلى رجلي ويدي مغلولة إلى عنقي وأكب على وجهي في النار يا بن رسول الله أين تذهب ارجع إلى حرم جدك فإنك مقتول، فقال الحسين عليه السلام:

سأمضي فما بالموت عار على الفتى  
وواسى الرجال الصالحين بنفسه  
فإن مت لم أندم وإن عشت لم  
إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً  
وفارق مثبوراً وخالف مجرماً  
ألم كفى بك ذلاً أن تموت وترغماً

(١) سورة الإسراء: ٦٩.

(٢) سورة الشورى: ٧.

ثم سار الحسين عليه السلام حتى نزل الققططانية فنظر إلى فسطاط مضروب، فقال: «لمن هذا الفسطاط؟»، ف قيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، فأرسل إليه الحسين عليه السلام فقال: أيها الرجل إنك مذنب خاطئ إن الله عزّ وجلّ أخذك بما أنت صانع إن لم تتب إلى الله تبارك وتعالى في ساعتك هذه فتنصرنني ويكون جدي شفيعك بين يدي الله تبارك وتعالى، فقال: يا بن رسول الله: والله لو نصرتك لكنت أوّل مقتول بين يديك، ولكن هذا فرسي خذه إليك فوالله ما ركبته قط وأنا أروم شيئاً إلا بلغته ولا أراذني أحد إلا نجوت عليه فدونك فخذ» فأعرض عنه الحسين عليه السلام بوجهه ثم قال: لا حاجة لنا فيك ولا في فرسك وما كنت متخذ المضلين عضداً، ولكن فر فلانا ولا علينا فإنه من سمع واعيتنا أهل البيت ثم لم يجينا كبّه الله على وجهه في نار جهنم.

ثم سار حتى نزل كربلاء، فقال أي موضع هذا؟ ف قيل: هذا كربلاء يا بن رسول الله، فقال: هذا والله يوم كرب وبلاء وهذا الموضع الذي يهراق فيه دماؤنا ويباح فيه حريمنا، فأقبل عبيد الله بن زياد بعسكره حتى عسكر بالنخيلة وبعث إلى الحسين عليه السلام رجلاً يقال له عمر بن سعد في أربعة آلاف فارس، وأقبل عبد الله بن الحصين التميمي في ألف فارس يتبعه شيبث بن ربيعي في ألف فارس ومحمّد بن الأشعث بن قيس الكندي أيضاً في ألف فارس وكتب لعمر بن سعد على الناس وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوه، فبلغ عبيد الله بن زياد أن عمر بن سعد يسامر الحسين عليه السلام ويحدّثه ويكره قتاله فوجّه إليه شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف فارس وكتب إلى عمر بن سعد: «إذا أتاك كتابي هذا فلا تمهلن الحسين بن علي وخذ بكظمه وحل بين الماء وبينه كما حيل بين عثمان وبين الماء يوم الدار».

فلما وصل الكتاب إلى عمر بن سعد لعنه الله أمر مناديه فنادى إنا قد أجلنا حسيناً وأصحابه يومهم وليلتهم فشق ذلك على الحسين عليه السلام وعلى أصحابه فقام الحسين عليه السلام في أصحابه خطيباً فقال: اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أركى ولا أطهر من أهل بيتي ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون وأنتم في حل من بيعتي ليست لي في أعناقكم بيعة ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم

فاتخذوه جملاً وتفرّقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبوني ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري، فقام إليه عبد الله بن مسلم بن عقيل بن ابي طالب، فقال: يا بن رسول الله ماذا يقول لنا الناس إن نحن خذلنا شيخنا وكبيرنا وسيدنا وابن سيّد الأعمام وابن نبينا سيد الأنبياء لم نضرب معه بسيف ولم نقاتل معه برمح، لا والله أو نرد موردك ونجعل أنفسنا دون نفسك ودماءنا دون دمك، فإذا نحن فعلنا ذلك فقد قضينا ما علينا وخرجنا مما لزمنا.

وقام إليه رجل يقال له زهير بن القين البجلي فقال: يا بن رسول الله وددت إني قتلت ثم نشرت ثم قتلت ثم نشرت ثم قتلت ثم نشرت فيك وفي الذين معك مائة قتلة وأن الله دفع بي عنكم أهل البيت، فقال له ولأصحابه: جزيتم خيراً، ثم إن الحسين عليه السلام أمر بحفيرة فحفرت حول عسكره شبه الخندق وأمر فحشيت حطباً وأرسل علياً ابنه عليه السلام في ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً ليستقوا الماء وهم على وجل شديد وأنشأ الحسين عليه السلام يقول:

يا دهر أفٍ لك من خليل	كم لك في الإشراق والأصيل
من طالب وصاحب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل	وكلّ حيّ سالك سبيلي

ثم قال لأصحابه: قوموا فاشربوا من الماء يكن آخر زادكم وتوضؤوا واغتسلوا واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم ثم صلّى بهم الفجر وعبأهم تعبئة الحرب وأمر بحفيرته التي حول عسكره فأضرمت بالنار ليقاتل القوم من وجه واحد وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له يقال له ابن أبي جويرية المزني، فلما نظر إلى النار تتقد صفق بيده ونادى: يا حسين وأصحاب الحسين أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل فقيل ابن أبي جويرية المزني، فقال الحسين عليه السلام: اللهم أذقه عذاب النار في الدنيا فنفر به فرسه فألقاه في تلك النار فاحترق، ثم برز من عسكر عمر بن سعد رجل آخر يقال له تميم بن الحصين الفزاري فنادى: يا حسين ويا أصحاب الحسين أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون

الحيثان والله لا ذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جزعاً، فقال الحسين عليه السلام: من الرجل؟ فقيل: تميم بن حصين، فقال الحسين عليه السلام: هذا وأبوه من أهل النار اللهم أقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، قال: فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطئته الخيل بسنابكها فمات، ثم أقبل آخر من عسكر عمر بن سعد يقال له محمد بن أشعث بن قيس الكندي، فقال: يا حسين بن فاطمة أية حرمة لك من رسول الله ليست لغيرك.

قال الحسين عليه السلام: هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ \* ذُرِّيَّةً<sup>١</sup>، ثم قال: والله إن محمداً لمن آل ابراهيم وأن العترة الهادية لمن آل محمد، مَنْ الرجل؟ فقيل: محمد بن أشعث بن قيس الكندي فرفع الحسين عليه السلام رأسه إلى السماء فقال: اللهم أر محمد بن الأشعث ذلاً في هذا اليوم لا تعزه بعد هذا اليوم أبداً، فعرض له عارض فخرج من العسكر يتبرز فسלט الله عليه عقرباً فلذعه فمات بادي العورة.

فبلغ العطش من الحسين عليه السلام وأصحابه فدخل عليه رجل من شيعته يقال له يزيد بن الحصين الهمداني، فقال: يا بن رسول الله أتأذن لي فأخرج إليهم فأذلهم فأذن له فخرج إليهم فقال: يا معشر الناس إن الله عزوجل بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابها، وقد حيل بينه وبين ابنه، فقالوا: يا يزيد فقد أكثرت الكلام فأكفف فوالله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله، فقال الحسين عليه السلام: اقعد يا يزيد.

ثم وثب الحسين عليه السلام متوكئاً على سيفه فنادى بأعلى صوته، فقال: أنشدكم الله هل تعرفوني؟ قالوا: نعم أنت ابن رسول الله وسبطه، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أمي فاطمة بنت محمد؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن أبي علي بن أبي طالب؟ قالوا: اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن جدتي خديجة بنت

خويلد أول نساء هذه الأمة إسلاماً؟، قالوا اللهم نعم، قال: أنشدكم الله هل تعلمون أن سيد الشهداء حمزة عم أبي؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذا سيف رسول الله وأنا متقلده؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن هذه عمامة رسول الله أنا لابسها؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أن علياً كان أولهم إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً وأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فبم تستحلون دمي وأبي الذائد عن الحوض غدأ يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصادر عن الماء ولواء الحمد في يد جدي يوم القيامة؟!

قالوا: قد علمنا ذلك كله ونحن غير تاركين حتى تذوق الموت عطشاً، فأخذ الحسين عليه السلام بطرف لحيته وهو يومئذ ابن سبع وخمسين سنة، ثم قال: اشتد غضب الله على اليهود حين قالوا: عزير بن الله، واشتد غضب الله على النصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، واشتد غضب الله على المجوس حين عبدوا النار من دون الله، واشتد غضب الله على قوم قتلوا نبيهم، واشتد غضب الله على هذه العصاة الذين يريدون قتل ابن نبيهم، قال: فضرب الحر بن يزيد فرسه وجاز عسكر عمر بن سعد لعنه الله إلى عسكر الحسين عليه السلام واضعاً يده على رأسه وهو يقول: اللهم إليك أنيب فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد نبيك، يا ابن رسول الله هل لي من توبة قال: نعم تاب الله عليك، قال: يا ابن رسول الله أتأذن لي فأقاتل عنك فأذن له فبرز وهو يقول:

أضرب في أعناقكم بالسيف      عن خير من حلّ بلاد الخيف

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً ثم قتل فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب فقال: بخ

بخ يا حرّ أنت حرّ كما سميت في الدنيا والآخرة ثم أنشأ الحسين يقول:

لنعم الحرّ حرّ بني رياح      ونعم الحر عند مختلف الرماح  
ونعم الحرّ إذ نادى حسيناً      فجاد بنفسه عند الصباح

ثم برز من بعده زهير بن القين البجلي وهو يقول مخاطباً للحسين عليه السلام:  
اليوم نلقي جدك النبيا وحسناً والمرضى علياً  
فقتل منهم تسعة عشر رجلاً ثم صرع وهو يقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذبكم بالسيف عن حسين  
ثم برز من بعده حبيب بن مظاهر الأسدي رضوان الله عليه وهو يقول:  
أنا حبيب وأبي مظاهر لنحن أزكى منكم وأظهر  
ننصر خير الناس حين يذكر

فقتل منهم أحداً وثلاثين رجلاً ثم قتل، ثم برز من بعده عبد الله بن أبي عروة  
الغفاري وهو يقول:

قد علمت حقاً بنو غفار إني أذب في طلاب الثار  
بالمشرفي والقنا الخطار

فقتل منهم عشرين رجلاً ثم قتل ثم برز من بعده برير بن خضير الهمداني وكان  
أقرأ أهل زمانه وهو يقول:

أنا برير وأبي خضير لا خير فيمن ليس فيه خير

فقتل منهم ثلاثين رجلاً ثم قتل، ثم برز من بعده مالك بن أنس الكاهلي وهو يقول:

قد علمت كاهلها ودودان والخند فيون وقيس عيلان  
بأن قومي قصم الأقران يا قوم كونوا كأسود الجان  
آل علي شيعة الرحمن وآل حرب شيعة الشيطان

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً ثم قتل، وبرز من بعده زياد بن مهاجر الكندي فحمل  
عليهم وأنشأ يقول:

أشجع من ليث العرين الخادر يا رب إني للحسين ناصر  
ولابن سعد تارك مهاجر

فتقل منهم تسعة ثم قتل، وبرز من بعده وهب بن وهب وكان نصرانياً أسلم على  
يد الحسين عليه السلام هو وأمه فاتبعوه إلى كربلاء فركب فرساً وتناول بيده عمود

الفسطاط فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية ثم استوسر فأتى به إلى عمر بن سعد لعنه الله فأمر بضرب عنقه ورمى به إلى عسكر الحسين عليه السلام وأخذت أمه سيفه وبرزت فقال لها الحسين عليه السلام: يا أم وهب اجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء إنك وابنك مع جدي محمد صلى الله عليه وآله في الجنة، ثم برز من بعده هلال بن حجاج وهو يقول:

أرمي بها معلمة أفواهما      والنفس لا ينفعها إشفاقها

فقتل منهم ثلاثة عشر رجلاً ثم قتل وبرز من بعده عبد الله بن مسلم بن عقيل ابن أبي طالب وأنشأ يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حراً      وقد وجدت الموت شيئاً مرا  
أكره أن أدعى جباناً فراً      إن الجبان من عصي وفرا

فقتل منهم ثلاثة ثم قتل وبرز من بعده علي بن الحسين عليه السلام فلما برز إليهم دمعت عين الحسين عليه السلام فقال: اللهم كن أنت الشهيد عليهم فقد برز إليهم ابن رسولك وأشبه الناس وجهاً وسمتاً به فجعل يرتجز وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي      نحن وبيت الله أولى بالنبي  
أما ترون كيف أحمي عن أبي

فقتل منهم عشرة ثم رجع إلى أبيه فقال: يا أبة العطش، فقال له الحسين عليه السلام: «صبراً يا بني يسقيك جدك بالكأس الأوفى» فرجع فقاتل حتى قتل منهم أربعة وأربعين رجلاً ثم قتل صلى الله عليه، وبرز من بعده القاسم بن الحسن بن علي عليه السلام وهو يقول:

لا تجزعي نفسي فكلّ فان      اليوم تلقين ذرى الجنان

فقتل منهم ثلاثة ثم رمى عن فرسه رضوان الله عليه وصلواته، وتوالى جنود الإمام عليه السلام يخزّون صرعى الواحد تلو الآخر، بعد أن سطرّ كل واحد منهم ملحمةً من ملاحم البطولة والمجد والإباء حتى أتوا على آخرهم، فنظر الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً ولا

يرى أحداً فرفع رأسه إلى السماء، فقال: «اللهم إنك ترى ما يصنع بولد نبيك». وحال بنو كلاب بينه وبين الماء ورُمي بسهم فوقه في نحره وخرّ عن فرسه فأخذ السهم فرمى به وجعل يتلقى الدم بكفه، فلما امتلأت لطحّ بها رأسه ولحيته ويقول: «ألقى الله عزّ وجلّ وأنا مظلوم متلطّخ بدمي» ثم خرّ على خدّه الأيسر صريعاً وأقبل عدو الله سنان بن أنس الأيادي وشمر بن ذي الجوشن العامري لعنه الله في رجال من أهل الشام حتى وقفوا على رأس الحسين عليه السلام فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون أريحوا الرجل فنزل سنان بن أنس الأيادي لعنه الله وأخذ بلحية الحسين عليه السلام وجعل يضرب بالسيف في حلقه وهو يقول: والله إني لأجتز رأسك وأنا أعلم انك ابن رسول الله ﷺ وخير الناس أمأ وأبأ.

وأقبل فرس الحسين عليه السلام حتى لطح عرفه وناصيته بدم الحسين عليه السلام، وجعل يركض ويصهل فسمعت بنات النبي ﷺ صهيله فخرجن فإذا الفرس بلا راكب فعرفن أن حسيناً عليه السلام قد قتل وخرجت أم كلثوم بنت الحسين واضعةً يدها على رأسها تندب وتقول: وامحمداه هذا الحسين بالعراء قد سلب العمامة والرداء.

وأقبل سنان لعنه الله حتى أدخل رأس الحسين بن علي عليه السلام على عبيد الله بن زياد لعنه الله وهو يقول:

املاً ركابي فضةً وذهباً      إني قتلت الملك المحجّباً  
قتلت خير الناس أمأ وأبأ      وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فقال له عبيد الله بن زياد: ويحك فإن علمت أنه خير الناس أبأ وأمأ لمّ قتلته إذأ؟ فأمر به فضرب عنقه وعجل الله بروحه إلى النار وأرسل ابن زياد لعنه الله قاصداً إلى أم كلثوم بنت الحسين عليه السلام فقال: الحمد لله الذي قتل رجالكم فكيف ترون ما فعل بكم؟ فقالت: يا ابن زياد لئن قرت عينك بقتل الحسين عليه السلام فطال ما قرت عين جده به وكان يقبله ويلثم شفّتيه ويضعه على عاتقه يا بن زياد أعد لجده جواباً فإنه خصمك غداً.

## الإمام الرابع للفترة (٦١ هـ - ٩٥ هـ)

### الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام

**مسألة ٣٠٥:** ولد عليه السلام بالمدينة المنورة يوم الجمعة في النصف من جمادي الآخر سنة (٣٨ هـ) وكنيته أبو محمّد وألقابه زين العابدين، سيد الساجدين، السّجّاد، ذو الثّغفات وإتّما لُقّب بذلك لأنّ مواضع السجود منه كانت كثفنة البعير من كثرة السجود عليها.

**مسألة ٣٠٦:** اسم امّه الشريفة الجليلة شاه زنان وقيل: شهربانويه وكان الإمام علي عليه السلام قد ولّى في خلافته حريث بن جابر الحنفي ناحيةً في المشرق فبعث إليه ببنتي يزدجرد بن شهریار كسرى الفرس فنحل ابنه الحسين عليه السلام إحداهما وقال له: «خذها فستلد لك سيّداً في العرب سيّداً في العجم سيّداً في الدنيا والآخرة» فأولدها زين العابدين، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر فهما ابنا خالته.

وفي رواية أخرى أن الإرسال كان في زمن عمر بن الخطّاب وأراد بيعهما فقال الإمام علي عليه السلام: ليس البيع على أبناء الملوك فاختارت احدهما الحسين عليه السلام فتزوّجها واختارت الأخرى محمد بن أبي بكر.

**مسألة ٣٠٧:** وأنجب له عليه السلام خمسة عشر ولداً، أحد عشر ذكراً وأربع بنات وهم: محمد الباقر و أمه فاطمة بنت الإمام الحسن السبط عليه السلام والحسن، والحسين الأكبر والحسين الأصغر وزيد وعمر وعبد الله وسليمان وعلي ومحمد الأصغر وخديجة وفاطمة وعليّة وأم كلثوم.

وكان زيد أفضل أخوته بعد الإمام الباقر عليه السلام وكان عابداً ورعاً سخياً شجاعاً وظهر بالسيف يطلب بثارات الحسين عليه السلام ويدعو إلى الرضا من آل محمد عليهم السلام فظن

الناس أنه يريد بذلك نفسه ولم يكن يريد لها له معرفته باستحقاق أخيه الإمام محمد الباقر عليه السلام الإمامة من قبل أخيه ووصيته عند وفاته إلى ابنه أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

وروي أن هشاماً قال لزيد بن علي لما دخل عليه: ما فعل أخوك البقرة؟ فقال: سماه رسول الله ﷺ باقر العلم وأنت تسميه بقرة، لقد اختلفتما إذاً، قال: فلما وصل الكوفة اجتمع عليه أهلها فلم يزالوا به حتى بايعوه على الحرب، ثم نقضوا بيعته وأسلموه، فقتل وصلب بينهم أربع سنين لا ينكره أحد منهم ولم يعيره بيد ولا لسان، وكان مقتله يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر صفر سنة عشرين ومائة وكان سنه يوم قتل اثنين وأربعين سنة، ولما قتل بلغ ذلك من الصادق عليه السلام كل مبلغ وحزن عليه حزناً عظيماً وفرّق من ماله في عيال من أصيب معه من أصحابه ألف دينار. وكان يكثر من الترحّم والثناء عليه.

**مسألة ٣٠٨:** أدرك سنتين من حياة جدّه الإمام عليّ عليه السلام، ثمّ ترعرع في كنف والده الإمام الحسين ورعاية وعناية عمه الإمام الحسن عليهما السلام.

## أهم محطات فترة إمامته

**مسألة ٣٠٩:** عاش مع جدّه الإمام علي عليه السلام سنتين ومع عمّه الإمام الحسن عليه السلام عشر سنين ومع أبيه ثلاثاً وعشرين سنة وبعد أبيه أربع وثلاثين سنة مدّة إمامته.

**مسألة ٣١٠:** كانت المحطة الأولى المهمة له في حياته هي معاصرته ومعايشته لجميع أحداث واقعة الطف الأليمة وكل تفاصيل ما حل على والده وأهل بيته من قتل وبطش وكانت نجاته منها بسبب مرضه وتسلم مهام الإمام في تلك الظروف العصيبة وكانت أولى مواقفه الشهامة والشجاعة خطبته عليه السلام في قصر الإمارة في الكوفة بعد أن ذكر النبي ﷺ، ثمّ قال: «أيها الناس: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشط الفرات، من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من انتهك حريمه، وسلب نعيمه، وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً، وكفى بذلك فخراً.

أيها الناس: ناشدتكم بالله، هل تعلمون إنكم كتبتم إلى أبي وخذتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة، ثم قاتلتموه وخذلتموه، فتباً لكم لما قدّمتم لأنفسكم، وسوأة لرأيكم، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ، إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمّتي.

فارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون؟

فقال ﷺ: رحم الله امرأ قبل نصيحتي، وحفظ وصيتي في الله، وفي رسوله وأهل بيته، فإن لنا في رسول الله أسوة حسنة.

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك، ولا راغبين عنك، فمُرنا بأمرك يرحمك الله، فإننا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لناخذن يزيد ونبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال ﷺ: همّات همّات، أيها الغدرة المكرّة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلى آبائي من قبل؟ كلاً ورب الراقصات<sup>١</sup> إلى منى، فإنّ الجرح لما يندمل، قتل أبي بالأمس وأهل بيته ومن معه، ولم ينسني ثكل رسول الله، وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري، ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا».

## محطّة معاصرته لحكام الدولة الأمويّة

مسألة ٣١١: عاصر ﷺ منذ ولادته وفي أيام إمامته من خلفاء الدولة العباسية كلاً من:

- ١- بقيّة حكم يزيد بن معاوية الذي حكم في الفترة من (٦٠ إلى ٦٤ هـ).
- ٢- معاوية بن يزيد حكم عدة شهور في سنة ٦٤ هـ.
- ٣- مروان بن الحكم الذي حكم في الفترة من (٦٤ إلى ٦٥ هـ).

(١) الراقصات: المراد بهن الإبل يقال للبعير إذا أسرع رقص وكذا إذا مشى الخب.

٤- عبد الملك بن مروان الذي حكم في الفترة من (٦٥ إلى ٨٦ هـ).

٥- الوليد بن عبد الملك الذي حكم في الفترة من (٨٦ إلى ٩٦ هـ).

وفي عصره عليه السلام شهد ثورتين ضد نظام الحكم الأموي، أولهما ثورة أهل المدينة الشهيرة بواقعة الحرة، وثانها ثورة عبد الله بن الزبير الذي تحصن فيها بالبيت الحرام وتسبب في رمي الكعبة بالمنجنيق وثورتين أخريتين للانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته في كربلاء هما ثورة التوابين، وثورة المختار الثقفي.

### موقف هام له مع هشام بن عبد الملك

مسألة ٣١٢: اتفق له عليه السلام موقف مشرف في مكة المكرمة مع هشام بن عبد الملك لما حج وقد جهد على استلام الحجر الأسود أثناء طوافه فلم يستطع لاذحام الحجاج وتدافعهم على تقبيله وعدم اعتناء أحد منهم به، ولم يفسحوا له على الرغم من احاطته بالجند فنصب له منبر جلس عليه ليستريح وجعل ينظر إلى الطواف واتفق في تلك الأثناء أن أقبل الإمام زين العابدين عليه السلام حاجاً ليؤدي طوافه فكان كلما بلغ إلى موضع الحجر الأسود تنحى الناس حتى يستلمه هيبة واحتراماً له، فقال شامي لهشام: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضراً: لكني أنا أعرفه، فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فأنشأ قصيدته مترجلاً:

عندي بيان إذا طلابه قدموا  
والبيت يعرفه والحل والحرم  
هذا التقي النقي الطاهر العلم  
صلى عليه الإله ما جرى القلم  
لخر يلثم منه ما وطى القدم  
أمست بنور هداه تهتدي الأمم  
والمقتول حمزة ليث حبه قسم

يا سائلي أين حل الجود والكرم  
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته  
هذا ابن خير عباد الله كلهم  
هذا الذي أحمد المختار والده  
لويعلم الركن من قد جاء يلثمه  
ابن علي ورسول الله جد له  
هذا الذي عمه الطيار جعفر

هذا ابن سيدة النسوان فاطمة  
 يكاد يمسكه عرفان راحته  
 وليس قولك: من هذا؟ بضائره  
 إذا رأته قريش قال قائلها  
 إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم  
 وابن علي الذي في سيفه سقمُ  
 ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ  
 العرب تعرف من أنكرت والعجمُ  
 إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ  
 أو قيل من خير خلق الله قيل همُ  
 الخ

### محطة سك أول عملة إسلامية

مسألة ٣١٣: محطة استعانة عبد الملك بن مروان به عليه السلام لسك أول عملة إسلامية وترك التعامل بالنقود الرومية إبان تهديد الملك الروماني له بإذلال المسلمين فعلمهم عليه السلام طرق سك أول دينار ذهبي عربي إسلامي، خالص وكان ذلك سنة ٧٧ هـ بدمشق، وتم الاستغناء عن كافة الصور والرموز الملكية والمآثورات الدينية المسيحية من صليب ونحوه التي يحملها الدينار البيزنطي، وصدر أول دينار عربي بوزن مثقال ٤,٢٥ جرام من الذهب مشتملاً على المآثورات الإسلامية، وذكر سنة السك، كما علمهم عليه السلام في السنة التي تلت سك الدينار ضرب أول درهم فضي عربي خالص في سنة ٧٨ هجرية، ويزن حوالي ٢,٨ جرام من الفضة، تضمن ذكر المآثورات الإسلامية ومدينة وسنة الضرب.

### محطة التركيز على رسالية الدعاء

مسألة ٣١٤: وكانت المحطة الثالثة من حياته عليه السلام تركيزه على الاهتمام بالدعاء كوسيلة هامة لإرساء أسس وأساليب ذكية لإصلاح واقع الأمة وتهذيبها وربطها بخالقها لتعزيز مظاهر الانتماء الديني ومن مجموع عناوين ومحتويات الأدعية التي رويت عنه عليه السلام يفهم الأغراض والغايات والرؤى التي تضمنتها للإصلاح العقائدي والسلوكي والأخلاقي والروحي وأنها أتت أكلها في ظل الأجواء الخائفة التي أطبقت على الأمة

الإسلامية وكانت من أفضل الطرق للإفلات من قيود رقابة السلطة العباسية الشديدة التي أحاطت به خوفاً منه.

## محطة توثيق إسهاماته العلمية

مسألة ٣١٥: المحطة الرابعة برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم، ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها، ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى، وذاع صيته في الآفاق وتمكن من بناء قواعد شعبية ممتدة في كل مكان من العالم الإسلامي. وركز جهوده على الحفاظ على الخط الأصيل الحقيقي للإسلام، ومواجهة صدمة الانحراف وبناء الفكر الإسلامي لتتواصل حلقاته وتتكامل بمرحلة امامة ابنه الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام الذي سيلي دوره.

وقد اختص عليه السلام بجمع من التلاميذ والرواة والأصحاب الذين عاصروا فترة إمامته، واعتنوا بتدوين تراثه وما صدر منه من أحاديث ومن أهمهم: أبان بن تغلب، بشر بن غالب، ثابت بن دينار (أبو حمزة الثمالي)، جابر بن عبد الله الأنصاري، الحسن بن محمد بن الحنفية، رشيد الهجري، سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، سليم بن قيس الهلالي، عبد الله بن شبرمة، الفرزدق، محمد بن جبير بن مطعم، محمد بن شهاب، يحيى بن أم الطويل، المنهال بن عمرو، أم البراء.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٣١٦: اغتالته الأيدي الأموية الأثيمة بدمّ السم إليه بأمر من وليد بن عبد الملك بن مروان في فترة حكمه واستشهد عليه السلام يوم السبت لاثنتي عشر ليلة مضت من محرم الحرام، وقيل: في الخامس والعشرين منه، سنة ٩٥ هـ عن عمر يناهز ٥٧ سنة فكانت مدة إمامته وزعامته الدينية حوالي ٣٤ سنة، ودفن بمقبرة البقيع في المدينة المنورة بجوار قبر عمّه الإمام الحسن عليه السلام.

## الإمام الخامس للفترة (٩٥ هـ - ١١٤ هـ)

### الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

**مسألة ٣١٧:** ولد عليه السلام في المدينة سنة (٥٧ هـ) يوم الجمعة غرة شهر رجب وقيل: الثالث من صفر، واسم أمه السيدة الجليلة فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب قال الإمام الصادق عليه السلام في شأنها وجلالة قدرها: كانت صديقة لم يدرك في آل الحسن مثلها.

**مسألة ٣١٨:** كنيته أبو جعفر ولقبه جده رسول الله ﷺ بالباقر لأنه أول إمام من أئمة أهل البيت عليه السلام يبقّر العلم بقرأ أي يظهره اظهاراً للأمة الإسلامية، وأول من تتاح له فرصة التوسع في كشف أسراره وغرائبه، وروي عن الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يوشك أن تبقى حياً إلى أن تلقى ولدألي من الحسين يقال له محمد يبقّر العلم فإذا لقيته فاقرأه مني السلام فبقيت حياً حتى لقيت الإمام الباقر عليه السلام كما قال رسول الله، فقبلت يد الإمام وأبلغته الرسالة فقال: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته».

**مسألة ٣١٩:** أنجب له عليه السلام ستة أولاد: الإمام جعفر الصادق عليه السلام وعبد الله وأمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، وإبراهيم وعبيد الله وأمهما أم حكيم بنت أسد الثقفيّة، وعلي وزينب.

### أول محطات حياته الأولى

**مسألة ٣٢٠:** أول محطات حياته الشريفة هي تلك التي شهد فيها واقعة عاشوراء في كربلاء حيث يشير الإمام نفسه في إحدى رواياته إلى هذا الموضوع بقوله عليه السلام: «قتل جدي الحسين ولي أربع سنين وإني لأذكر مقتله وما نالنا في

ذلك الوقت».

## محطة ما قبل التصدي للإمامة وبعدها

مسألة ٣٢١: عاش مع أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام أربعاً وثلاثين سنة، وعاصر فترة إمامته (من سنة ٨٣ إلى سنة ٩٥ هـ) أي ١٢ سنة.

وتصدي لمهام الإمامة بعد استشهاد أبيه وكانت مدة إمامته تسعة عشر سنة قضى جلها في العمل على تنمية الحركة العلمية الإسلامية والعمل على تنشيطها بعد فترة الركود التي كانت قد بدأت منذ وقت مبكر على يد معاوية بن أبي سفيان، فقصده العلماء من كافة البلاد الإسلامية على اختلاف مشاربهم وتباين طرائقهم وكان من أولئك سفيان الثوري وسفيان بن عيينه محدث مكة وأبو حنيفة وأضرابهم.

## أهم محطات إمامته انطلاقته لنشر علوم آل محمد

مسألة ٣٢٢: لقد عاش الإمام محمد الباقر عليه السلام طيلة حياته في المدينة المنورة بعيداً عن الأضواء إلا أنه عانى من أشد ظلم الأمويين وأدواره، ما عدا فترة قصيرة جداً هي مدة خلافة عمر بن عبد العزيز التي ناهزت السنتين والنصف حيث استطاع بعد رفع الضغوط والقيود عنه في زمنه أن يغتنمها ويتخذ المسجد النبوي مركز مدرسته العلمية ويكون المعلم الأول والرائد الأكبر للحركة العلمية في كل العلوم الإسلامية يتخرج على يديه الفقهاء والعلماء والمفسرون الذين قصدوه من شتى بقاع العالم الإسلامي ويفيض عليهم من علمه لينشروه في ربوع البلاد الإسلامية وتنهل منه الأمة وكان قدوة شامخة للجيل الذي عاصره ومشعلاً لكل الأجيال التي تلتته.

وكانت له الكثير من المناظرات مع الكثير من العلماء والزنادقة والمنحرفين وفي

شتى المواضيع المختلفة، من أهمها:

- مناظرته عليه السلام مع أسقف النصارى.
- مناظرته عليه السلام مع الحسن البصري.
- مناظرته عليه السلام مع قتادة بن دعامة.
- مناظرته عليه السلام مع هشام بن عبد الملك.
- مناظرته عليه السلام مع محمد بن المنكدر.
- مناظراته عليه السلام مع نافع بن الأزرق.
- مناظرته عليه السلام مع عبد الله بن معمر الليثي.
- مناظرته عليه السلام مع قتادة بن دعامة.

### محطة معاصرتة لحكام الدولة الأموية

مسألة ٢٢٣: عاصر عليه السلام في مدة إمامته خمسة من خلفاء بني أمية وهم:

- ١- الوليد بن عبد الملك حكم في الفترة من (٨٦ هـ إلى ٩٦ هـ).
  - ٢- سليمان بن عبد الملك حكم في الفترة من (٩٦ هـ إلى ٩٩ هـ).
  - ٣- عمر بن عبد العزيز حكم في الفترة (٩٩ هـ إلى ١٠١ هـ).
  - ٤- يزيد بن عبد الملك حكم في الفترة (١٠١ هـ إلى ١٠٥ هـ).
  - ٥- هشام بن عبد الملك حكم في الفترة من (١٠٥ هـ إلى ١٢٥ هـ).
- واشتهر عمر بن عبد العزيز من بينهم باحترام أهل البيت وإكرامهم ورعاية حقوقهم ورفع الظلم عنهم الأمر الذي أتاح للإمام عليه السلام أن يستنفذ كل طاقاته للتعريف بالإسلام الأصيل ونصرتة والترويج له كما سيأتي.

### محطة تسجيل وتوثيق نتاجه العلمي

مسألة ٢٢٤: المحطة الرابعة من حياته الشريفة كانت مع تواصله مع خاصة شيعته للحفاظ على الخط الأصيل الحقيقي للإسلام، ورعاية شؤون الجماعة الصالحة التي

بذر بذرتها رسول الله ﷺ، وربّاه الإمام علي ثمّ الإمامان الحسن والحسين عليهم السلام كما غداها من بعدهم أبوه علي بن الحسين عليهما السلام مقدّماً لها كل مقوّمات تكاملها وأسباب رشدتها وسموّها، والتمهيد لمرحلة امامة ابنه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي سيلي دوره.

وقد ذكر الشيخ الطوسي، في كتابه الرجال أن أصحاب وتلاميذ الإمام الباقر عليه السلام الذين كانوا يروون الحديث عنه بلغوا (٤٦٢) رجلاً وامرأتين.

وكان من أبرز رواة آثاره وأحاديثه أصحاب الإجماع زرارّة بن أعين، بريد بن معاوية العجلي، معروف بن خربوذ، الفضيل بن يسار، محمد بن مسلم، أبو بصير الأسدي وجملة أخرى من أبرزهم: أبو الجارود، أبان بن أبي عياش، يحيى بن أبي القاسم الأسدي، أبو حمزة الثمالي، أبو خالد الكابلي، بكير بن أعين، جابر بن يزيد الجعفي، حمران بن أعين، خالد بن أبي كريمة، خيثمة بن عبد الرحمن، عبد الملك بن أعين، ليث بن البختری المرادي، ابان بن تغلب، جابر بن عبد الله الأنصاري، الكميت، إبراهيم بن أدهم.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٣٢٥: استشهد عليه السلام في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بعد أن دسّ السمّ إليه على يد إبراهيم بن الوليد فقضى نحبّه في شهر ذي الحجة الحرام في المدينة سنة ١١٤ هـ ودفن بالبقيع وقبره عليه السلام إلى جانب قبر أبيه الإمام زين العابدين عليه السلام وعم أبيه الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

## الإمام السادس للفترة (١١٤ هـ - ١٤٨ هـ)

### الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

**مسألة ٣٢٦:** ولد عليه السلام بالمدينة المنورة في يوم ١٧ شهر ربيع الأول سنة ٨٣ هـ واسم أمه الشريفة الجليلة فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وتكنى بأم فروة، وأشهر ألقابه الصادق وأشهر كناه أبو عبد الله.

**مسألة ٣٢٧:** أنجب له سبعة ذكور وثلاث اناث: اسماعيل وعبد الله وأسماء وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن الحسين، والإمام موسى الكاظم ومحمد المعروف بالديباج، وإسحاق وفاطمة الكبرى وأمهم حميدة البربرية والعباس وعلي وفاطمة الصغرى.

### محطة ما قبل التصدي للإمامة

**مسألة ٣٢٨:** عاصر عليه السلام فترة إمامة جدّه الإمام زين العابدين عليه السلام من سنة ٨٣ إلى سنة ٩٥ هـ أي ١٢ سنة.

وعاصر فترة إمامة أبيه الإمام الباقر عليه السلام من سنة ٩٥ إلى سنة ١١٤ هـ، أي ١٩ سنة وكانت مدّة إمامته بعد أبيه ٣٤ سنة.

### محطة معاصرتّه للدولتين الأموية والعباسية

**مسألة ٣٢٩:** عاصر الدولة الأموية في مرحلة انهيارها حتّى سقوطها (١١٤ إلى ١٣٢ هـ) أي ١٨ سنة وأدرك من حكامها كلاً من:

١- هشام بن عبد الملك الذي حكم في الفترة (من ١٠٥ إلى ١٢٥ هـ).

٢- الوليد بن يزيد الذي حكم في الفترة (من ١٢٥ إلى ١٢٦ هـ).

٣- يزيد بن الوليد الذي حكم عدة أشهر في سنة ١٢٦ هـ.

٤- إبراهيم بن الوليد أخ يزيد الذي حكم في الفترة (من ١٢٦ إلى ١٢٧ هـ).

٥- مروان بن محمد، وهو آخر ملوك بني أمية والذي سقطت في عهده هذه الدولة وقد حكم في الفترة (من ١٢٧ إلى ١٣٢ هـ).

وعاصر نشأة الدولة العباسية في مرحلة تأسيسها سنة ١٣٢ هـ حتى استشهاده (سنة ١٤٨ هـ) أي ١٦ سنة، وأدرك من خلفائها كلاً من:

١- أبو العباس السقّاح الذي حكم في الفترة من ١٣٢ هـ إلى ١٣٦ هـ.

٢- أبو جعفر المنصور الذي حكم في الفترة من ١٣٦ هـ إلى ١٥٨ هـ حيث استشهد بدسّ السم إليه في حكم المنصور العباسي بعد مضي اثني عشر سنة من حكمه.

## المحطة الأهم في حياته

مسألة ٣٣٠: أهم محطة في زمن إمامته عليه السلام هي فترة احتدام الصراع التي تخللت عصره على السلطة السياسية والانتقال بين الحكم الأموي والعباسي، حيث ارتفع الضغط عنه عليه السلام وعن شيعتهم عموماً بعد حقبة عصبية من الاضطهاد والتنكيل في خضم هذه التحولات التاريخية فبرز نجمه عليه السلام وشعّ بأنواره، وأضحى شمساً للعلوم، ومنبعاً وشِرْعةً ومنهلاً للمعارف والثقافات وكان العلماء يرونه بحراً زاخراً وإماماً لا ينازعه ولا يجاربه أحد في العلم والمعرفة وأستاذاً فذاً في جميع العلوم التي عرفها أهل عصره وحتى التي لم يعرفوها آنذاك الأمر الذي حدى بعشاق المعرفة وطلاب العلم والفضيلة إلى أن تتقاطر إليه من كل حدب وصوب وصقع ومصر من سائر أكناف وأطراف العالم الإسلامي وتناقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وطار صيته في البلدان ولم ينقل عن أحدٍ من الأئمة من أهل البيت ما نقل عنه ولا لقي أحد منهم من أهل الآثار ونقله الأخبار ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عنه عليه السلام فإن أصحاب

الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من تلامذته الثقة على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا أربعه آلاف رجل كلُّ يقول حدّثني الإمام جعفر الصادق بكذا، فانهز الإمام عليه السلام تلك الفرصة فكرّس جهوده لنشر أصول المعارف الأساسية للراقي الحضاري، وترسيخ جذور عظمة الرسالة المحمدية الخاتمة، وتأصيل معالمها وخطوطها الرسالية السامية العظيمة عن طريق نخبة من أجلة تلامذته، وخصّ حواريه، فانتشرت تلك المعارف والعلوم بأسماء أولئك حتى تجد متسعاً زمنياً ومكانياً للانتشار بعيداً عن ملاحقة عيون جواسيس السلطات الجائرة الأموية أو العباسية التي كانت ترصد دائماً طبيعة الحركة العلميّة تلك وتتحسب من أثارها السياسية المحتملة التي قد تتولد عنها.

والشواهد والأمثلة لأولئك الحواريين يطول بنا الكلام بذكرهم وعدّهم وإحصائهم إلا اننا نكتفي في مقامنا هذا بمثالين بارزين على رأس أولئك بل شخصيتين عالميتين أنجبتهما مدرسة الإمام الصادق عليه السلام وعلى يديه:

(الأولى) شخصيّة جابر بن حيّان الكوفي الذي قيل في شأنه أنّه سمي جابراً لأنّه هو الذي جبر العلم أي أعاد تنظيمه، ولقب بـكَيْمَوِيّ العرب بل المسلمين الأوّل، وقد ترك وخلف أكثر من خمسمائة مصنف في علوم مختلفة أبرزها الكيمياء والهيئة والفلك، وعقد البقية في العلوم الطبيعية الأخرى، وقد صرّح نفسه بدور الإمام الصادق عليه السلام وإسهامه في كل ما صنّف وكتب بقوله في كتاب الأحجار: «... وحق سيدي (يعني به الإمام الصادق) لولا أن هذه الكتب باسم سيدي (صلوات الله عليه) لما وصلتُ إلى حرف من ذلك إلى آخر الأبد...»<sup>١</sup>.

والمتتبع لكتب جابر بن حيّان والآثار التي خلفتها على الحضارة البشرية والنهضة العلميّة والصناعيّة في العصر الحديث ليدرك بجلاءٍ ووضوح أن جميع النهضات

(١) كتاب الأحجار: الجزء الثاني، ص ١٦٤، من مختارات كراوس.

الصناعية والتكنولوجية التي انطلقت في أوروبا والغرب ودول شرق آسيا على الرغم مما وصلت إليه من تقدّم وتطور وازدهار ورُقّي إلا أنها لا زالت مدينة إليه بالنظريات التي أثرتها عنه من خلال ترجمة كتبه إلى اللاتينية في مراحلها الأولى وجعلت منها قاعدة لانطلاقها.

(الشخصية الثانية) شخصية الخليل بن أحمد الفراهيدي: المشهود له بطول الباع وسعة الاطلاع في علوم اللغة بل بتأسيس جملة منها كعلم الأصوات وعلم الحروف وعلم العروض، كما له اليد الطولي في تقنين علمي النحو والصرف وتهذيب أصولهما من شوائب الاجتهادات الشخصية التي لحقتهما.

وهو أول من قام بحصر استقرائي للغة العرب وأشعارها في كتابه (العين)، واستفاد منه كلّ من جاء من بعده بل أدى إلى تنبّه أصحاب اللغات الأخرى فساروا على منواله في استقراء لغاتهم وتدوينها وترتيبها وتنسيقها بأسلوب علمي ليسهل تناولها وتلقيها والأخذ بها، وهو مؤسس مدرسة البصرة مدرسة العلوم العربية وآدابها الأصيلة التي أسس العباسيون في قبالتها ومحاربتها مدرستهم السياسية والتي عرفت واشتهرت بمدرسة الكوفة.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٣٣١: استشهد عليه بعد مضي عشر سنين على ملك المنصور العباسي مسموماً في شوال بتدبير منه بعد أن دس السم إليه، وقيل في يوم الإثنين في النصف من شهر رجب سنة ١٤٨ هـ وله من العمر ٦٥ سنة، ودفن بالبقيع مع أبيه وجدّه وعمّه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام.

## الإمام السابع للفترة (١٤٨ هـ - ١٨٣ هـ)

### الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

**مسألة ٣٣٢:** ولد عليه السلام في نهاية العهد الأموي بالأبواء محلة بين مكة والمدينة في السابع من شهر صفر سنة ١٢٨ هـ، واسم أمه الشريفة الجليلة حميدة البربرية وقيل نجمة وقيل: سكن النوبية.

**مسألة ٣٣٣:** كنيته أبو الحسن أو أبو الحسن الأول ويكنى أيضاً بأبي إبراهيم وأبي علي وأشهر ألقابه الكاظم لكظمه الغيظ وشدّة صبره على ظلم الظالمين له، ويعرف أيضاً بالعبد الصالح لتفرغه في السجون للعبادة.

**مسألة ٣٣٤:** رزق بسبعة وثلاثين ولداً ١٨ ذكراً و١٩ أنثى وهم: الإمام علي الرضا، ابراهيم، العباس، القاسم (المدفون في مدينة الحلة وسط العراق)، اسماعيل، جعفر، هارون (المدفون في مدينة ساوة)، الحسين (المدفون في شيراز) أحمد (المدفون في شيراز)، محمد (المدفون في شيراز)، حمزة (المدفون في الري)، عبد الله (المدفون في مدينة اوجان)، اسحاق (المدفون في ساوة)، عبيد الله، زيد، الحسن، سليمان (المدفون في آوه)، الفضل (المدفون في آوه) وأما البنات فهن: فاطمة الكبرى (الملقبة بالمعصومة ومزارها في قلب مدينة قم مشهور معروف)، فاطمة الصغرى، رقية الكبرى، حكيمه، أم أبيها، رقية الصغرى، كلثم، أم جعفر، لبابة، زينب، خديجة، عليّة، آمنة، حسنة، بريهة، عائشة، أم سلمة، ميمونة، أم كلثوم.

### أهم محطات فترة إمامته

**مسألة ٣٣٥:** عاش مع أبيه الإمام الصادق عليه السلام عشرين سنة وتصدي لمهام الإمامة بعد استشهاده سنة ١٤٨ هـ في ظروف حرجة وكان له من العمر عشرين سنة واستمرت مدة إمامته لـ ٣٥ سنة.

## محطّة معاصرته لحكام الدولة العباسيّة

مسألة ٣٣٦: عاصر أيّام انهيار الحكم الأموي في طفولته، وعاصر بدايات نشوء الحكم العباسي الذي استولى على مركز القيادة في العالم الإسلامي تحت شعار الدعوة إلى الرضا من آل محمد عليه السلام إلى أربعة من خلفائهم:

١- بعد مضي سنتين من تولي المنصور الدوانيقي العباسي للحكم تولى الإمام الكاظم عليه السلام الإمامة وأدرك من فترة إمامته عشرين سنة بقيّة ملكه (١٣٦-١٥٨ هجرية).

٢- المهدي العباسي حكم عشر سنوات وشهراً في الفترة (١٥٨-١٦٩ هجرية).

٣- الهادي موسى بن محمد العباسي حكم في الفترة (١٦٩-١٧٠ هجرية).

٤- هارون بن محمد الملقب بالرشيد حكم في الفترة (١٧٠-١٩٣ هجرية).

لقد عاش ثلاثة عقود من عمره المبارك في فترة حكم هؤلاء وعانى من الضغوط منهم خاصة في عقده الأخير بنحو لم يعانیه أحد من أئمة أهل البيت عليهم السلام ممن سبق الرشيد من العباسيين والأمويين وابتلي بالسجن المستمر لسنوات طويلة من حياته.

## محطّة توسيع دور الوكالة والوكلاء

مسألة ٣٣٧: بادر الإمام عليه السلام إلى توسيع نظام الوكالة بسبب الظروف الحرجة التي مر بها عليه السلام والمحاولات المستمرة لإبعاده عن خلع خاصته من الشيعة، وقام بتعيين الوكلاء عنه في مختلف المناطق وذلك من أجل تسهيل تواصله معهم من أمثال علي بن يقطين، المفضل بن عمر، عبد الرحمن بن الحجاج، زياد بن مروان، عثمان بن عيسى، إبراهيم بن سلام، عبد الله بن جندب، يونس بن يعقوب.

وقد تزامن مع فترة إمامته تشعب الفرق الشيعية، حيث نشأت في بداية إمامته الفرقة الإسماعيلية والفضحية والناووسية، كما ظهرت الفرقة الواقفية بعد شهادته.

## محطة تدوين حركته العلمية

**مسألة ٣٣٨:** المحطة الرابعة من حياته الشريفة تلقي الضوء على مدرسته العلمية الزاخرة بالعلماء والفقهاء وطلاب العلم والمعرفة من جميع ربوع العالم الإسلامي حيث تمكن عليه السلام من تنقّس الصعداء وأخذ حريته بشكل نسبي في أيام المهدي العباسي وما يقرب من عشر سنوات في أيام حكم الرشيد فسار على منهاج جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وآبائه الهداة المعصومين عليهم السلام في الاهتمام بنشر القيم والمبادئ السامية والدعوة إلى العمل بأحكام الرسالة الإلهية الخاتمة وصيانتها من الضياع والتحريف، وبذل الجهود المضنية للحفاظ على امتداد الخط الأصيل الحقيقي للإسلام لمرحلة امامة ابنه الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الذي سيأتي دوره.

وقد أوصل الشيخ الطوسي عدد الرواة عنه إلى ٢٧٢ راوياً، من أبرزهم: حماد بن عيسى، علي بن يقطين، هشام بن الحكم، أبو الصلت بن صالح الهروي، صفوان بن مهران، صفوان بن يحيى، محمد بن أبي عمير الأزدي، أبان بن عثمان، المفضل بن عمر، محمد بن مسلم، حفص بن غياث، أبو حمزة الثمالي.

وأما رواته من أصحاب الإجماع فهم: الحسن بن محبوب، حماد بن عثمان، عبد الله بن مسكان، أحمد بن أبي نصر البرنطي، عبد الله بن المغيرة، محمد بن أبي عمير، يونس بن عبد الرحمن، صفوان بن يحيى، فضالة بن أيوب، عثمان بن عيسى، جميل بن دراج، حماد بن عيسى.

## آخر محطات حياته الشريفة

**مسألة ٣٣٩:** لم يستسلم عليه السلام لضغوط الحكّام العباسيين ولألوان تعسفهم ضده من أجل تحجيم نشاطه الرسالي الربّاني فبقي ثابتاً مقاوماً على خط الرسالة والعقيدة لا تأخذه في الله لومة لائم، وبسبب ذلك كان ينقل من سجن إلى سجن، وكان أول ابتداء سجنه في عهد المهدي حيث سجنه طيلة فترة حكمه، وكذلك الأمر في عهد ابنه

الهادي وبعد هلاكه تمكن الإمام عليه السلام أن يتنفس الصعداء فترة إلا أن هارون الرشيد بعد مضي عشر سنوات من حكمه أمر بزجّه في السجن مرة أخرى وأخذ ينقله من سجن إلى آخر لمدة تقرب من خمس سنوات ختمها بدس السم إليه في طعامه في سجن السندي بن شاهك فقضى عليه السلام نحبه مسموماً شهيداً مظلوماً عن عمر يناهز الخامسة والخمسين، وكان ذلك في يوم الخامس والعشرين من شهر رجب سنة ١٨٣ هـ في بغداد، ودفن بمدينة السلام في المقبرة المعروفة بمقابر قريش وهي اليوم تقع في الجانب الغربي من بغداد وغلب على المدينة التي فيها قبره الشريف اسم الكاظمية نسبة إليه وبني عليه مزار ضخم ومشهد.

## الإمام الثامن للفترة (١٨٣ هـ - ٢٠٣ هـ)

### الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

**مسألة ٣٤٠:** ولد عليه السلام بالمدينة المنورة سنة ١٤٨ هـ ويقال: انه ولد لإحدى عشر ليلة خلت من شهر ذي القعدة يوم الجمعة سنة ١٥٣ هـ بعد وفاة الإمام الصادق بخمس سنين، واسم أمه نجمة ويقال: تكتم وعلى رواية سكن النوبية وتكنى بأُم البنين.

**مسألة ٣٤١:** كنيته أبو الحسن وأشهر ألقابه الرضا لأنه رضي به المخالف والمؤالف، والمشهور أنه لم يكن له من الولد غير ابنه أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام، وقيل بأنّ له خمسة أولاد وهم: الإمام محمد الجواد، حسن، جعفر، إبراهيم، حسين، وبنت واحدة اسمها فاطمة وقيل عائشة.

وقيل أنّ حسين كان عمره سنتين أو أقلّ توفي عندما سافر الإمام إلى مدينة قزوين سنة ١٩٣ هـ وودفن فيها.

## أهم محطات فترة إمامته

**مسألة ٣٤٢:** أهم محطات حياة الإمام الرضا عليه السلام الزمنية ثلاث: الأولى: ومدتها ٣٥ سنة عاشها مع والده الإمام الكاظم عليه السلام من ولادته حتى استشهاده سنة (١٨٣ هـ). الثانية: ومدتها ١٧ سنة تبدأ بتوليته مهام الإمامة سنة (١٨٣ هـ) وتنتهي بتوليته ولاية العهد للمأمون سنة (٢٠٠ هـ). الثالثة: ومدتها ثلاث سنوات تبدأ بفرض ولاية العهد عليه سنة (٢٠٠ هـ) وتنتهي باستشهاده على يد المأمون العباسي سنة (٢٠٣ هـ) فيكون مجموع مدة إمامته وخلافته بعد ارتحال أبيه ٢٠ سنة.

## محطة معاصرته لخلفاء الدولة العباسية

**مسألة ٣٤٣:** بعد ولادته عليه السلام سنة (١٤٨ هـ) عاصر أربعة من خلفاء الدولة العباسية وهم المنصور والمهدي والهادي والرشيد، وبعد تصديده لمهام الإمامة واستشهاد أبيه سنة (١٨٣ هـ) عاصر ثلاثة منهم وهم:

- ١- بقية ملك الرشيد (١٧٠ هـ - ١٩٣ هـ).
- ٢- محمد الأمين (١٩٣ هـ - ١٩٨ هـ).
- ٣- المأمون (١٩٨ هـ - ٢١٨ هـ).

وعاصر في أيام إمامته بقية ملك الرشيد، وملك محمد الأمين بعده ثلاث سنين وخمسة وعشرين يوماً، ثم خلع الأمين وأجلس عمه ابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة أربعة عشر يوماً، ثم خرج محمد ثانياً وبويع له بالخلافة وبقي بعد ذلك سنة وسبعة أشهر وقتله طاهر بن الحسين ثم استولى المأمون على مقاليد الحكم بعده واستمر ملكه إلى عشرين سنة.

## محطة تدوين حركته العلمية

مسألة ٣٤٤: المحطة الرابعة تلقي الضوء على مدرسته العلمية التي شارك من سبقه من آبائه في إرساء قواعدها وتوطيد جذورها وبيان المذهب الحق وفهم الإسلام الصحيح والدعوة إليه كما حافظ على تواصله مع شيعته للحفاظ على الخط الأصيل الحقيقي للإسلام، والتمهيد لمرحلة امامة ابنه الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام الذي سيلي دوره، كما ربّى عدّة أجيال من العلماء الناهيين الذين حملوا مشعل الهداية في تلك الظروف العصيبة التي عانت منها الأمة الإسلاميّة في ظلّ الحكم العباسي.

ولإسهاماته العلمية الكبيرة لقب بعالم آل محمد وكان أول من اطلقه عليه والده وقد تبوأ مكانة خاصة حتى عند من لم يعتقد بإمامته، من أعلام المذاهب الإسلامية الأخرى الذين أشادوا بعلمه وفضله في مصنفاتهم عند ذكره وبلغ مجموع من تتلمذ على يديه وروى عنه (٣١٥) راوياً ذكرهم الشيخ الطوسي في رجاله، ومن ابرزهم وأقربهم إليه يونس بن عبد الرحمن، موفق (خادم الإمام الرضا)، علي بن مهزيار، صفوان بن يحيى، محمد بن سنان، زكريا بن آدم القمي، الريّان بن الصلت، دعبل بن علي الخزاعي.

وكان مقيماً في المدينة المنورة فاستدعاه المأمون إلى خراسان ولما قدم عليه السلام مُكرهاً، عقد له مجموعة من المناظرات العلمية العقائدية والفقهية وجهد أن يحضرها كل من سمع به من مُتكلّبي الفرق والأهواء المُضِلّة من مختلف علماء المذاهب والأديان، بقصد إفحامه وإحراجه واسقاط هيئته من أعين الناس وإزالة الاعتقاد السائد لدى عامّة الأمة حول علم أئمة أهل البيت عليهم السلام عندما لا يستطيع أن يأتي بحجة على ما يدين أو يلزم الخصم بها وقد ذكر الشيخ الطبرسي قسماً من تلك المناظرات في كتاب الاحتجاج ومنها:

الاحتجاج في التوحيد والعدل - الاحتجاج في الإمامة - الاحتجاج مع المروزي -  
الاحتجاج مع أبي قرّة - احتجاج مع الجائليق (مع أهل الكتاب) - الاحتجاج مع أهل

الكتاب (رأس الجالوت) - الاحتجاج مع المجوس - الاحتجاج مع رأس الصابئة.  
 إلا أن السحر انقلب على الساحر فكان عليه السلام لا يُكلم أحداً ولا يناظره إلا أقر له  
 بالفضل، والتزم الحُجَّة له عليه ولما عجز المأمون في نهاية المطاف عن إفحام وإحراج  
 الإمام الرضا عليه السلام، وأنَّ الأمر بدأ ينعكس عليه سلباً، أخذ بالحدِّ من هذه المناظرات.

## محطّة قبوله بولاية العهد

مسألة ٣٤٥: برزت شخصية الإمام الرضا عليه السلام السياسية في عصر المأمون  
 العباسي كأقوى رجل سياسي لأهل البيت عليهم السلام وكان صريحاً وصلباً في مواقفه  
 السياسيّة ولم تخدعه الأساليب الخبيثة والمزيفة التي سلكها المأمون وأجهزته الأمنية  
 معه وضده فعمد بدهاء لتضليل الرأي العام وامتصاص غضب الناس من عدم تولي  
 أئمة أهل البيت لأزمة الحكم إلى الإعلان عن ترشيح الإمام الرضا عليه السلام لتولي الخلافة  
 لتمهيد الثورات العلوية التي انتشرت في ربوع العالم الإسلامي وكانت تزلزل عرشه حيث  
 خرج أبو السرايا السريّ بن منصور الشيبانيّ بالعراق، ومعه محمّد بن إبراهيم بن  
 إسماعيل الحسنيّ، فضرب الدارهم بالكوفة بغير سكة العباسيين، وسيّر جيوشه إلى  
 البصرة، وقد توزعت الثورة على عدّة جهات:

- ١- جبهة البصرة بقيادة العباس بن محمّد بن عيسى الجعفريّ.
- ٢- جبهة مكة بقيادة الحسين بن الحسن الأقطس.
- ٣- جبهة اليمن بقيادة إبراهيم بن موسى بن جعفر عليه السلام.
- ٤- جبهة فارس بقيادة إسماعيل بن موسى بن جعفر عليه السلام.
- ٥- جبهة الأهواز بقيادة زيد بن موسى.
- ٦- جبهة المدائن بقيادة محمّد بن سليمان.

ولخلط الأوراق عليها فلما امتص غضب الرأي العام وسكتت الأصوات وهدأت  
 النفوس الغاضبة ظانة صدقه فرض عليه قبول ولاية العهد فاغتنم هذا الظرف  
 بهدف نشر معالم الإسلام الحق وتثبيت دعائم أطروحة مذهب أهل البيت عليهم السلام بكل  
 اقتدار، متحدّياً كل الخطوط الفكرية والمذاهب المنحرفة آنذاك.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٣٤٦: كان استشهاد الإمام عليه السلام في عهد المأمون بتدبير وغيلة منه حيث دس إليه السم.

لقد أدرك المأمون عمق الخطر الذي كان يحيق بعرشه من خلال تواجد الإمام الرضا عليه السلام في مركز حكمه، كما لاحظ تنامي خطّ الولاء لأهل البيت عليهم السلام. فلم يجد بداً من القضاء على شخص الإمام واغتياله بطريقة خبيثة عن طريق دس السم إليه. وكانت وفاته بطوس وهي ضاحية من ضواحي خراسان في قرية يقال لها سناباد في آخر شهر صفر وقيل: في ٧ من شهر رمضان يوم الجمعة من سنة ٢٠٣ هـ وكان له من العمر ٥٥ سنة.

## الإمام التاسع للفترة (٢٠٣ هـ - ٢٢٠ هـ)

### الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

مسألة ٣٤٧: ولد عليه السلام في المدينة سنة ١٩٥ هـ يوم الجمعة في العاشر من شهر رجب، واسم أمه سبيكة ويقال درّة وقد سمّاها الإمام الرضا عليه السلام خيزران. وكنيته أبو جعفر وقد يكنى بأبي جعفر الثاني حتى لا يُشتبه بأبي جعفر الأول وهو الإمام الباقر عليه السلام وله عدة ألقاب أشهرها الجواد.

مسألة ٣٤٨: تزوج بزوجتين الأولى سمانة المغربية وأنجبت له سبعة أبناء ولدان هما الإمام علي الهادي عليه السلام وموسى وخمس بنات وهن فاطمة وأمّامة وحكيمة وخديجة وأم كلثوم، والثانية أم الفضل بنت المأمون بطلب منه إلا أنه لم ينجب منها.

## أهم محطات فترة إمامته

**مسألة ٣٤٩:** عاش مع أبيه الإمام الرضا عليه السلام ثمان سنين وستة أشهر وتسعة عشر يوماً، وعاصر في آخرها أحداث البيعة بولاية العهد له وما صاحبها وتلاها من حوادث ومحن انتهت باغتياله على يد المأمون.

ولما استشهد والده كان الإمام الجواد عليه السلام في سن الثامنة من عمره فتولى لمام الإمامة من بعده، واستمرت مدة خلافته بعد أبيه ١٧ سنة وكان أصغر إمام من الأئمة الاثني عشر لآل البيت يتولى الإمامة وهو في هذا السن.

## محطة معاصرتة لخلفاء الدولة العباسية

**مسألة ٣٥٠:** عاصر الإمام الجواد عليه السلام في فترة إمامته خليفتين من خلفاء الدولة العباسية هما:

١- المأمون الذي تولى الخلافة العباسية في الفترة من (١٩٣-٢١٨ هـ) وكان مولده عليه السلام بعد سنتين من توليه الخلافة وعاش مدة ٢٣ سنة من خلافته، وقبل هلاكه دعاه إلى بغداد لمناظرة مع بعض العلماء وانتهت بتزويجه من ابنته أم الفضل بعدما رأى منه ما رأى من كمال العلم والأدب والحكمة والمنطق ما لا يدانيه فيه أحد من أهل زمانه، وحملها معه إلى المدينة وكان المأمون في أواخر عهده متوفراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره وشأنه.

٢- المعتصم العباسي الذي تولى الخلافة العباسية في الفترة من (٢١٨ إلى ٢٢٧ هـ) بعد وفاة أخيه المأمون فقد عاصر الإمام عليه السلام خلال سنتين من خلافته حتى استشهاداه على يديه وتبديير منه كما سيأتي بيانه.

## محطة تدوين حركته العلمية

مسألة ٣٥١: كان الإمام الجواد عليه السلام يقيم في المدينة المنورة متصدياً فيها لمهام الإمامة والتدريس في المسجد النبوي الشريف منذ أن كان في الثامنة من عمره وقد احتفى به كبار العلماء والفقهاء والرواة من الشيعة وغيرهم في ذلك الوقت وانتهلوا من ندير علمه ورووا عنه ما تمكنوا وسمحت به الظروف السياسية الخانقة من المسائل العقائدية . الفلسفية والكلامية . والفقهية والتفسيرية إلى جانب عطاءه في سائر مجالات المعرفة البشرية واستمر على هذا الحال مدة ١٨ سنة.

وقد كان عليه السلام خلالها في تواصل مستمر عبر وكلائه مع شيعته للحفاظ على الخط الأصيل الحقيقي للإسلام، كما كان نهج وسيرة آباءه عليهم السلام ويجهد في العمل على التمهيد لمرحلة امامة ابنه الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي سيأتي دوره في أي لحظة.

لقد بلغ عدد أصحابه وتلامذته ومن روى عنه ١٢٠ شخصاً ونظراً للظروف العصبية التي واكبت فترة امامته القصيرة واتباع سياسة التضييق عليه وعلى تلامذته قبل السلطة العباسية فلم يرووا عنه سوى ٢٤٠ حديثاً في مواضع شتى في الفقه والتفسير والعقيدة وغير ذلك. وكان ممن أبرز أولئك الرواة: علي بن مهزيار، وأحمد بن أبي نصر البنزطي، وزكريا بن آدم، ومحمد بن إسماعيل بن بزيع، وحسن بن سعيد الأهوازي وأحمد بن أبي عبد الله البرقي.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٣٥٢: بعد موت المأمون واستتباب الملك للمعتصم استدعى الإمام الجواد من المدينة إلى بغداد بذريعة إقامة مناظرات بينه وبين بعض العلماء فدخل بغداد في اليوم الثامن والعشرين من شهر محرم سنة ٢٢٠ هـ، وأخذ المعتصم يحيك المؤامرات

والدسائس لقتله وفي ذلك يقول المسعودي: «لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبرون، ويعملون الحيلة في قتله، فقال جعفر لأخته أمّ الفضل... لأنّه وقف على انحرافها عنه وغيرتها عليه لتفضيله عليه، فجعلت السمّ في عنب، وناولته للإمام عليه السلام... ثم استطرد المسعودي قائلاً: لقد ندمت أم الفضل بعد هذا العمل ندماً عظيماً، وبكت بكاءً شديداً، ولما أكله بكت، فقال: لمّ تبكين فأخبرته بفعلتها فقال لها: ليضربنك الله بفقر لا يجبر وبلاء لا يستر، فبليت بعله أنفقت عليها جميع ما تملكه حتى هلكت بها»<sup>١</sup>.

فاستشهد بسبب ذلك السم في أواخر ذي القعدة من ذلك العام وكان له من العمر يومئذ ٢٥ سنة وكان أصغر أئمة أهل البيت عليه السلام سنّاً حينما استشهد، ودفن في الكاظمية إلى جوار قبر جدّه موسى بن جعفر عليه السلام.

ومرقدهما الشريف يقع اليوم وسط مشهد ضخم عظيم من أهم المزارات الإسلامية في العراق يقع على مساحة تقدر بـ ٢١ ألف متر مربع، ويتكون من صحنين والروضة والمنارات والضريح والأروقة وقبتين تعلو ضريح كل إمام منهما، وقد استخدم فيه جميع أنواع الفنون كفن المرايا والقاشاني والتذهيب والخط وغيرها.

ويعود أول بناء له في العصر البويهي على يد معز الدولة البويهي الذي قام بتشيد أول بناء في سنة ٣٣٦ هـ، فبني قبة رفيعة، ووضع ضريحين للإمامين، وقام بتزيين داخل الحرم، ثم توالى عمارته وتوسعته على يد السلاطين والملوك في العراق وإيران ولا زال اليوم يشهد أعمال التطوير والعمارة بشكل مستمر.

(١) إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للمسعودي: ص ١٩٢.

## الإمام العاشر للفترة (٢٢٠ هـ - ٢٥٤ هـ)

### الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

**مسألة ٣٥٢:** ولد عليه السلام بقرية في ضواحي المدينة المنورة تسمى (صربا) في النصف من شهر ذي الحجة سنة ٢١٢ هـ واسم أمه الشريفة الجليلة سمانة المغربية وتكنى بأبى الفضل.

**مسألة ٣٥٤:** كنيته عليه السلام أبو الحسن الثالث وله عدة ألقاب أشهرها الهادي، وأنجب له من الأولاد خمس أبناء أربعة أولاد: الإمام أبو محمد الحسن عليه السلام والحسين ومحمد وجعفر الملقب بالكذاب وبنت واحدة اسمها عليّة، ولقب جعفر بالكذاب لانحرافه وادعائه كذباً وزوراً الإمامة بعد أبيه وإنكاره إمامة أخيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

### أهم محطات فترة إمامته

**مسألة ٣٥٥:** عاش مع أبيه الإمام الجواد عليه السلام ثمان سنوات وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً، وتقلّد منصب الإمامة بعد استشهاد أبيه وهو في الثامنة من عمره الشريف وكان أكبر من سن والده عندما تقلد مهام الإمامة بشهر وخمسة أيام. وقد امتدت إمامته ٣٤ عاماً منذ وفاة أبيه الجواد عليه السلام سنة ٢٢٠ هجرية حتى رحيله سنة ٢٥٤ هجرية في سن ٤٢ سنة، قضى أكثر سنوات إمامته في مدينة سامراء، وكان ذلك بإلزام من المتوكل العباسي.

### محطة معاصرته لخلفاء الدولة العباسية

**مسألة ٣٥٦:** عاصر الإمام الهادي عليه السلام في فترة إمامته ستة من خلفاء الدولة العباسية، وهم على الترتيب:

- ١- المعتصم العباسي بن هارون الرشيد الذي حكم في الفترة (٢١٨-٢٢٧ هـ).
- ٢- الواثق، ابن المعتصم الذي حكم في الفترة (٢٢٧-٢٣٢ هـ).
- ٣- المتوكل، ابن المعتصم الذي حكم في الفترة (٢٣٢-٢٤٨ هـ).
- ٤- المنتصر، ابن المتوكل الذي حكم في الفترة (ستة أشهر) (٢٤٧-٢٤٨ هـ).
- ٥- المستعين، ابن عم المنتصر وهو أحمد بن محمد بن المعتصم الذي حكم في الفترة (٢٤٨-٢٥٢ هـ).
- ٦- المعتز وهو لقب الزبير الابن الثاني للمتوكل الذي حكم في الفترة (٢٥٢-٢٥٥ هـ).

وقد استدعاه المتوكل سنة ٢٣٣ هـ برفقة يحيى بن هرثمة بن أعين من المدينة المنورة فأقام بمدينة سامراء في العراق وفرض عليه الإقامة الجبرية خوفاً من مبايعة الناس له وزوال حكمه على يديه ليكون تحت سطوته ورقابته.

**مسألة ٣٥٧:** يلقب هو وابنه الحسن عليهما السلام بالعسكريين، وإنما لُقبا بذلك لفرض السلطة العباسية الإقامة الجبرية عليهما في سامراء التي كانت يومها معسكراً مركزياً لجند الخليفة.

وقد عانى عليه السلام من ظلم الخلفاء العباسيين كما عانى أبأوه الكرام حيث أحكموا قبضتهم على الحكم واتخذوا كل وسيلة لإقصاء أهل البيت النبوي وإبعادهم عن الساحة السياسية والدينية، وإن كلّفهم ذلك تصفيتهم جسدياً كما فعل الرشيد مع الإمام الكاظم عليه السلام، والمأمون مع الإمام الرضا عليه السلام، والمعتصم مع الإمام الجواد عليه السلام.

## محطة تدوين حركته العلمية

**مسألة ٣٥٨:** المحطة الثالثة ترصد تواصله مع شيعته للحفاظ على الخط الأصيل الحقيقي للإسلام، ومواجهة صدمة الانحراف والحفاظ على أصالة الدين

الإسلامي والتمهيد لمرحلة امامة ابنه الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام الذي سيأتي دوره.

وكان من أبرز تلامذته ورواة آثاره وأحاديثه: عثمان بن سعيد وموسى بن عبد الله النخعي والحسين بن سعيد الأهوازي وعبد العظيم الحسيني وابن شاذان ومحمد بن ريان بن الصلت وإبراهيم بن مهزيار ومحمد بن عيسى اليقطيني وإبراهيم بن مهزيار وابن أبي الخطاب وأحمد بن محمد البرقي وأبو هاشم الجعفري وسهل بن زياد وابن السكيت والحسن الأطروش وأحمد بن إسحاق القمي وأحمد بن محمد بن عيسى وأدم بن إسحاق وعلي بن جعفر الصادق عليه السلام.

وقد اختار وانتخب ثلاثة منهم وهم خيران الخادم وعلي بن مهزيار وعثمان بن سعيد ليكونوا سفراء ورسلاً ووكلاء بينه وبين شيعته.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٣٥٩: استشهد عليه السلام في سامراء في شهر رجب سنة ٢٥٤ هـ على أثر سم دسّه إليه المعتز العباسي، وكان له من العمر يومئذٍ ٤١ سنة وأشهر ودفن في داره بسامراء وكان مدّة مقامه فيها سنة وأشهر قبل وفاته.

## الإمام الحادي عشر للفترة (٢٥٤ هـ - ٢٦٠ هـ)

### الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

مسألة ٣٦٠: ولد عليه السلام يوم الجمعة في اليوم ٨ من شهر ربيع الثاني سنة ٢٣٢ هـ في المدينة المنورة، واسم أمه الشريفة الجليلة حديثة، وقيل: سوسن، ولقبه العسكري نسبة إلى محلّة كان يسكن فيها تعرف بالعسكر.

مسألة ٣٦١: لم يكن له من الولد غير الإمام محمد بن الحسن الإمام من بعده وهو الحجّة المنتظر آخر الأئمة المعصومين وبقيّة الله في الأرض ومن فوق الثرى.

### أهم محطات فترة إمامته

مسألة ٣٦٢: المحطة الأولى: هي الأيام التي قضاها عليه السلام في ظلال إمامة أبيه الإمام الهادي عليه السلام والتي تقرب من (٢٢ سنة) حيث تنتهي باستشهاد أبيه سنة (٢٥٤ هـ).

مسألة ٣٦٣: المحطة الثانية: هي أيام إمامته التي استمرت ست سنوات بدأت من سنة (٢٥٤ هـ) وحتى استشهاده سنة (٢٦٠ هـ) وهي مرحلة حافلة بأحداث مهمة على الرغم من قصرها.

وتبرز مدى أهميتها حينما نتصوّر أهمية مرحلة غيبة الإمام الثاني عشر التي تفرض على الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن يقوم بتهيئة شيعة أهل البيت عليهم السلام للقبول بها والتمهيد لها والتعاطي معها وكيفية التدرج في تنفيذها من مرحلة حضور الإمام إلى مرحلة غيبته والأسباب الموجبة لها كما سيأتي بيانها.

## محطّة معاصرته لخلفاء الدولة العباسيّة

مسألة ٣٦٤: عاصر عليه السلام في فترة إمامته من خلفاء الدولة العباسية كلاً من:

١- المعتز بالله الذي حكم في الفترة من ٢٥٢ إلى ٢٥٥ هـ.

٢- أبو إسحاق المهتدي الذي حكم في الفترة من ٢٥٥ إلى ٢٥٦ هـ.

٣- أبو العباس المعتمد الذي حكم في الفترة من ٢٥٦ إلى ٢٧٩ هـ.

فأدرك عليه السلام عدة أشهر من بقية ملك المعتز، وأحد عشر شهراً وثمانية وعشرين يوماً من ملك المهتدي، وخمس سنوات من ملك المعتمد الذي استمر إلى عشرين سنة واحداً عشر شهراً.

وكان بمعية أبيه الإمام الهادي عليه السلام لما استدعاه المتوكل إلى سامراء سنة ٢٣٣ هـ، وقد تعرضاً عليه السلام فترة امامتهما واقامتهما بسامراء للاعتقال والمعاملة القاسية عدة مرات.

كما نجد في الوقت الذي فرضت فيه السلطة العباسية الإقامة الجبرية عليه قامت بإجباره على الحضور في يومين من كل أسبوع في دار الخلافة العباسية. كما أخضعته لرقابة شديدة وأحصت عليه كلّ تحركاته لتشلّ نشاطه العلمي والسياسي وتحول بينه وبين ممارسة دوره القيادي الديني والسياسي في أوساط الأمة، وقد لاقى من السلطة العباسية أشدّ العنت والتضييق والملاحقة والإرهاب.

## محطّة تدوين حركته العلميّة

مسألة ٣٦٥: كان الإمام مهتماً كأبائه عليهم السلام باللجوء للعمل السري غاية الاهتمام واعتمد على نظام الوكلاء ليكون قادراً على أداء دوره القيادي الديني بشكل تام وفاعل حتى في أحلك الظروف العصيبة فاختر ممن يثق به من أمثال إبراهيم بن مهزيار وعثمان بن سعيد العمري وأحمد بن إسحاق القمي حتى استطاع أن يتجاوز سياسة الإرهاب العباسي الذي كان يحاول جاهداً عزل الإمام عن قواعده الشعبية من أتباع

نهج أهل البيت عليهم السلام، ومهد بذلك خير تمهيد لعصر الغيبة الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من أهل بيته عليهم السلام عن حتميته وضرورته في فترة إمامة الإمام الثاني عشر الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام الذي سيأتي دوره.

كما كان عليه السلام. بالرغم من حرجة ظروفه السياسية. مثابراً في الدفاع عن الشريعة الإسلامية وخطأ أهل البيت الذي يمثل الإسلام الأصيل ومحاربة البدع وهداية المترددين والشاكين وجذبهم إلى حضيرة الدين.

وكان من أبرز تلامذته ورواة آثاره وأحاديثه في الفترات التي تسنت له فيها فرصة التصدي المباشر للتدريس ونشر المعارف الدينية والعقائدية: الصفار القمي وإبراهيم بن هاشم وعبد العظيم الحسيني ومحمد بن ريان بن الصلت والحسين بن سعيد الأهوازي ومحمد بن عيسى اليقطيني ومحمد بن عثمان بن سعيد العمري والحسين بن روح النوبختي وعلي بن محمد السمري وابن أبي الخطاب والحسن بن موسى الخشاب وداوود بن القاسم الجعفري وسهل بن زياد الأدمي وعلي بن الريان القمي ومحمد بن أحمد القطان القمي ومحمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي.

## آخر محطات حياته الشريفة

مسألة ٣٦٦: بعد مضي خمس سنين من ملك المعتمد العباسي احمد بن جعفر وعلى الرغم من اجبار الإمام على الإقامة عنده في مدينة سامراء إلا أنه شاهد كيف أن الناس عامتهم وخاصتهم من الشيعة والسنة تعظم وتجل وتحترم الإمام العسكري عليه السلام في الوقت الذي لا يجد منهم في قبالة ذلك فخشي منه على ملكه وقرر الفتك به واغتياه فدمس له السم في اليوم ٨ من شهر ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ، فقتل عليه السلام نحبه صابراً شهيداً محتسباً، وكان يبلغ من العمر له يومئذ ٢٨ سنة.

ودفن عليه السلام في داره بسامراء في البيت الذي دفن فيه أبوه الإمام الهادي عليه السلام وقد تحول هذا البيت فيما بعد إلى حرم كبير يعرف بحرم العسكريين يضم قبريهما الشريفين، وقد تعرض هذا الحرم للتخريب إثر تفجيرين إرهابيين ما بين عامي ١٤٢٦

هـ و١٤٢٨ هـ (٢٠٠٦ و٢٠٠٧ م) ما أدى إلى تدمير جزء من البناء بما فيه القبّة والمأذنة والضريح وقد خضع الحرم بأكمله إلى إعادة إعمار وتجديد تحت إشراف ديوان الوقف الجعفري حتى صار أفضل بكثير مما كان عليه.

## الإمام الثاني عشر (٢٦٠ هـ - ٣٠٠ هـ)

### الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام

**مسألة ٣٦٧:** هو سمي رسول الله ﷺ وكنيته كنيته ولد بمدينة سامراء في النصف من شهر شعبان سنة ٢٥٥ هـ ولم يكن لأبيه خلف سواه واسم أمه الشريفة الجليلة نرجس ورويت أسماء أخرى مثل مليكة، وريحانة وسوسن، وصقيل وغير ذلك والحكمة من تعدد الأسماء هو تضليل العباسيين لئلا يصلوا إلى أم القائم الحقيقية بسوء، لأنهم حجّزوا جارية اسمها صقيل في بيت الخليفة العباسي، وتعهدت نسوة الخليفة والقضاة بمراقبتها حتى تضع حملها ولكن التطورات الخطيرة شغلتهن بأنفسهن عن مراقبة صقيل التي احتجرت.

**مسألة ٣٦٨:** توفي أبوه عليه السلام وله من العمر خمس سنين، وقد آناه الله تعالى الحكمة وفصل الخطاب وجعله آيةً كما أتى النبي يحيى صبيّاً وجعله على رغم صباه إماماً كما جعل عيسى بن مريم نبياً في مهده فتقلّد مهام الإمامة وشؤونها سنة ٢٦٠ هـ، وله ألقاب كثيرة منها: بقية الله في أرضه، الحجّة المنتظر، الهادي، المهدي الرضي، الزكي، التقي، النقي، القائم، الغائب، المستور، الخلف، المترقب، المخطف، المنصور.

### أهم محطات فترة إمامته

**مسألة ٣٦٩:** هذا الإمام هو الذي بشرت بفكرته وبأطروحاته (أطروحة المصلح الأكبر) الأديان الإلهية والذي بشر نبي الإسلام ﷺ والأئمة عليهم السلام بنهضته المباركة التي ستملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

وتبدأ أولى محطات حياته بإخفاء أثر حمل أمه به وفشل السلطة العباسية في اكتشافه ثم ولادته سنة (٢٥٥ هـ) وقد بالغ والده عليه السلام في إخفاء أمره والتكتم عليه منذ ولادته عن أسماع العموم إلا الخواص الخلص خوفاً عليه من سطوة السلطة العباسية التي كانت ترقبه وفقاً للبشارات المنبئة به على ألسنة الرواة والمحدثين لتستأصله وتصفيه جسدياً.

فقام والده بتنشئته خير قيام في كنفه وتحت رعايته حتى استشهاده سنة (٢٦٠ هـ) وكان عمر الإمام المهدي عليه السلام في ذلك الوقت خمس سنوات.

## الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى

مسألة ٣٧٠: ثاني المحطات أنه عليه السلام اختص بغيبتين في فترة إمامته صغرى وكبرى ثانيهما أطول من الأولى وتبدأ الصغرى بتوليّه مهام الإمامة بعد وفاة أبيه عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ وتنتهي بانقطاع السفارة بينه وبين شيعته وبوفاة آخر السفراء وهو السفير الرابع سنة ٣٢٨ هـ فتكون مدتها ٦٨ سنة.

وأما الكبرى فهي تلي الأولى وبدايتها كانت من سنة ٣٢٨ هـ وهي مستمرة إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله عزّ وجلّ لهذه الحياة من بقاء، وهي مستمرة حتى يومنا هذا وستستمر إلى ما شاء ويقدر لها الله تعالى حتى تنتهي بيوم ظهوره وبسط نفوذه وسلطته على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية العالمية، ويأذن الله له بالخروج وقيادة العالم وتنفيذ مشروع دولة العدل الإلهي.

## محطة سفراء الإمام المهدي

مسألة ٣٧١: ناب في الغيبة الصغرى عن الإمام المهدي عليه السلام أربعة مندوبين ووكلاء وسفراء خاصين وهم:

١- عثمان بن سعيد العمري: استغرقت نيابته السنوات الخمس الأولى من غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه التي بدأت سنة ٢٦٠ هـ.

٢- محمد بن عثمان بن سعيد العمري: وقد استغرقت نيابته أربعين سنة من عمر الغيبة الصغرى بدأها سنة ٢٦٥ هـ.

٣- الحسين بن رُوح النوبختي: وقد استغرقت نيابته إحدى وعشرين سنة بدأها سنة ٣٠٥ هـ.

٤- علي بن محمد بن أحمد السمرى: وقد استمرت نيابته ثلاث سنوات انتهت بانتهاء الغيبة الصغرى سنة ٣٢٩ هـ، بإعلام الإمام عليه السلام له عن ذلك قبل ستة أيام من وفاته وابتداء الغيبة الكبرى بالتوقيع الصادر منه والذي جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمرى، أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فأجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة».

وكان اختيار واصطفاء هؤلاء الأربعة بناءً على اتصافهم بالعلم والفضل والاستقامة والإخلاص وقدرة كبيرة على الانضباط والتقيد بالسرية التامة عند تكليفهم بأي مهام للقيام بها من قبل الإمام عليه السلام.

**مسألة ٣٧٢:** عاصر عليه السلام منذ توليه مهام الإمامة سنة ٢٦٠ هـ بعد استشهاد والده الإمام العسكري عليه السلام في زمن الغيبة الصغرى التي بدأت مع استلامه مهام الإمامة وانتهت سنة ٣٢٨ هـ سبعة من خلفاء الدولة العباسية بالترتيب التالي:

- ١- أبو العباس المعتمد الذي حكم في الفترة من ٢٥٦ إلى ٢٧٩ هـ.
- ٢- المعتضد بالله الذي حكم في الفترة من ٢٧٩ إلى ٢٨٩ هـ.
- ٣- المكتفي بالله الذي حكم في الفترة من ٢٨٩ إلى ٢٩٥ هـ.
- ٤- المقتدر بالله الذي حكم في الفترة من ٢٩٥ إلى ٣١٧ هـ.
- ٥- أبو الفضل الذي حكم في الفترة من ٣١٧ إلى ٣٢٠ هـ.
- ٦- أبو منصور القاهر الذي حكم في الفترة من ٣٢٠ إلى ٣٢٢ هـ.
- ٧- الراضي بالله الذي حكم في الفترة من ٣٢٢ إلى ٣٢٩ هـ.

## محطة حركته العلمية

**مسألة ٣٧٣:** عطاء الإمام المهدي عليه السلام واسهاماته كسائر آبائه من أئمة أهل البيت عليهم السلام مستمر في كل الظروف ومتواصل في فترة امامته على امتدادها الطويل ففي زمن الغيبة الصغرى كان السفراء الأربعة يأخذون الرسائل المتضمنة للاستفسارات والاستفتاءات من وجهاء وأعيان وعلماء الشيعة ويوصلونها إليه ويستلمون منه الرد عليها مكتوباً ومختوماً بتوقيعه<sup>١</sup>، وقد نشأ مصطلح الناحية المقدسة للتعبير عنه عليه السلام، ويعبر عن الأجوبة إذا صدرت أنها خرجت من الناحية المقدسة.

**مسألة ٣٧٤:** في زمن الغيبة الكبرى له عليه السلام تكاليف إلهية خاصة لا نعلم بها بالتفصيل فدوره جزء من نظام الهداية الإلهية والمنظومة الإعجازية للرسالة المحمدية الخاتمة، والمقطوع به أنه يعايش على الدوام التطورات الأخلاقية والسلوكية والاجتماعية والسياسية للبشرية عامة ولشيئته خاصة، وله تدخلات ولقاءات في الأزمان بطرق مباشرة وغير مباشرة مع خاصة أوليائه وشيعته ويرشدهم ويهديهم لما فيه صلاحهم وصلاح عامة المجتمعات ويراقب توافر الشروط والظروف الموضوعية التي لا بد من تحققها الحتمي للإيدان بنهضته العالمية كي يظهر إلى العالم الإنساني بعد أن تستنفذ الحضارات الجاهلية كل ما لديها من قدرات وطاقات، وتفتح البشرية بعقولها وقلوبها لتلقي الهدي والعدل الإلهيين من خلال قائد ربّاني فذ قادر على قيادة العالم أجمع تحت راية العدل والحق والاستقامة، كما يريد الله له.

**مسألة ٣٧٥:** رابع المحطات: حياته التي ستكون بعد عصر الظهور التي تبدأ بعد انتهاء الغيبة الكبرى، وهو عهد الدولة المهديّة العالمية المرتقبة والتي بشرت وأخبرت عنها نصوص الكتاب والسنة واستعرضتها الكثير من المؤلفات.

(١) وخير من جمع أكثر المتوفر منها من المصادر الروائية المتوفرة والمتداولة في كتاب مستقل هو الفاضل السيد محمد رضا الحسيني في كتاب أسماه (الدرر توقيعات المهدي المنتظر ما خرج عن الإمام عليه السلام خلال الغيبة الصغرى ورسائل المفيد).

## دوافع الغيبتين الصغرى والكبرى

ونظراً للأهمية التي تكتسبها ظاهرتا الغيبتين المشار إليهما سنحاول من خلال هذه الأسطر إلقاء بعض الضوء عليها بالنحو التالي:

### دوافع الغيبة الصغرى

مسألة ٣٧٦: يمكن تصنيفها إلى قسمين حقيقيّة وظاهريّة:

القسم الأول: الدوافع الحقيقيّة ويمكن ايجازها بالنقاط التالية:

١- التقديرات الالهية الخاصة بالإمام المهدي وبكافة شؤونه كتكليف إلهي مقدّس خاص به وبتلك المرحلة الاستثنائية الحرجة حتى يؤذن له ويتمكن من الظهور وفق المؤشرات والمخططات الإلهية.

٢- التأسيس للدور الذي سيضطلع به الإمام المهدي عليه السلام لتنفيذ مهام الإمامة

عن بعد.

٣- أهمية الحفاظ على سلامة الإمام الجسدية ليتمكن من الاستمرار في تعاهد شؤون الرسالة الخاتمة في كافة أبعاد الحياة بحسب الإمكانيات المتاحة له.

٤- تهيئة الأجواء لترويض الأجيال المتعاقبة من أتباعه على مثل هذا الوضع مع الإيمان بوجود دور محوري له في قيادة الأمة وإن لم يعرف شخصه ولا مكانه ولا حجم وكيفية وسائله التي ينتهجها في الحفاظ على أصالة وصفاء ونقاء الشريعة المحمدية الخاتمة.

٥- التمهيد لتقبل فكرة غياب الإمام عن المشهد الفعلي في فترة إمامته وتقبل توسط سفراء مخصصين للتواصل مع قواعده الشعبيّة للتأكيد على وجوده وحضوره الفعلي في قيادة الأمة لتفادي ما سيعقب هذه المرحلة بسبب طول الفترة الزمنية حتى عصر الظهور.

## القسم الثاني: الدوافع الظاهرية ويمكن إيجازها بما يلي:

- ١- الأخطار المحدقة بشخصه الشريف والتي تهدد حياته من قبل القوى السياسيّة والعسكريّة آنذاك لو اتفق أن مارس حياته الطبيعيّة معهم.
- ٢- مطاردة أجهزة الأمن العباسي له وتجنيد الجواسيس وحشد الجند والعسكر للتفتيش عنه.
- ٣- ترصد عمّه المنحرف جعفر الكذاب له ومحاولاته الدؤوبة والمستميتة للخلاص منه وتصفيته جسدياً.
- ٤- عدم تمكين كافة الناس له لبطء نفوذه وإعلان دولته وتحصينها لتحقيق حلم البشرية المنشود وإقرار أسس العدالة الإلهية في إطار الدولة الموعودة (دولة العدل الإلهي) في النصوص المنبئة به.
- ٥- عدم بلوغ العقليّة البشرية في عهده إلى مستوى النضج الكافي والمطلوب لإقرار برامج الإصلاح العالمي وتحقيق مظاهر المدنيّة الفاضلة بأبعد معانيها وعلى وفق موازين الحكمة الربانيّة في تسيير شؤون الخلق وفق أسس نهج الحق المثاليّة.
- ٦- إنّ الدور الموكل إليه لا يتأدّى في حدود الظرف الزمني الذي ولد فيه.
- ٧- توسيع نطاق عمله ودائرة إشرافه على خلاياه الشيعيّة بعيداً عن ملاحقة الجند ومطاردة السلطات وتحت ستار التحرك السري وذلك عن طريق السفراء الأربعة والوكلاء المبتوثين في المدن والأصقاع النائية المختلفة.

## دوافع الغيبة الكبرى

مسألة ٣٧٧: يمكن حصر دوافع الغيبة الكبرى في أربع دوافع:

- ١- الدافع الإلهي: وهو بعينه ما قدّمنا ذكره في أول دوافع الغيبة الصغرى الحقيقيّة وقد عبّر عنه كثير من أعلام متكلمي الإماميّة بمصلحة خفيّة استأثر الله تعالى بعلمها أو بأننا إذا علمنا إمامته قد تقررت بنص إلهي ورأيانه غائباً عن الأبصار علمنا أنّه لم يغب مع عصمته وتعيّن فرض الإمامة فيه وعليه إلا لسبب اقتضى ذلك وضرورة قادت إليه وإن لم يعلم الوجه على التفصيل.

٢- الدافع الوقائي: ويستفاد صريحاً من جملة النصوص الواردة في شأنه حيث تؤكد على أنه ﷺ قد غاب من أجل حماية نفسه من القتل والفتك على ما سبق الإشارة إليه، وبما أنّ قضيته تخصّ البشرية جمعاء فأعداؤه لازالوا موجودين بحكم تركيبة قوى الكفر والإلحاد والبغي والغطرسة الموجودة في سائر الأزمان وتعاقب الأجيال والعصور وتوارثهم هذه العناوين إلى أزمنتنا هذه.

٣- الدافع التحفيزي: ويعني أنّ الإيمان بوجود الزعيم الديني والفكري وإن كان مستوراً أو ظاهراً مشهوراً بمجرد خلقه في نفوس أتباعه قوّة معنوية تجعل منهم أسرة واحدة وقلباً واحداً على اختلاف لغاتهم وتعدد أوطانهم خصوصاً إذا كان ذلك الزعيم إماماً منزهاً عن الخطأ والخطيئة وفي ذلك يقول الشيخ مغنية: وهي حكمة بالغة تجمع قلوب الموالين لآل البيت على الإحساس المتحد... وقد أدرك هذه الحكمة الإنكليز وهم من أرقى الأمم فحافظوا على التاج البريطاني ووضعوا رسمه على العلم والسلع أيضاً للدلالة على أنّهم أسرة واحدة لأبٍ واحدٍ وهو حامل التاج مع أنّه اسم لغير معنى وحاكم بلا أمر ونهي، ولا يصل إليه أحد من رعيّته وأهل مملكته إلا القليل النادر، وهكذا ميكادو اليابان الذي ينظر إليه اليابانيون كإله أو نصف إله فهل الإنكليز وأهل اليابان عقلاء والشيعنة مجانين؟!.

٤- الدافع الاختباري التمحيصي: ونكتفي في الإشارة إلى بيان معنى هذا الدافع بسرد روايتين وردتا متضمنتين للتنصيص عليه:

(الأولى) رواها عبد الله بن أبي يعفور عن الإمام الصادق ﷺ أنّه قال: «ويل لطغاة العرب من شرّ قد اقترب قال: قلت: جعلت فداك كم مع القائم من العرب قال: شيء يسير فقلت: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير فقال: لا بدّ للناس من أن يمحصوا ويُمَيِّزوا ويُغَرِّبوا ويخرج من الغربال خلق كثير».

(الثانية) وهي أيضاً مروية عن الإمام الصادق ﷺ قال: «لما بويع لأمير المؤمنين ﷺ بعد مقتل عثمان صعد المنبر وخطب خطبةً قال فيها: ألا إنّ بليّتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيكم ﷺ والذي بعثه بالحق لتبليبنّ ببلبةً ولتغربلنّ غربلةً

حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سابقون كانوا قصرُوا  
وليقرننّ سابقون كانوا سبقوا، والله ما كتمت وسمهً ولا كذبت كذباً ولقد نبئت  
بهذا المقام وهذا اليوم».

## أدلة الغيبة الكبرى

مسألة ٣٧٨: أدلة الغيبة الكبرى بحسب استقراءنا تسعة نذكرها لك بالنحو

التالي:

١- الدليل العقلي: ويكمن بيانه في قصور العقل عن الإحاطة بالأمر الغيبية التي لا طريق له لتحصيلها باستقلاله مجرداً يضاف إلى ذلك أنّ عدم الوجدان لا يدل على العدم فمجرد وجود مثل هذا الاحتمال العقلي يصحح إمكانية دعوى وقوع مثل ذلك، فمن لم تحصل له الدلائل والشواهد على صدق هذه القضية لا يمكن أن يستدل بجهله على من يعلم أو تضافرت الدلائل والمؤشرات بتوسط بيان الشرع والدين الإلهي لديه بصحة مثل ذلك.

فليس كلّ ما هو حق يجب أن يثبت بطريق العقل ولا كل ما لم يثبت بالعقل يكون باطلاً فعند عجزنا عن إثبات مسألة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام بالأدلة العقلية المجردة لا يثبت لنا بطلانها وعدم صحتها من الأساس وذلك لأنها ليست من شؤون العقل واختصاصه بل إن عجز العقل عن إدراك قضية من القضايا شيء وكونها حقاً أو باطلاً شيء آخر.

٢- الدليل الكلامي: ويتبلور في محورين: (أولها) اقتضاء قاعدة اللطف، (وثانيتها) اقتضاء مبدأ العصمة: ويُعنى بأولهما أنّ العقل يقطع بوجود اللطف على الله الحكيم اللطيف تعالت ألوّه وهو توفير الدوافع والأسباب المقرّبة إلى الطاعة والمبعدة عن المعصية والمزيحة لأسباب الضلال والتهيه والزيغ والانحراف والموصدة لأبواب الذرائع أمام العصاة والجناة عند مجانبتهم لسبل الاستقامة والخير والصّلاح. ومما لا ريب فيه أنّ تنصيب الإمام وتعيينه من أبرز مصاديق وعوامل الهداية والإرشاد لتلك الدوافع وتحقيق أسى معالم المدينة الفاضلة في أعلى مظاهرها.

وَيُعْنَى بثنائيهما أَنَّ الاعتقاد بمبدأ كون الإمام معصوماً لا تصدر عنه الهفوة والزلة ولا يرتكب ما يخالف موازين الحكمة وقوانين المنطق السليم يكفي كدليل وبرهان على إثبات الوجه في غيبته ويفصح عن أَنَّ هنالك ما يبرر له سلوك مثل ذلك المنهج وإن لم يتضح لنا وجهه تفصيلاً لأنّه أدري بمقتضيات رسالته المكلف بأدائها وتنفيذها وإقرار أسسها ومعالمها خصوصاً إذا علمنا مدى سعة الرقعة العالميّة التي سيشملها نطاق دعوته ومسؤولية إمامته.

### ٣- الدليل التاريخي: ويمكن الإشارة إليه من خلال استعراض ثلاثة محاور:

(الأول) النصوص التاريخيّة الواردة بشأن ولادته وما أفرزته من أحداث متعاقبة سريعة كقضيّة إخفائه وشدّة توقّي والده وحذره من كشف أمره للملأ وعمامة الناس إلا من شدّد ونذر من الخواص والأصحاب المقربين وتبيين وجه الحكمة في ذلك لهم بما يرفع عن أذهانهم وقلوبهم الشبهات والوساوس والشكوك.

(الثاني) النصوص الواردة بشأن طول فترة الاستتار وتمادي مدّتها الزمنية عن الحد المتعارف عليه في الاختفاء والاحتجاب ورفع الاستغراب والاستبعاد بوجود النظر في تاريخ جهاد الأنبياء والأوصياء والحجج ضد مردة وعصاة عصورهم للحفاظ على أنفسهم من الفتك وعلى رسالاتهم من الهتك.

(الثالث) وهو عبارة عن مسألة طول عمره وزيادته على الحد المتعارف عليه في بقاء أفراد الإنسان في هذه الحياة وهذا بالذات هو الذي أفرد له كثير من محققي الإماميّة الأبواب المختلفة في جملة من مصنفاتهم وأطنبوا في الاستدلال على إمكانية طول عمر الإمام المهدي عليه السلام وذلك بالإشارة إلى وجود النظائر التاريخيّة العديدة التي تضمّنت طول الأعمار بما يزيد على القدر المعهود الغالب في جريان العادة في الأجسام والعوارض والحياة.

٤- الدليل العقائدي: وهو عبارة عن وجود النظر فيما يدين به جمع من أهل الملل والنحل كاليهود والنصارى المغاير مبدؤهم للإسلام حيث ذهبوا إلى تجويز حصول الأعمار الطويلة والامتداد في الأجال وقد حكوا في متونهم الدينية ما يثبت

اتفاقهم على وقوع مثل ذلك فخالفوا فيما ذهبوا إليه مبدأ التشكيك الموهوم المسى بالاستبعاد المدعى في المقام من قبل خصوم الإمامية الذين عموا عن البديهيات وأنكروا حتى الضروريات فضلاً عن المعتقدات الثابتة بالبراهين القطعية والحجج القوية وما تضمنته من الخصوصيات.

٥- الدليل العلمي: ويتلخص في شهادة العلماء الفيلسوفيين القائلة بأن كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى الملائمة له وأنه يمكن أن يبقى الإنسان ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقد استفادوا تلك النتائج من تجارب دؤوبة واختبارات مكثفة على الخلية العضوية المكونة للبنية الحيوانية وقد أدت بهم تلك التجارب إلى استنتاج أن الإنسان لا يموت بسبب بلوغ عمره الثمانين أو مائة سنة بل لأن العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها ولارتباط أعضائه ببعض تموت كلها فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يحول دون آثارها لم يبق مانع من استمرار الحياة مئات من السنين.

٦- الدليل الحضاري: وخلصته أن البشرية قد أطبقت على أنه لا بد أن يؤول مصير الإنسان في خاتمة مطافه في الحياة إلى تحقيق المدنية المزدهرة مادياً ومعنوياً كنهاية حتمية لحركة التطور والازدهار التي يصبو إليها وينشدها في مخططاته الإنمائية ولكن وقع الخلاف بين المذاهب الوضعية والالهية في تحديد صاحب ذلك المنعطف الحضاري فالأولى تنص على أنه نظام سياسي اقتصادي تحوكه عقولهم، والثانية تنص على أنه فرد رباني مؤيد من السماء يظهر لإنقاذهم وتحقيق هذا الحلم المنشود.

٧- دليل عدم الاستحالة والامتناع الذاتيين: ونعني به أن كل ما هو ممتنع عادة لا يمتنع عقلاً كصيرورة النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام والعصا ثعباناً لموسى عليه السلام والحديد أداة طيعةً لداود عليه السلام والجن خدماً وأعواناً لسليمان عليه السلام فهذه كلها خوارق ممتنعة عادةً جائزة عقلاً وأخبر عنها الشرع فوجب التصديق بها، وكذلك ما نحن فيه من أمر الإمام المهدي عليه السلام والإيمان بوجوده حياً طيلة هذه السنين ليس

بأعظم من الإيمان بتلك الخوارق.

٨- دليل اقتضاء الضرورة والإلحاح: ونعني به أنّ الظروف الأمنية والسياسية الخطيرة الاستثنائية التي قد تعصف ببعض زعماء التيارات الوضعية تلجئهم إلى الاختفاء القسري تحت وقع وطأة تلك الظروف بإيعاز من المستشارين المختصين بهم وكذلك الحال بالنسبة إلى قادة الدعوات الإلهية من الأنبياء والرسل فنجد كيف يأتيهم توجيه بوحى من الله عزوجل إلى الاختباء أو الهجرة عن عيون الأعداء لحفظ أشخاصهم وضمان سلامتهم الجسدية وقد تلجئهم تلك الظروف إلى استتار كل واحد منهم واختفائه فترةً زمنيةً متطاولة حتى تتبدل الأحوال وتسمح مجدداً بمعاودة ظهورهم إلى مزاوله مهامهم القيادية العلنية.

فهذه الظاهرة حاضرة في حياة كل زعيم وقائد وتصورها في حياة إمامنا المهدي أمر بديهي لا يمكن نفيها عنه.

٩- الدليل الإعجازي: أو دليل القدرة الإلهية المطلقة التي إذا أرادت شيئاً فإنّما تقول له كن فيكون وما مثل ما نحن فيه على الله عزّ وجلّ بعزير ومن أراد التوسّع فليرجع إلى كتابنا (ظاهرة الغيبة ودعوى السفارة في ظلّ إمامة المهدي المنتظر عليه السلام).

## الفوارق الرئيسية بين الغيبتين

مسألة ٣٧٩: يمكننا أن نوجز الفوارق الرئيسية بين الغيبتين بالنقاط التالية:

الأولى: إنّ الغيبة الصغرى تمثّل الحقبة الزمنية الأولى لعهد إمامته في ممارسته مهام الإمامة الموكلة إليه في حدودها التقليدية وقد ختمت بتوطيد دعائم إمامته كنقطة انطلاق نحو أهدافها الإلهية السامية في حركتها الإصلاحية العالمية.

بينما تمثّل الغيبة الكبرى الحقبة الزمنية الثانية لعهد امامته في حدودها الزمنية الطويلة حيث ستتوج بتأسيس دولته العالمية المرتقبة الموعودة.

الثانية: إنّ المدة الزمنية للصغرى محدودة بما يقرب من خمس وسبعين سنة.

بينما نجد أنّ المدة الزمنية للغيبة الكبرى تمتد إلى ما شاء الله تعالى، ولهذا نجد أنّ بعض الروايات تضمنت القول بتكذيب الموقتين.

الثالثة: إنّ السفارة والوكالة في الغيبة الصغرى كانت موجودة. بينما تنعدم في الغيبة الكبرى كلياً إلا في حدود النيابة العامة عنه عليه السلام كما عليه حال فقهاء الإمامية في كافة الأزمنة.

الرابعة: انحصار نشاط الإمام المهدي عليه السلام الفعلي بتوسط سفرائه في حدود مدينة بغداد.

بينما نجد أنّ حدود نشاطه عليه السلام في الغيبة الكبرى غير منحصر في مكان معين خاص أو دولة معينة.

الخامسة: انحصار عدد السفراء في أربعة في الغيبة الصغرى وكذا الوكلاء فلم يزدوا على ما ورد النص عليهم في العدد والاسم.

بينما نجد في الغيبة الكبرى أنّ النوّاب (الفقهاء) بالنيابة العامة عنه عليه السلام لا يوجد لهم حصر معين إلا في جامعية الشرائط لا غير.

السادسة: إمكانية رؤيته والرجوع إليه ومشافهته عليه السلام لم تكن ممتنعاً في الصغرى خصوصاً لأشخاص سفرائه في كلّ مسألة استدعت الحاجة إلى لجوئهم إليه.

بينما يتعدّد ذلك في عصر الغيبة الكبرى فلا يمتلك ولو أحاد من الناس مهماً بلغوا من المنزلة في العلم والإيمان القدرة على الوصول إليه متى شاءوا وأرادوا.

السابعة: وجود مطاردة واقعية للكشف عنه والقبض عليه بهدف الفتك به عليه السلام في الغيبة الصغرى من قبل عمّه جعفر الكذاب وسلطات المعتمد العباسي ومن تلاه.

بينما لا يوجد شيء من ذلك في الغيبة الكبرى.

الثامنة: في الغيبة الصغرى كانت تجب إليه الحقوق الشرعية فيوجهها في جهاتها عبر سفرائه ووكلائه الأربعة.

بينما لا يصل إليه شيء منها في الكبرى.

التاسعة: بقاؤه عليه السلام حياً مدّة الغيبة الصغرى لا يرتاب في تصوره أدنى من له عقل وروية.

بينما وقع الخلاف في امتداد حياته في الغيبة الكبرى إلى حد اللحظة التي نعيش فيها اليوم.

**العاشرة:** انتشار ظاهرة دعوى السفارة المزورة عنه عليه السلام في الصغرى.

بينما انعدمت في الغيبة الكبرى قرناً متطاولة وإن كنا أصبحنا نسمع مؤخراً عن ادعاءات لبعض الأشخاص المشبوهين بصلاتهم بالمخبرات الأجنبية تتضمن ذلك.

**الحادية عشرة:** صدور تواقيع منه عليه السلام في الغيبة الصغرى بلعن مدعى السفارة ووجوب البراءة منهم وتكذيبهم والقدح في أشخاصهم لتوقّر الوسائط المباشرة لتوصيلها إلى عموم أفراد الشيعة.

بينما لا يوجد شيء من ذلك في حق مدعى السفارة في الغيبة الكبرى إلا بنحو النصوص الشاملة كما ورد في التوقيع الصادر إلى السمرى وتضمّنه النص على مثل ذلك يضاف إليه وجود الأحكام الشرعية الكفيلة بالحيلولة دون ذلك.

**الثانية عشرة:** في الغيبة الصغرى لم يفتقر في اثبات شخصيته وهويته لأول ظهور له في المأ العام عند الصلاة على والده الإمام العسكري عليه السلام وكذا لأول سفراته إلى إقامة دلائل وشواهد وبراهين على امامته وذلك منذ أول يوم باشر معهم مهام الإمامة والاضطلاع بوظائفها اكتفاءً بالوصية والنص عليه تعييناً من قبل والده عليه السلام.

بينما نجد النصوص الحاكية لوقت انتهاء أمد الغيبة الكبرى ومبدأ ظهوره لأصحابه المكلفين بنصرة دعوته ومعاضدته في تنفيذ برامجها قد تضمنت مطالبته بإظهار المعجز والعلامات الخاصة به للدلالة على صدق دعوته وحقيقة شخصيته في حدود الإثبات.

### مسؤوليات الشيعة الشرعية في زمن الغيبة الكبرى

**مسألة ٣٨٠:** يجب على شيعة أهل البيت عليهم السلام في عصر الغيبة الكبرى أن يلتزموا ببعض المبادئ والتكاليف والوظائف والمسؤوليات الشرعية، وأن يؤكدوا على محورية

قضية الإمام المهدي عليه السلام في عقيدتهم و وجدانهم وحياتهم من خلال الالتزام بجملة هذه الأمور:

١- أن يعتقدوا اعتقاداً جازماً أنهم يعيشون في عصر امامة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت النبوي وآخرهم، الذي بشر به جده خاتم المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وورد النص عليه ضمن خلفائه الإثني عشر وأنه آخرهم.

٢. أن يعتقدوا بأنه الإمام المعصوم الذي يجب عليهم أن يراقبوا حقوقه ويراعوا الوظائف الخاصة بالنسبة إليه قبل الظهور، و يذعنوا له بالطاعة والولاء، والانقياد والوفاء، ويقروا له بالتسليم لأمره والإنقياد لأحكامه عند ظهوره، و أن عليهم الانضواء تحت لوائه في دولته، والاسهام في نهضته العالمية.

٣- أن يثقفوا أنفسهم بمعرفته عليه السلام وصفاته وخصائص دوره الريادي العالمي حق المعرفة، و معرفة المحتومات من علائم ظهوره التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة الطاهرون عليهم السلام.

٤- أن يكونوا عقيدة ومنهجاً وسلوكاً شيعة واتباعاً حقيقيين له ولأجداده عليهم السلام، بأن يهذبوا نفوسهم من الصفات الذميمة، ويتحلوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعراق وبالقيم المثالية العليا، والمبادئ الفاضلة النبيلة، ويلتزموا بالأحكام الشرعية والعمل بالواجبات والتكاليف الدينية، ويتركوا ويجتنبوا المحرمات والآثام والمعاصي.

٥- أن يعتقدوا بأن دوره عليه السلام لن يكون دوراً اعتيادياً كما كان دور سائر الأئمة الذين سبقوه في أعصارهم الأولى من صدر الإسلام في خلافتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وتعاقبهم في الأزمنة المتلاحقة بعده، وإنما سيكون دوراً تأسيسياً ريادياً إلهياً مصيرياً خاتماً يعني بتطبيق الرسالة الإلهية والشريعة المحمدية الخاتمة كما أنزلت، وكما خططت لها الإرادة الإلهية أن تكون عليه، وكما ينبغي لها أن تقوم به من تصحيح مسار البشرية والارتقاء بها إلى أوج تمدنها العقائدي والإنساني والاجتماعي والسلوكي والأخلاقي، وإقامة دولة العدل الإلهي العالمية، وانتشال العالم مما سيؤول إليه أمره من تسلط الظلم والجور وشريعة الغاب على شعوبه.

- ٦- أن يعتصموا بحبل الله تعالى، ويتحدوا مع بعضهم وعامة المسلمين على ما يوجب مرضاته سبحانه وتعالى، وينبذوا الفرقة والشقاق، ويسعوا إلى تأليف القلوب، وينشروا مظاهر الإخاء والوئام في المجتمعات التي يعيشون فيها.
- ٧- أن يجهدوا أنفسهم على أن يكونوا ضمن مكونات المجتمع الصالحة ومن أبرز الطبقات المتميزة بالإستقامة والصلاح والأمانة والأخلاق الحميدة.
- ٨- أن يعملوا جهدهم على الإندماج في مجتمعاتهم المختلطة التي يعيشون فيها، وينسجموا مع جميع مكوناتها الأخرى حتى التي لا تدين بما يدينون به في معتقداتهم المذهبية والدينية.
- ٩- أن يردّوا جميع الحقوق التي في ذمتهم للناس إلى أصحابها، ويغيثوا الملهوفين، ويفرجوا عن المكروبين من جماعاتهم.
- ١٠- أن يأخذوا بأسباب المدنية الحديثة في أرقى مظاهرها، ويرتقوا بمستوياتهم العلمية في جميع العلوم الدنيوية النافعة المفيدة إلى أعلى الدرجات.
- ١١- أن يظهروا الغيرة والحمية على الإسلام والدفاع عنه، وأن يظهر العالم منهم علمه إذا انتشرت البدع، وشاعت الشبهات وفشى الفساد العقائدي بين المسلمين عامة والشيعية خاصة وذلك لقول رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله».
- وقوله ﷺ: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فاطهروا البراءة منهم وأكثروا من سيئهم والقول فيهم والوقية، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس، ولا يتعلمون من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»، ومن يفعل ذلك يكن من خاصة أنصاره ﷺ وصفوة أعوانه ومشاركاً لدوره الرسالي الأساسي ومتضامناً معه.
- ١٢- أن يعملوا على تحصين عقيدتهم الحقّة ليثبتوا على الحق وعلى الإستقامة، ولا تضلهم الفتن والشبهات، ولا تنحرف بهم عما هم عليه من الثبات على الحق في العلم والعمل.

- ١٣- أن يتواصوا مع بعضهم البعض بالصبر والثبات في زمن الغيبة الكبرى، ويوطنوا أنفسهم على انتظار فرجه وظهوره.
- ١٤- أن يجتنبوا حضور مجالس أهل الباطل والضلالة الذين يستهزؤون بذكره، أو يذكرونه بسوء.
- ١٥- أن يصبروا على أذى المخالفين في جنب الله ومشاق تكذيب العقيدة الصحيحة بالإمام الحجة والافتراء عليه بالبهتان ويستهزؤون بالمؤمنين المنتظرين له وسائر المحن الأخرى.
- ١٦- أن يظهروا صور الحب والولاء له بما هو أهل له وبما يليق بشأنه،
- ١٧- أن يتجنبوا التصريح باسمه الشريف الأصلي عند ذكره ويكتفوا بتداول ألقابه المعروفة.
- ١٨- أن يلتزموا برعاية الأدب عند ذكر لقب من ألقابه الشريفة المباركة مثل الحجّة والقائم والمهدي وصاحب الأمر وصاحب الزمان وغيرها وينتصبوا قائمين مع وضع اليد اليمنى على الرأس تعظيماً له وإعلاناً للولاء لهضته والتأهب لنصرته.
- ١٩- أن يبذلوا المساعي لتحبيبه إلى قلوب شيعته وخاصة الأجيال الصاعدة منهم وترغيب القلوب وإستمالتها إلى إحياء ذكره.
- ٢٠- أن يسلموا لأمر الله عزّوجل ويتركوا الإستعجال في طلب ظهوره.
- ٢١- أن يتركوا توقيت ظهوره وتكذيب الموقتين المدعين علمهم بذلك.
- ٢٢- أن يكذبوا من ادّعى الوكالة والنيابة الخاصة عنه عليه السلام في زمان الغيبة الكبرى، ويعتقدوا أن ذلك من ضروريات ومسلمات المذهب الذي يعرفون به واشتهر عنهم.
- ٢٤- أن يتأهبوا لنصرته عند ظهوره بالعزم القلبي القطعي، ويأخذوا بأسباب العزة والمنعة مالياً وعلمياً واقتصادياً وصناعياً.
- ٢٥- أن يتجنبوا أي أسلوب في طرح شخصيته وقضيته والولاء له يكون مدعاة إلى الإساءة لشخصه أو اتباعه في المجتمعات المختلطة باتباع المذاهب المخالفة أو الأديان المغايرة.

٢٦- أن يكثرُوا من ذكر فضائله ﷺ ومناقبه وخصوصياته وما يرتبط به، والحضور في المجالس التي تعقد لهذا الغرض.

٢٧- أن يكثر شعراؤهم من إنشاء وإنشاد الشعر في فضائله ومناقبه.

٢٨- إن يظهروا الحزن والأسى والهم بفراقه بسبب ظروف وأسباب الغيبة الكبرى التي تحول دون ذلك.

٢٩- أن يجددوا البيعة له بعد كل فريضة من الفرائض الخمس اليومية أو في كل يوم أو في كل جمعة بما ورد من المأثور في أكثر كتب الأدعية المتداولة ومنه دعاء العهد.

٣٠- أن يداوموا على قراءة هذه الأدعية في الأوقات التي يتفرغون فيها للعبادة ضمن أوراद تهجدهم ودعائهم: (اللهم عرّفني نفسك فإنك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك اللهم عرّفني رسولك فإنك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرّفني حجّتك فإنك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني)، (يا الله يا رحمن يا رحيم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك)، (اللهم أنت عرّفنتني نفسك وعرّفنتني رسولك وعرّفنتني ملائكتك وعرّفنتني نبيك وعرّفنتني ولاة أمرك اللهم لا آخذ إلا ما أعطيت ولا اقي إلا ما وقيت، اللهم لا تُغيّبني عن منازل أوليائك ولا تُرغ قلبي بعد إذ هديتني، اللهم اهدني لولاية من افترضت طاعته).

٣١- أن يأتوا بصلاة أربع ركعات بتسليمين يوم كل خميس واهداء ثوابها إليه، ويدعوا بين كل ركعتين منها بقولهم: (اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حيناً ربّنا منك بالسلام، اللهم إن هذه الركعات هدية مني إلى الإمام المهدي صلواتك وسلامك عليه فصلّ على محمد وآل محمد وبلغه إيّاها وأعطني أملي ورجائي فيك وفي رسولك صلواتك عليه وآله) ثم يدعون بما أحبوا.

٣٢- أن يدعوا بهذا الدعاء من أجل حفظه وسلامته: (اللهم ادفع عن وئيلك وخليفتك وحجبتك على خلقك ولسانك المعبر عنك والنّاطق بحكمتك وعينك النّاطرة بإذنك وشاهدك على عبادك الجحجاج المجاهد العائد بك العابد عندك، وأعدّه من شرّ

جَمِيعَ مَا خَلَقْتَ وَبَرَأْتَ وَأَنْشَأْتَ وَصَوَّرْتَ، وَاحْفَظْهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمَنْ فَوْقَهُ وَمَنْ تَحْتَهُ بِحِفْظِكَ الَّذِي لَا يَضِيْعُ مَنْ حَفِظْتَهُ بِهِ وَاحْفَظْ فِيهِ رَسُولَكَ وَأَبَاءَهُ أَيْمَتَكَ وَدَعَائِمَ دِينِكَ، وَاجْعَلْهُ فِي وَدِيعَتِكَ الَّتِي لَا تَضِيْعُ وَفِي جِوَارِكَ الَّذِي لَا يُخْفَرُ وَفِي مَنَعِكَ وَعِزِّكَ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ وَأَمْنِهِ بِأَمَانِكَ الْوَثِيقِ الَّذِي لَا يُجْدَلُ مَنْ آمَنَتْهُ بِهِ، وَاجْعَلْهُ فِي كَنَفِكَ الَّذِي لَا يُرَامُ مَنْ كَانَ فِيهِ وَانصُرْهُ بِنَصْرِكَ الْعَزِيزِ وَأَيِّدْهُ بِجُنْدِكَ الْغَالِبِ وَقُوِّهِ بِقُوَّتِكَ وَأَرِدْهُ بِمَلَائِكَتِكَ وَوَالٍ مَنْ وَالَاهُ وَعَادٍ مَنْ عَادَاهُ وَأَلْبَسْهُ دِرْعَكَ الْحَصِينَةَ وَخَفَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ حَفَاءً...).

٣٣- أن يحتفلوا بذكرى مولده في ليلة النصف من شهر شعبان من كل عام، وقيموا المجالس الجماعية لذكره والإشادة به.

٣٤- أن يواظبوا مضافاً لما تقدم على إحياء كافة الشعائر الدينية الأخرى كوفيات خاتم المرسلين عليهم السلام والأئمة عليهم السلام ومواليدهم وعيد الغير ونحو ذلك لأنها تمثل الأصل والحلقات التي تكمل بعضها البعض في ابراز صور الارتباط الوثيق وإظهار كل معاني الحب والولاء لهم جميعاً.

٣٦- أن يصلوه ويتقربوا له بصرف المال في المصارف التي يعلم رضاه بها وحبّه لها كطبع الكتب المتعلقة ببيان شخصيته، والتعريف به ودولته العالمية.

٣٧- أن يستغيثوا ويتوسلوا ويتوجهوا به إلى الله تعالى في الملمات والمهمّات والظروف العصبية بصلاة الاستغاثة ونحوها.

٣٨- أن يواظبوا على ما تقتضيه ظروف التقيّة مع الأشرار، ولزوم كتمان الأسرار عن الأغيار، والإحجام عن اشهار قضيته عليه السلام للأمن من غوائل الأعداء ومكائد الألداء المناوئين خصوصاً في هذه الأزمنة التي تضاعفت فيها المخاطر على الشيعة من قبل بعض العصابات التكفيريين السلفية المتشددة، التي ما فتئت في السعي لقتلهم والفتك بهم بالتفجيرات الانتحارية كما حصل مراراً وتكراراً في العراق وأفغانستان وباكستان في العقود الأخيرة.

٣٩- أن يعملوا على تعظيم مواقفه ومشاهده المشهورة المعروفة كمسجد السهلة ومسجد الكوفة والسرداب بسامراء ومسجد جمكران بمدينة قم وغيرها من المواضع التي رآه فيها بعض الصالحين كجزء من شعائر الله تبارك وتعالى التي ورد الأمر بتعظيمها وعمازتها بالذكر والطاعات وأنواع القربات فإنها من تقوى القلوب.

٤٠- أن يلتزموا بالإمساك والكف عن الثورات المسلحة بما يستوجب التمكين وبسط دولته ﷺ إلا بعد الظهور وإعلانه بنفسه طلب ذلك.

### عترة رسول الله ﷺ

مسألة ٣٨١: عترة رسول الله ﷺ لها منزلة خاصة في المجتمع المسلم ويكن لها جميع المسلمين كامل المحبة والاحترام والمودة وأن الأمر بذلك جاء منه تبارك وتعالى في قوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليّ ولم يصلِ عليّ لم يجد ريح الجنة وإن ريحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام».

وقال ﷺ: «حبي وحب أهل بيتي نافع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة: عند الوفاة وفي القبر وعند النشور وعند الكتاب وعند الحساب وعند الميزان وعند الصراط».

وقد تواتر عنه ﷺ أن حبهام علامة الايمان، وأن بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبهام أحب الله ورسوله ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله، بل حبهام فرض من ضروريات الدين الاسلامي التي لا تقبل الجدل والشك، وقد اتفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نحلهم وآرائهم.

قال الشيخ الصدوق في رسالة الاعتقادات: «اعتقادنا في العلوية: أنهم آل رسول

الله ﷻ، وأنَّ مودَّتَهُم واجبة لأنَّها أجر الرسالة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾... واعتقادنا في المسيء منهم أنَّ عليه ضعف العقاب، وفي المحسن منهم أنَّ له ضعف الثواب.»

# الفهرس

٥	استفتاح .....
٨	منهجنا في هذا الكتاب .....
	جمل الإطراء والإشادة والتبجيل في حق المرجع الديني للطائفة معجزة
١٣	الفقهاء العلامة البحراني الشيخ حسين بن محمد بن أحمد آل عصفور .....
	جمل الإطراء والإشادة والتبجيل في حق المرجع الديني للطائفة المحقق
٢١	البحراني الشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور .....
٢٧	المقدمة: في فقه التقليد .....
٢٩	معنى التقليد .....
٢٩	مبدأ التقليد في الإسلام .....
٣١	دائرة التقليد في مصادر التشريع .....
٣٢	مصادر التشريع .....
٣٢	١- الكتاب الكريم .....
٣٤	القرآن الكريم معجزة الإسلام الخالدة .....
٣٥	كيفية نزول الوحي به .....
٣٥	أقسام المُوْحَى به .....
٣٦	نزول القرآن .....
٣٦	تقسيم القرآن .....
٣٦	سور القرآن .....
٣٧	أصناف السّور .....
٣٨	آيات القرآن .....

- ٣٩..... كلمات القرآن
- ٣٩..... ٢- السنة النبوية
- ٤٠..... اعتقادنا في السنة النبوية
- ٤٠..... وجوب الاعتقاد بعصمته ﷺ
- ٤٠..... وجوب متابعتة ﷺ
- ٤١..... النهي عن العبث بشريعته وتغيير أحكامها
- ٤٢..... خاتمة شريعته ﷺ
- ٤٢..... ٣- سنة أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٤٥..... وجوب طاعة أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٤٦..... الاستدلال على حجية سنتهم عليهم السلام من القرآن
- ٤٩..... وجوب تقليد الفقهاء في عصر الغيبة
- ٥١..... دور الوالدين في تبصير أبنائهم بأهمية التقليد
- ٥٢..... المقلد البصير الواعي
- ٥٢..... ١- البصيرة بأصول الدين
- ٥٢..... ٢- البصيرة بفروع الدين
- ٥٣..... وظيفة كل مكلف حين يبلغ سن التكليف
- ٥٤..... كل مكلف يوم القيامة يحشر مع من قلّد
- ٥٥..... خطورة العمل بلا تقليد
- ٥٧..... التقليد الذاتي للنفس والآراء الشخصية
- ٥٩..... وجوب تحصيل درجة الفقاهاة في كل عصر
- ٦٣..... شرائط الفقيه المنصوص عليها
- ٦٨..... أحكام تقليد الفقهاء
- ٧٠..... تنويه بفقهاء آخر الزمان
- ٧١..... التصدي للقضاء والإفتاء

- ٧٥..... التبويض في العمل بالفتاوى
- ٧٦..... الاحتياط في الأمور الدينية.....
- ٨٣..... الأخبارية والأصولية.....
- ٨٣..... نزاع بين الأصيل والدخيل.....
- ٨٣..... ١- المدرسة الأخبارية.....
- ٨٤..... النص على مباني المدرسة الأخبارية من القرآن والسنة.....
- ٨٩..... ٢- المدرسة الأصولية.....
- ٩٩..... نقض مباني المدرسة الأصولية من القرآن والسنة.....
- ١١٣..... القسم الأول: في فقه الإسلام.....
- ١١٦..... خاتمية الإسلام.....
- ١١٧..... خصائص الشريعة الإسلامية الخاتمة.....
- ١١٧..... الخاصية الأولى: الربانية.....
- ١٢١..... الخاصية الثانية (الإنسانية).....
- ١٢٤..... الخاصية الثالثة: الشمول للمكان والانسان والزمان.....
- ١٢٦..... الخاصية الرابعة: الوسطية في التشريع.....
- ١٢٧..... الخاصية الخامسة: الواقعية.....
- ١٢٧..... الخاصية السادسة: الوضوح.....
- ١٢٨..... الخاصية السابعة: الجمع بين الثبات والمرونة.....
- ١٢٩..... الخاصية الثامنة: الرحمانية.....
- ١٣٢..... الخاصية التاسعة: السلامة من التحريف.....
- ١٣٣..... الخاصية العاشرة: القرآنية.....
- ١٣٣..... الخاصية الحادية عشرة: التغييرية.....
- ١٣٤..... الخاصية الثانية عشرة: الخاتمية.....
- ١٣٥..... الخاصية الثالثة عشرة: نزاهة حملته.....

- ١٣٦.....الخاصية الرابعة عشرة: العالمية
- ١٣٧.....الخاصية الخامسة عشرة: الأممية
- ١٣٧.....الخاصية السادسة عشرة: السمو والرفعة والعزة لمعتنقيه
- ١٣٨.....الخاصية السابعة عشرة: قدسية العهد والمواثيق
- ١٣٩.....الخاصية الثامنة عشرة: المثالية
- ١٤٠.....الخاصية التاسعة عشرة: حتمية التطبيق وإقرار أسسه ومبادئه
- ١٤١.....الخاصية العشرون: البرهانية والإقناعية
- ١٤٣.....القسم الثاني: في معرفة الخالق وتوحيده
- ١٤٥.....معارف الإنسان
- ١٤٦.....أسس الإسلام لبناء الفكر السليم
- ١٤٦.....الأساس الأول: محدودية الإدراك في العقل البشري
- ١٤٦.....الأساس الثاني: حدود الإدراك الحسي بالحواس الخمس
- ١٤٧.....الأساس الثالث: تقسيم الموجودات الحسية بحسب إدراك العقل البشري
- ١٤٧.....معرفة الإنسان بالخالق
- ١٤٨.....توحيد الله
- ١٤٩.....عقوبة الشرك بالله تعالى
- ١٤٩.....الهداية التكوينية والهداية التشريعية
- ١٤٩.....الهداية التكوينية
- ١٥٠.....الهداية التشريعية
- ١٥١.....وجود الله فوق الجدل والشبهات
- ١٥٣.....معرفة الذات الإلهية
- ١٥٤.....نطاق معرفة الذات الإلهية
- ١٥٥.....حرمة تجسّم معرفة كنه ذات الله عزوجل

- ١٥٦..... أشكال القوى الإلهية الفاعلة في الكون
- ١٥٦..... تسلسل مراحل الفعل الإلهي في التدبير
- ١٥٦..... جميع أفعال الله عزّ وجلّ معللة وحكيمة
- ١٥٧..... كراهة النظر في غوامض قدرته وأسرار تدييره
- ١٥٧..... معرفة أسمائه تبارك وتعالى
- ١٥٩..... الصفات الإلهية
- ١٥٩..... المحور الأول: في صفات الذات
- ١٥٩..... الصفات الثبوتية (صفات الجمال والكمال)
- ١٦٣..... الصفات السلبية (صفات الجلال)
- ١٦٤..... المحور الثاني: في صفات الأفعال
- ١٦٥..... العدل الإلهي
- ١٦٦..... العدل في الجانب التكويني
- ١٦٦..... العدل في الجانب التشريعي
- ١٦٦..... العدل في الجانب الجزائي
- ١٦٩..... القسم الثالث: في فقه الإنسان
- ١٧٢..... الغاية من خلق الإنسان
- ١٧٤..... ماهية الإنسان
- ١٧٥..... القوى المودعة في الإنسان
- ١٧٥..... مقومات الدوافع الإنسانية
- ١٧٩..... أفعالنا بين كفتي الجبر والتفويض
- ١٧٩..... مصاديق تدخل القدرة الإلهية في أفعال الإنسان
- ١٨٠..... العناصر التي يتركب منها الإنسان
- ١٨٣..... مميزات الإنسان

## القسم الرابع: في فقه عوالم الإنسان التي يمرّ بها من بدء وجوده إلى

- خاتمة مطافه ..... ١٨٧
- ١- العالم الأول (عالم الأرواح) مَبْدَأُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ..... ١٨٩
- ٢- العالم الثاني (عالم النذر) ونشأة الإنسان فيه ..... ١٩٠
- نوعية التكليف في عالم النذر ..... ١٩١
- ٣- العالم الثالث (عالم الأصلاب) ونشأة الإنسان فيه ..... ١٩١
- ٤- العالم الرابع (عالم الأرحام) وخلق الأجنة فيه ..... ١٩٢
- ٥- العالم الخامس (عالم الدنيا) ..... ١٩٣
- عالم الطبيعة وعالم المثل وعالم العقل (التدبير) ..... ١٩٣
- مكونات عالم الطبيعة ..... ١٩٥
- عالم الإنسان المادي ..... ١٩٦
- مبدؤه ونشوؤه ..... ١٩٦
- النظرية الإسلامية في حدوث العالم ..... ١٩٧
- المدة التي استغرقتها نشأة الكون ..... ١٩٨
- خلق الأرض ..... ١٩٨
- نشأة الإنسان في عالم الدنيا ..... ١٩٩
- سنن الحياة في الإنسان ..... ٢٠٠
- ارتحال الإنسان عن عالم الدنيا بالموت ..... ٢٠١
- أقسام الموت وأنواعه ..... ٢٠٢
- المُكَلَّفُ بقبض الأرواح ..... ٢٠٢
- موت المؤمن وموت الكافر ..... ٢٠٣
- ٦- العالم السادس (عالم البرزخ) ..... ٢٠٤
- نشأة الإنسان في عالم البرزخ ..... ٢٠٤
- الحالات الخاصة بالروح وأطوارها بعد الموت ..... ٢٠٥

- ٢٠٦.....المساءلة في القبر
- ٢٠٧.....معنى منكر ونكير
- ٢٠٧.....الحكمة من حساب القبر
- ٢٠٩.....ضغطة القبر والاتقاء منها
- ٢٠٩.....عذاب القبر والمنجيات منه
- ٢١٠.....المعذبون في عالم البرزخ
- ٢١٢.....العلامات المنبئة بزوال عالم الدنيا
- ٢١٥.....٧- العالم السابع (عالم الآخرة)
- ٢١٥.....١- فناء الإنسان
- ٢١٧.....الحالة التي ستؤول إليها الأرض بعد فناء الإنسان
- ٢١٧.....إحلال عالم آخر بعد فناء عالم الدنيا
- ٢١٨.....٢- معاد الإنسان
- ٢١٩.....إعادة أجزاء الإنسان بخصائصها الأولى
- ٢١٩.....الخصائص الإضافية للأجساد المعادة بعد البعث
- ٢٢٠.....٣- بعث الإنسان
- ٢٢١.....٤- حشر الإنسان
- ٢٢١.....بعض مشاهد الحشر العامة
- ٢٢٣.....وضع المؤمنين في يوم الحشر
- ٢٢٣.....وضع الكفار والملاحدة في يوم الحشر
- ٢٢٥.....٥- محاسبة الإنسان
- ٢٢٦.....محاسبة الأطفال والمجانين والبله
- ٢٢٦.....الحكمة من المحاسبة
- ٢٢٦.....نوعية محاسبة المؤمن والكافر
- ٢٢٧.....الميزان وأداة الحساب

- ٢٢٧..... معنى الموازين يوم الحساب
- ٢٢٧..... دقة الحساب
- ٢٢٨..... الشهادة عند الحساب
- ٢٢٨..... منجيات الإنسان
- ٢٣١..... الشفاعة
- ٢٣١..... الشفاعة يوم الحساب
- ٢٣٢..... أنواع الشفاعة ومراتبها
- ٢٣٤..... مهلكات الإنسان
- ٢٣٧..... ٦- مجازات الإنسان
- ٢٣٧..... اختصاص المؤاخذه بمرتكبي الآثام دون سواهم
- ٢٣٨..... حوض الكوثر ومجازاة المطيعين
- ٢٣٨..... الصراط آخر منعطف مصيري في عالم الآخرة
- ٢٣٩..... ٧- خلود الإنسان
- ٢٣٩..... علّة الخلود في الآخرة
- ٢٤٠..... تكليف المؤمنين في عالم الآخرة
- ٢٤١..... تكليف أهل النار في جهنم
- ٢٤١..... الأعزاف
- ٢٤٢..... الجنّة
- ٢٤٢..... لذائذ الجنّة ونعيمها
- ٢٤٣..... الوضع النفسي العام لأهل الجنّة
- ٢٤٣..... وصف أهم ملامح ومرافق الحياة في الجنّة
- ٢٤٦..... جَهَنَّم
- ٢٤٧..... المعذبون في جهنم
- ٢٤٩..... الملائكة والجنُّ

- ٢٤٩ ..... ١- الملائكة
- ٢٥٠ ..... المهام الخاصة بالملائكة
- ٢٥٢ ..... ٢- الجنّ
- ٢٥٣ ..... إبليس اللعين
- ٢٥٤ ..... مصير إبليس يوم القيامة
- ٢٥٥ ..... الحكمة من إمهال إبليس
- ٢٥٥ ..... استعانته بشياطين الجنّ والإنس
- ٢٥٦ ..... استمرار اغواء إبليس من أول يوم إلى نهاية الدنيا
- ٢٥٩ ..... القسم الخامس: في فقه القيادة الإلهية
- ٢٦١ ..... القيادة الإلهية
- ٢٦١ ..... أقسام القيادة
- ٢٦٢ ..... مصطلحات القيادة الإلهية
- ٢٦٢ ..... مصطلح النبوة
- ٢٦٣ ..... أصل النبوات السماوية ومبدؤها
- ٢٦٤ ..... النبوة عامة وخاصة
- ٢٦٤ ..... الحاجة إلى بعثة الأنبياء
- ٢٦٥ ..... مراتب النبوة
- ٢٦٦ ..... النبوة لطف رباني
- ٢٦٧ ..... عصمة الأنبياء
- ٢٦٧ ..... طبقات الأنبياء والمرسلين
- ٢٦٧ ..... عدد الأنبياء
- ٢٦٨ ..... رسول الإسلام
- ٢٦٩ ..... في إثبات نبوته ﷺ
- ٢٦٩ ..... نبذة عن حياته ﷺ

- ٢٧١ ..... زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٧٢ ..... شبهة تعدد وكثرة زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٧٣ ..... أعمامه وعماته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٧٣ ..... غزواته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٧٤ ..... مراحل الدعوة النبوية
- ٢٧٦ ..... في مختصاته صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٧٧ ..... علمه صلى الله عليه وآله وسلم بالقراءة والكتابة
- ٢٧٨ ..... اعتقادنا في آبائه صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٧٩ ..... الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم
- ٢٨٠ ..... رسول الإسلام في نظر علماء ومفكري غير المسلمين
- ٢٨٠ ..... من مفكري وعلماء اليابان
- ٢٨٠ ..... من مفكري وفلاسفة الهند
- ٢٨٣ ..... من مفكري وفلاسفة روسيا
- ٢٨٣ ..... من مفكري وفلاسفة هولندا
- ٢٨٤ ..... من مفكري وفلاسفة أسبانيا
- ٢٨٤ ..... من مفكري وفلاسفة سويسرا
- ٢٨٥ ..... من أقول مفكري وفلاسفة ألمانيا
- ٢٨٦ ..... من مفكري وفلاسفة بريطانيا ومصادر العلمة
- ٢٩١ ..... من مفكري وفلاسفة فرنسا
- ٢٩٤ ..... من مفكري وفلاسفة أمريكا
- ٢٩٨ ..... إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٢٩٨ ..... الإمامة والخلافة
- ٢٩٨ ..... إمامتنا في مبدئها ومهدا

- ٢٩٩ ..... إمامتنا أصل من أصول ديننا
- ٣٠٠ ..... إمامتنا إلهية وليست وضعيّة
- ٣٠٠ ..... إمامتنا قيادة حكيمة مثالية
- ٣٠١ ..... أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٣٠١ ..... عدد أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٣٠٢ ..... علّة انحصار أئمتنا في أهل بيت النبوة
- ٣٠٣ ..... علم أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٣٠٤ ..... مناقب أئمتنا عليهم السلام
- ٣٠٥ ..... محطات من سيرة أئمتنا
- ٣٠٦ ..... الإمام الأوّل للفترة (١١ هـ - ٤٠ هـ): الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٣٠٧ ..... أول محطات حياته الشريفة
- ٣٠٨ ..... محطة فضائله
- ٣١٢ ..... محطته مع معاوية ابن ابي سفيان
- ٣١٢ ..... آخر محطات حياته الشريفة
- ٣١٣ ..... الإمام الثاني للفترة (٤٠ هـ - ٥٠ هـ): الإمام الحسن بن علي عليهما السلام
- ٣١٥ ..... أهم محطات فترة إمامته
- ٣١٧ ..... آخر محطات حياته الشريفة
- ٣١٨ ..... الإمام الثالث للفترة (٥٠ هـ - ٦١ هـ): الإمام الحسين بن علي عليهما السلام
- ٣١٩ ..... أهم محطات حياته الشريفة
- ٣٢٠ ..... محطة تقلده مهام الإمامة
- ٣٢٠ ..... محطته مع والي المدينة
- ٣٢٢ ..... آخر محطات حياته الشريفة (شهادته)
- ٣٣٢ ..... الإمام الرابع للفترة (٦١ هـ - ٩٥ هـ): الإمام علي بن الحسين السجاد عليهما السلام
- ٣٣٣ ..... أهم محطات فترة إمامته

- ٣٣٤ ..... محطة معاصرته لحكام الدولة الأموية
- ٣٣٥ ..... موقف هام له مع هشام بن عبد الملك
- ٣٣٦ ..... محطة سك أول عملة اسلامية
- ٣٣٦ ..... محطة التركيز على رسالية الدعاء
- ٣٣٧ ..... محطة توثيق إسهاماته العلمية
- ٣٣٧ ..... آخر محطات حياته الشريفة
- ٣٣٨ ..... الإمام الخامس للفترة (٩٥ هـ- ١١٤ هـ): الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام
- ٣٣٨ ..... أول محطات حياته الأولى
- ٣٣٩ ..... محطة ما قبل التصدي للإمامة وبعدها
- ٣٣٩ ..... أهم محطات إمامته انطلاقة لنشر علوم آل محمد
- ٣٤٠ ..... محطة معاصرته لحكام الدولة الأموية
- ٣٤٠ ..... محطة تسجيل وتوثيق نتاجه العلمي
- ٣٤١ ..... آخر محطات حياته الشريفة
- الإمام السادس للفترة (١١٤ هـ- ١٤٨ هـ): الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام
- ٣٤٢ ..... عليه السلام
- ٣٤٢ ..... محطة ما قبل التصدي للإمامة
- ٣٤٢ ..... محطة معاصرته للدولتين الأموية والعباسية
- ٣٤٣ ..... المحطة الأهم في حياته
- ٣٤٥ ..... آخر محطات حياته الشريفة
- ٣٤٦ ..... الإمام السابع للفترة (١٤٨ هـ- ١٨٣ هـ): الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام
- ٣٤٦ ..... أهم محطات فترة إمامته
- ٣٤٧ ..... محطة معاصرته لحكام الدولة العباسية
- ٣٤٧ ..... محطة توسيع دور الوكالة والوكلاء
- ٣٤٨ ..... محطة تدوين حركته العلمية

- آخر محطات حياته الشريفة ..... ٣٤٨
- الإمام الثامن للفترة (١٨٣ هـ- ٢٠٣ هـ): الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ..... ٣٤٩
- أهم محطات فترة إمامته ..... ٣٥٠
- محطة معاصرته لخلفاء الدولة العباسية ..... ٣٥٠
- محطة تدوين حركته العلمية ..... ٣٥١
- محطة قبوله بولاية العهد ..... ٣٥٢
- آخر محطات حياته الشريفة ..... ٣٥٣
- الإمام التاسع للفترة (٢٠٣ هـ- ٢٢٠ هـ): الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام ..... ٣٥٣
- أهم محطات فترة إمامته ..... ٣٥٤
- محطة معاصرته لخلفاء الدولة العباسية ..... ٣٥٤
- محطة تدوين حركته العلمية ..... ٣٥٥
- آخر محطات حياته الشريفة ..... ٣٥٥
- الإمام العاشر للفترة (٢٢٠ هـ- ٢٥٤ هـ): الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ..... ٣٥٧
- أهم محطات فترة إمامته ..... ٣٥٧
- محطة معاصرته لخلفاء الدولة العباسية ..... ٣٥٧
- محطة تدوين حركته العلمية ..... ٣٥٨
- آخر محطات حياته الشريفة ..... ٣٥٩
- الإمام الحادي عشر للفترة (٢٥٤ هـ - ٢٦٠ هـ): الإمام الحسن بن علي  
العسكري عليه السلام ..... ٣٦٠
- أهم محطات فترة إمامته ..... ٣٦٠
- محطة معاصرته لخلفاء الدولة العباسية ..... ٣٦١
- محطة تدوين حركته العلمية ..... ٣٦١
- آخر محطات حياته الشريفة ..... ٣٦٢
- الإمام الثاني عشر (٢٦٠ هـ - ٣٠٠ هـ): الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام ..... ٣٦٣

٣٦٣	أهم محطات فترة إمامته .....
٣٦٤	الغيبة الصغرى والغيبة الكبرى .....
٣٦٤	محطة سفراء الإمام المهدي .....
٣٦٦	محطة حركته العلمية .....
٣٦٧	دوافع الغيبتين الصغرى والكبرى .....
٣٦٧	دوافع الغيبة الصغرى .....
٣٦٨	دوافع الغيبة الكبرى .....
٣٧٠	أدلة الغيبة الكبرى .....
٣٧٣	الفوارق الرئيسيّة بين الغيبتين .....
٣٧٥	مسؤوليات الشيعة الشرعية في زمن الغيبة الكبرى .....
٣٨١	عترة رسول الله ﷺ .....
٣٨٣	الفهرس .....